العدد ٩٠ - شعبان ١٤٠٣هـ - يونية ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



- **العروبة والإسلام معًا**
  بقلم: محمد الغزالي
- **لا مفرّ من مصالحة عربية مع النفس**
  بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري
- **كوكب الغيرة**
  قصة جديدة بقلم د. عبد السلام العجيلي

قصة الحضارة العربية في حروف جميلة



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٠ - شعبان ١٤٠٣هـ - يونية ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس : ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي : ص . ب ٣٢١ - بنغازي

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بنغازي الدرازي
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج .
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع الصلام - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي .

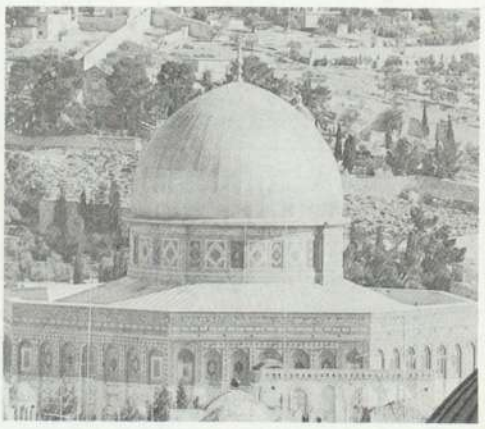
● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



المسجد الاقصى رحلة تاريخيـــة
بين البطولة والمحنـــــة ص ٥٢



د . سهير القلماوى : طه حسين
كان يحرضنى على الشجاعة ص ٨٢



مع التواشيح الأندلسية والفن
المغربي الاصـــــيل ص ٧٢

● دراسات ومقالات ●

● لا مفر من مصالحة عربية مع النفس .....
د. محمد جابر الأنصارى ٦
● العروبة والاسلام معا : قبلة العالم فى أرضنا ، فما معنى هذا ؟ ..... محمد الغزالى ٩
● كتب قيمة من التراث ترى النور لاول مرة .....
وجيه الشربجى ١٢
● حاييم هيرتسوج على خطى بن جوريون .....
عصام شريح ٢٠
● خواطر تسر الخاطر .....
زكريا تامر ٢٤
● ... وهكذا كان نعمان ! .....
محمود السعدنى ٢٦
● دور العمائم فى تاريخ العرب الحديث : ثائر يتحدى اللورد ! ....
فتحى رضوان ٣٠
● قصة من تاريخ العريش : الخواجة شمعون .....
درويش مصطفى الفار ٤٠
● الشيخوخة ليست نهاية الشباب ! .....
د. عز الدين فراج ٤٦
● المسجد الأقصى : رحلة تاريخية بين البطولة والمحنة .....
حسنى شحادة ٥٢
● انهم يتلاعبون بهندسة الوراثة .....
د. عبد المحسن صالح ٦٦
● آراء حرة : الذى سقط سهوا من السعدنى ! .....
د. علاء عباس الاسوانى ٧١
● سمكة البعوض والحشرة التى حيرت العلماء .....
د. خليل ابو الحب ٩٦
● مجتمعات تعيش فى الماضى : مازالوا يرقصون بالشعابين .. ويرتدون الاقنعة !! ..... وليد عياد ١١٠
● جزيرة الكنز والفنان الذى احبه ملايين الأطفال .....
جمال الكنانى ١٢٢
● الورقة الاخيرة : ما ينقصنا فى الحياة ؟ .....
د. خليل قطاطو ١٤٦

● شؤون الخليج ●

● أوراق من البحر : أم راشد .. تزرع الفرح على وجوه النسوة ! ..... عبد الرحمن المناعى ٧٢
● أسبوع الثقافة المغربى فى الدوحة : مع التواشيح الأندلسية والفن المغربى الاصيل ..... ستان المسلمانى ٧٦
● خليفة القطان .. فنان كويتى يقتحم عقل المشاهد بالأفكار !....
يوسف احمد ١٠٢

● أدب وفنون ●

● ازمة الانسان العربى فى رواية معاصره .....
يوسف الشارونى ١٦
● مجمرة الرماد «شعر» .....
حسن عبد الله القرشى ١٩
● مراثى الشهداء «شعر» .....
محمد الظاهر ٢٩
● اتجاهات جديدة فى القصة السكندرية القصيرة المعاصرة
د. محمد مصطفى هداية ٣٦

● مدريد تستعيد وجهها العربى القديم : فى اسبانيا احتفل العالم بالذكرى العاشرة لعميد الأدب العربى .....
فتحى سعيد ٤٢

● الأيام الأخيرة فى حياة شاعر عالمى من ايطاليا ! .....
د. عيسى الناعورى ٧٤

● حفنة نور «قصة» .....
ابراهيم أصلان ٧٩

● أضخم مهرجان للفنون الاسلامية فى اسطنبول ٨٠

● د. سهير القلماوى : طه حسين كان يحرضنى على الشجاعة ! ..... مفيد فوزى ٨٢

● زيلوس كوكب الغيرة «قصة» .....
د. عبد السلام العجيلى ٨٦

● نجمة «شعر» .....
علام عبد الله ٩٥

● حوار مع مصطفى العقاد : الطائر العائد من خلف المحيط ! ..... جميل العابد ١٠٤

● رمزية باج : فنانة تنتقى الوانها دون صخب ! .....
بشرى ناصر ١١٤

● اقتحام «قصة» .....
وليد اخلاصى ١١٦

● حين تستعصى المسافة «قصيدة» .....
عبد الرحيم عمر ١٢٦

● حينما يتداعى الانسان «قصة» .....
كلثم جبر ١٣٠

● ظاهرة جديدة فى السينما الأمريكية : العزاء والأمل للضائعين فى الزحام ..... رءوف توفيق ١٣٢

● أبواب ●

● دائرة المعارف القرآنية : أداء الواجبات .....
د. محمد البهي ٤٩

● حتى لا ننسى : المخطط الاسرائيلى فى قلب البحيرة المغلقة ..... نبيل خالد الآغا ٥٠

● كتاب الشهر : ديوان الخط العربى .. قصة الحضارة العربية فى حروف جميلة ..... مجدى نصيف ٦٠

● من روائع الفن العالمى : بين النسيان وصمود العبقرية ...
جمال قطب ٩٨

● لقطات من الكون المثير ١٠٠

● قف . هل تعلم ؟ .....
عبد العزيز السيد المصرى ١٢١

● العلم والمستقبل .....
لبنى الريدى ١٢٨

● ضحكات الشهر .....
صلاح الليثى ١٣٨

● دوحة القراء ١٤٠

● مسابقة الدوحة ١٤٢

● استراحة الدوحة ..... رءوف ١٤٤

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

نائب رئيس التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
مريم آل سعد
سنان المسلماني
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

لنتجاوز المحنة:

لا مفرّ من مصالحة عربية مع النفس

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

أن تحل بالأمم الكوارث والنكبات .. ذلك أمر طبيعي يحدث لكل أمة على وجه الأرض ، فى مختلف مراحل التاريخ .

ولكن أن يستمر الضياع .. ويستمر العجز أمام الكارثة ، ذلك ما ليس بطبيعى .. وذلك ما يبعث على القلق والتشاؤم والمأساوية وما يتطلب مواجهة عاجلة بأقصى درجات الوضوح الفكري وأقصى درجات الانضباط والعمل الارادي الدائب .

والخطير ليس أن نصاب بالمرض .. الخطير أن نتهرب من واقع المرض ، وأن نعجز عن تشخيصه بشكل صائب ، وأن نخفق فى اتخاذ الخطوات الضرورية الفعالة على طريق العلاج .. وأن ينتقل المرض من الجسم الى النفس والعقل والروح والارادة .. فتلك هى الكارثة الحقيقية .

ويبدو ان القوى المعادية التى استغلت السلبيات العربية العديدة وأوصلت الأمة العربية الى ما هى عليه الآن ، أى الى وضع المرض المستفحل المؤلم ، تعمل الآن بشراسة من اجل المرحلة التالية ، الأخطر والأفدح ، وهى مرحلة تعجيز العرب عن التفكير السليم فى الكوارث النازلة بهم ، وتعجيزهم عن اتخاذ أية خطوة فى سبيل استرداد العافية ، بعد أن تم تعجيزهم عن مواجهة التحديات الأجنبية التى أحدقت بهم من كل جانب ونفذت الى عمق كيانهم .

ومرحلة التعجيز عن الوصول الى أى علاج سليم هى بمالا يقاس أخبث كثيراً من مرحلة التعجيز عن المواجهة الخارجية ، لأن ذلك يعني استمرار تحطيم الحصانة الداخلية للجسم بعد ان اخترقته الجراثيم المندفعة من الخارج .

وما يحدث اليوم للعرب ، بعد ان تمت مرحلة اختراق الجسم العربى ابتداء بكارثة حزيران ١٩٦٧ وانتهاء بمذابح صبرا وشاتيلا ١٩٨٢ ، هو انه يراد الآن تشويه المعاناة العربية للكارثة ، وصرفها عن مواضع الوجع الحقيقى ومواضع السرطان المتنامي الى الانشغال بمضاعفات أخرى جانبية أو مصطنعة أو الى علاجات خاطئة تزيد الداء استفحالا ، كل ذلك حتى لا تصحو هذه الأمة على وجعها الحقيقى وعلى ألمها الحقيقى وتقول هنا ألمى ، وهذا هو بالتحديد دائى ، ومن هنا يبدأ العلاج ، وهكذا يكون الرد .

نعم .. لا يريدون لهذه الأمة أن يكون جرحها نقياً . فبعد أن جرحوها فى العمق ، يريدون للجرح أن يتلوث ويتعفن ويبقى كذلك ، حتى يتسمم ويؤدى بها الى الموت .

هذه هى طبيعة المرحلة الراهنة ، وهذا هو شعارها : أن تحرم الأمة من المعاناة النقية السليمة .. أن تمنع من التفكير السليم والتشخيص الصحيح لجرحها العميق ، تمهيداً لاكمال عملية الافتراس .

والعرب من جانبهم لا يمكنهم التهرب من واقع الجرح اليوم . الجرح موجود وقائم فى الصميم .

ولكنهم قادرون على منع تلويثه وتسميمه قادرون على تحويله الى معاناة نقية ، والى ألم مطهر للنفس وجعله من تلك الآلام

النبيلة التي تصيب الأمم فتجعلها أكثر وعياً ، واكثر مناعة ، واقدر على شرف المواجهة وعلى تحمل أعباء الحياة .

● المزيد من التشرذم أم الرد الوحدوى ؟

وكمثال واحد على تشويه المعاناة العربية ، بين أمثلة كثيرة ، هو أنهم عندما نجحوا فى استفراد كل بلد عربى وحيداً فى الساحة بمفرده ، واقتطعوا منه ما أرادوا ، وفرضوا عليه المخطط الموضوع ، بادروا فوراً الى تعميق خلافاته الداخلية واشعالها ليتحول كل كيان عربى الى عدة كيـــانات متصارعة ومتشرذمة ومنقسمة فيما بينها الى ما لا نهاية ، تدور بلا حول ولا قوة ، فى فلك الارادة المعادية والهادفة الى سلب ميراثها ذلك لأنهم يدركون تماماً أن كل قطر عربى ، تم استفراده تحت ظروف قاهرة لابد وأن يعود الى أشقائه العرب الآخرين ، لوصل ما انقطع ، والتعويض عما تم التفريط فيه ، وإحياء الرابطة العربية الشاملة التى لا بديل عنها ولا علاج غيرها .

ولواد هذا الإحياء ، وقطع الطريق على هذه العودة ، وتشويه رد الفعل العربى ، تاتى المرحلة التالية فى مخطط العدو لتفتيت كل قطر عربى بمختلف وسائل التقطيع من طائفية واقليمية ومن إرهاب وتكبيل وافقار ، لكى لا تتاح فرصة استرداد الأنفاس ، والعودة الى خط الارادة العربية المشتركة .

وهكذا يتحدد طابع الصراع الفكرى ـ النفسى بيننا وبين العدو فى المرحلة الراهنة : بعد شق الصف العربى يصمم العدو الآن على شق الصف الداخلى والارادة الداخلية فى كل قطر عربى ، ويتوجب أن يكون جوابنا عليه العودة الى الرابطة العربية الكبرى الواحدة حتى لا نجد كل بلد من بلداننا وقد تحول الى بلديات ومتصرفيات ومدن معزولة تدور فى فلك الارادة المعادية لنا جميعاً ، لنا كامة ، ولنا كاقطار ، ولنا كطوائف واقليات وأغلبيات ، على حد سواء ، ودون تمييز . فالعدو ، كما اتضح فى سلوكه فى لبنان ، لا يميز فى حقيقة الأمر بين طائفة واخرى ، ولا بين مذهب وآخر ولا بين اقلية واكثرية .

انه يريد أرض الاقلية والاكثرية وسيادة الاقليـــة والاكثرية ، وخيرات الاقليـــة والاكثرية بلا استثناء .

فهل نستسلم للمخطط المكشوف ، ونترك العدو يفعل بنا ما يشاء ، ويوصلنا الى هدفه النهائى وهو تحويل كل جزء من أوطاننا الى محمية تابعة لفلكه ، أم نقلب مجرى الأحداث فى وجهه باصرارنا على تنقية المعاناة وتصحيح العلاج وذلك بالعودة الى وحدة الوطن ، وحدة كل وطن من أوطان العرب ، ثم تسييج هذه الوحدة الوطنية بالرابطة العربية الأكبر والأشمل بعد تنقيتها من الشوائب التى علقت بها فى الماضى ، وتطويرها فى ضوء المتغيرات الجديدة لتتناسب مع طبيعة المواجهة واحتياجات الأمة ، وواقعها ، وتطلعاتها ؟

● ● ●

إن الأعداء يدركون بأن أمة عريقة ، واسعة الأرجاء غنية التجربة ، راسخة الجذور ، كامتنا لابد أن تنهض وأن تستفيد من دروس الكارثة اذا عرفت كيف تعانى آلامها الحقيقية وكيف تعالج جروحها البليغة .

لهذا فهدفهم اليوم هو تشويه المعاناة واخفاء الداء الحقيقى الذى هو التجزئة والتفرقة والتخلف ، واصطناع أعراض مزيفـــة كالخلافات المذهبيـــة والمحليـــة والاقليميـــة ، وخلق صراعـــات مصطنعة كالجدل بين التقدميين والتراثيين ، وكالجفاء بين العروبيين والاسلاميين ، وبين القوميين والدينيين ، وما الى ذلك من معارك جانبية لتصبح هى الصراع الحقيقى وليتحول صراع الأمة ضد اعدائها وضد تخلفها الى الظل والى الهامش ، فيصبح العدو صديقاً وشريكاً ، ويصبح الأخ والشريك عدواً .. وهكذا .. تنقلب كل المفاهيم والبدائه والمسلّمات فلا يعرف العرب كيف يتحركون للخروج من المازق التاريخى الذى وقعوا فيه ، ولا فى أى اتجاه يتجهون ، فتكتمل مرحلة الكارثة بمرحلة الضياع وما بعد المرحلتين إلا مرحلة النهاية .. لا سمح الله .

ولننظر كيف فعل الغرب بمصير تركيا .. لندرك ولنتعظ . كانت تركيا تقود عالماً اسلامياً واسع الأرجاء . وكانت تتصدى بقيادتها هذه لمخططات الغرب فى المنطقة الاسلامية كلها .

وأدرك الغرب أنه للاستفراد بالمنطقة يجب فصل تركيا عن جسمها الشرقى الاسلامى كله ، واستفرادها ثم استفراد كل بلد فى هذا الشرق على حدة .

وباسم الانتماء للحضارة والتقدم ، وباســـم التحـــالف مـــع الغرب وباسم المساعدات الغربية ، أغروا تركيا بالتنكر لاسلامها وتراثها وتاريخها العثمانى وحروف قرانها .. (كما يغرى الغرب اليوم دولا عربية بمساعداته ، وتحالفاته ، وصداقته) .. فوقعت تركيا فى الشرك .. ووقعت فى المصيدة . وهى اليوم لم تعد تنتمى لشرقها الاسلامى الكبير ، ولم يقبلها الغرب سوى تابع لحلف الأطلسى ، وحتى رفضوا دخولها السوق الاوربية المشتركة رغم أنهم قبلوا جارتها اليونان .

واليوم تركيا الى أين بعد أكثر من خمسين سنة من الولاء للغرب والقطيعة مع الاسلام والعرب ؟

أى مصير ؟ أى مكانة ؟ أى شخصية وهوية وانتماء ؟؟

وليس سراً أن دولا عربية وقعت أو على وشك أن تقع فى مصيدة شبيهة بالمصيدة التركية .. فهل ستقبل بهذا المصير .. وهل سترضى بالموضع الذى كبلوها به وفرضوه عليها ؟

ذلك سؤال مصيرى من أسئلة المعاناة الواجبة ومن وسائل تنقية الجرح ، كي يلتئم ، لا كي يبقى متسمماً كما يريدونه .

والواقع انه كلما طال أمد القطيعة العربية ، كلما طرأت ظروف ، وتراكمت مضاعفات تمنع العودة وتخلق واقعاً انفصالياً جديداً .. كالواقع الذى وجدت تركيا نفسها فيه فى نهاية المطاف . وعلى العرب جميعاً أن يتحركوا باتجاه بعضهم قبل نسف الجسور نهائياً وقبل فوات الأوان .

● بين الأصولية والتقدمية : لا مفر من الحوار

ثم لننتبه الى لعبة أخرى ، بل مؤامرة أخرى مستمرة دائمة ، لا تقل خطورة .

وهو ان أعداء الأمة ، بالاضافة الى تفريقهم لها على أساس الفروق الاقليمية والحساسيات الجغرافية بين قطر عربى

لامفرّ من مصالحة عربية مع النفس

وآخر ـ وهذا هو التمزيق الأفقى ـ عمدوا أيضاً الى تمزيقها عمودياً فى العمق باشعال النار فى كل مرحلة بين التيارين الرئيسيين فيها : التيار التقدمى والتيار الأصولى ، التيار العصرى والتيار السلفى ، التيار القومى والتيار الدينى .

وكان اللعبة تقتضى أن يقف الأعداء فى صف التيار الأضعف عندما يقوى التيار الآخر ويبدو أنه على وشك توحيد الأمة والأخذ بيدها نحو التحرر والخلاص .

فعندما كان التيار الدينى الأصولى هو السائد لدى الأغلبية أو هو الغالب ، عمد الغرب الى تغذية التيار القومى العصرى ، لا حباً فيه ، ولا رغبة فى انتصاره ، وإنما لتفجير الصراع داخل جسم الأمة بين العروبيين والاسلاميين ، وبين العصريين والسلفيين ومنع قيام الجبهة الموحدة الضرورية بين الجانبين .

وعندما بدا أن التيار القومى العصرى قد أصبح الصيغة الغالبة ، وأنه على وشك احداث التغيير المنتظر فى مسار الأمة ، تظاهر الغرب بتأييد التيار المحافظ ، لا حباً فيه أيضاً بطبيعة الحال ، ولكن لموازنته فى الصراع المرير ضد التيار الآخر .. وهكذا ..

هكذا يريدون الصراع فى جسم الأمة .. دائماً مريراً لا هوادة فيه ولا رحمة ولا نهاية له ، حتى يسقط التياران معاً ، وتسقط معهما الأمة كلها .

ولقد آن الأوان لنكتشف هذه اللعبة الجهنمية التى يلعبونها بنا .

آن الأوان أن ندرك أن كل أمة تنقسم فى عصر نهوضها الى من يرى رأى التقدميين ومن يرى رأى الأصوليين .. والى من يرى رأى القوميين ، ومن يرى رأى الدينيين ، وأن هناك قواسم مشتركة ومصائر مشتركة وأهدافاً مشتركة بين الجانبين ، وأن لكل فكرة دورها المشروع فى نطاقها المشروع ، **فللتقدم مجاله فى العلوم والتقنية** والمخترعات والتصنيع ، وللتراث مكانته فى نطاق الروح والقيم والأخلاق والتشريع.

كما للقومية مكانتها فى مجال الترابط الاجتماعى اللغوى الثقافى،وللدين مكانته فى مجال العقيدة والايمان والعبادة والعمل الصالح والتوجيه السليم والتوحيد بين كل القوميات والأمم المسلمة .

فلماذا نندفع لخدعة الحرب الأهلية فيما بيننا فى الوقت الذى نتحدث فيه عن السلام مع الآخرين ؟!!

سلام مع الآخرين ، وحرب داخلية طاحنة مع النفس ؟ أن يتحارب العصرى العربى والسلفى العربى ليتصالحا مع العدو ؟؟ .. والى أين نريد أن نصلّ من هنا ؟ أيؤدى ذلك الى غير الكارثة النهائية ؟

● حقيقتان

ويبقى أخيراً أن نتنبه الى حقيقتين :

الأولى أن الخطر المحدق يشمل الجميع بلا استثناء . ولا يتصورنّ أحد أنه سيكون بمنجى من العاصفة لأن الفيضان لم يصل الى داره بعد . والذين يتحدثون اليوم عن سياسات اقليمية ومحلية منفصلة عن **الرابطة العربية الاسلامية الشاملة** سيكونون الضحايا فى وقت أقرب مما يتصورون .

والحقيقة الثانية أن الكارثة هذه التى شملت مختلف اتجاهات الأمة من عصرية وأصولية ، ومن عروبية واسلامية ، يجب أن تدفع مختلف الأطراف المتصارعة الى الادراك أنهم يجب أن يدافعوا أولا عن الأرض والمصير المشترك والوجود المشترك لهم جميعاً ليبقى لهم فى النهاية وطن يختلفون فيما بعد ، بعد زوال الخطر ، على تقرير اتجاهه الفكرى ، عصرياً أو سلفياً .. عربياً أم اسلامياً ..

أما الصراع اليوم ، الصراع الأعمى من أجل التدمير الذاتى وقهر التيارالآخر باى ثمن .. فذلك ثمنه واضح لا شبهة فيه ، وستدفعه الأمة كلها من مصيرها .. ثمنه هو **زوال الأرض كلها ليجد العصريون والأصوليون انفسهم لاجئين معاً فى لا مكان** .. فهل هذا ما يريده العصريون العرب .. والأصوليون العرب لانفسهم ؟

إذن لا مفر من الحوار . لا مفر من الاحترام المتبادل والتفهم المتبادل بين جناحى الأمة . لا مفر من التسامح فيما بيننا (طالما أننا نتسامح اليوم مع الآخرين) ولنقل لا للتخوين ولا للتجريح ، ولا للتكفير .. لا لكل الاساءات المتبادلة بين الجانبين ، فالأصوليون هم أساس الأمة وأصلها وسندها ، والمثقفون هم خيرة شباب الأمة ورجالها وطلائعها ، واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية .. فكيف إذا كانت هذه القضية هى قضية وجود الأمة ومصيرها وخروجها من كل المحن الطاحنة التى تعتصرها ؟

وهادينا لمثل هذا الحوار الذى لا بديل عنه قوله تعالى :

«ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن» .

واذا كان هذا الأدب الرفيع ملزماً للمسلم فى تبليغه وفى اقناعه لغير المسلم .. فهل يليق والحالة هذه بالمسلمين أن يتعاملوا فيما بينهم ، ويتحاوروا فيما يخصهم ، بغير التى هى أحسن ؟

هذا من حيث المثل الأعلى الذى أدبنا به الاسلام .

أما من حيث الضرورة التاريخية ، فليكن **واضحاً لدى مختلف الاتجاهات** والاجتهادات العربية والاسلامية بأن هذا هو زمن المصالحة التاريخية الحتمية فيما بينها لانقاذ وجود الأمة .. وإلا فانه سيكون زمن **الفناء** المشترك لها جميعاً .

د. محمد جابر الأنصارى

العروبة والإسلام معاً:

قِبْلَة العالم في أرضنا.. فما معنى هذا؟

بقلم: محمد الغزالي

قبل بضعة أسابيع من معركة بدر وقع حدث له دلالاته العميقة فى صلة المسلمين بأهل الكتاب . فقد كان بيت المقدس القبلة التى يتجه إليها أصحاب الأديان السماوية جميعاً .

ثم صدر الأمر إلى المسلمين أن يتحولوا من بيت المقدس إلى مكة المكرمة !

ما سر هذا التحول ؟

الواقع أن أهل الكتاب ما كانوا سعداء بالدين الجديد ! ولا فهموا من وحدة القبلة أن قرابة مشتركة تربطهم بأتباعه !

الذى حدث أنهم ضاقوا أشد الضيق بالنبى العربى ، وعدوه منافساً محذوراً كأن الأمر صراع على مغنم عاجل ، أو مأرب قريب !

ولو كان اهل الكتاب مخلصين لأديانهم لكان لهم موقف آخر ، فان العرب كانوا عبّاد أصنام ! حتى عرّفهم محمد بالاله الواحد . وكانوا يعيشون ليومهم حتى اقنعهم بالعمل لليوم الآخر . وكانوا لا يدرون شيئاً عن نبوّة سبقت حتى حدثهم عن موسى وعيسي وغيرهما من المرسلين !

فلم الضيق بهذه الرسالة ؟ ومخاصمة صاحبها ؟

بَيد أن الامر تجاوز الخصومة المحتملة إلى ضرب من اللَّدد يثير الاشمئزاز . تدبر قوله تعالى « وَدَّ كثيرٌ من اهل الكتاب لو يَرُدُّونكم من بعد إيمانِكُم كفاراً ، حَسَداً مِن عِندِ انفسِهم من بعدِ ما تبيَّن لهمُ الحقّ ، فاعفُوا واصفَحُوا حتى ياتِيَ اللهُ بامرِه .. » (١) .

وإذا كانت للمسلمين مساجد تنبعث من منائرها صيحات التوحيد وتستقبل ساحاتها الركع السجود ، فان اهل الكتاب تَواصَوْا بصرف الناس عن هذه المساجد ، وتامروا على تهديمها « وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ ان يُذكَرَ فيها اسمُهُ وَسَعَى فى خَرَابِهَا .. » (٢) ؟ .

فلم يبق بعدئذ مساغ لمشاركة هؤلاء الحاقدين قبلتهم ، وانبعثت فى نفس الرسول الكريم الرغبة فى الاتجاه إلى القبلة الأولى ، إلى الكعبة التى بناها جده الاكبر ابراهيم الخليل ، ولكنه لا يستطيع ذلك إلا بـاذن من الله ، فلينتظـر ، وليؤمل ... !

ثم جاء - على تلهفٍ وشوقٍ - الأمر الإلهى « قد نَرَى تقلُّبَ وجهِكَ فى السَّمَاءِ فلنوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاها فَوَلِّ وجهَكَ شَطْرَ المسْجِدِ الحَرَامِ ... » (٣) . فاتجه المسلمون إلى الكعبة المشرفة بعد قرابة سبعة عشر شهراً من الصلاة إلى بيت المقدس ..

كانت هذه المدة كافية لفضح ضغائن اليهود ، واثرتهم المفرطة ، وظنهم ان الدين مؤسسة احتكارية يديرها حكماء صهيون كمصلحة جنس من الاجنـاس ، إنهم لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا أن الدين علاقة سمحة رحبة بين الناس ورب الناس

وقد بدا لى من تجـارب كثيرة ان المتاجرين بالحق قد يكونون شراً من

المخدوعين بالباطل ، وان العرب الاميين كانوا - بنقاء سرائرهم - اصلح للحياة والاحياء من اهل الكتاب المستكبرين الشرهين ..

كان اولئك العرب يعتزون بكعبتهم ، ويرغبون طول عمرهم فى استقبالها ، وهم لم ينسوا ان الله حماها عندما اراد نصارى الحبشة هدمها ! وان قوى السماء هى التى تصدت للمغيرين لما عجز اهل الأرض عن الدفاع ، فاذا الجيش المعتدى يلقى « طيراً أَبَابِيلَ ، ترميهِمْ بِحِجَارَةٍ من سِجِّيلٍ ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأكُولٍ » (٤) !!

مع ما كان للمسجد الحرام من هذه المكانة الوطيدة ، فان الصحابة قبلوا عن طيب خاطر ترك استقباله لما هاجروا ، ولبوا امر الله باستقبال بيت المقدس !

كان امتحانا صعبا غير انهم نجحوا فيه « وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ التى كنتَ عَلَيْهَا إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يتَّبِعُ الرَّسُولَ ممن يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وإن كانَتْ لَكَبِيرَةً إلاَّ عَلَى الذين هَدَى اللهُ ... » (٥) .

وعندما يحتدم النقاش حول القبلة التى يتجه الناس إليها يذكر الاسلام حقائق رفيعة ، يلقيها فى مسامع كل من ينتسبون إلى دين ! حقائق لا يقررها إلا الاسلام وحده ! إنه يتساءل : ما هذا اللغط حول الاتجاه إلى شمال او جنوب ؟

إن الكمال البشرى لا يصنعه استقبال مكان هنا او مكان هناك ! الكمال المنشود عمل حقيقى داخل النفس الانسانية تزكو به وتسمو.

العظمة الانسانية ، هى اليقين الراسخ والاستمساك بالله وإن هاجت العواصف ! وبذل المعروف وإجابه الملهوف ، ومساندة الضعفاء وإيتاء المحرومين !

وهى الثبات على المبدأ وإن كثرت المغريات ، والمضى فى الجهاد وإن فدحت المغارم !

إن اتجاه المسلمين إلى المسجد الحرام فى صلواتهم حق لاريب فيه ، وهى قضية تنظيمية سنشرح بعد قليل ابعادها ، بيد ان ذلك لا يعنى نسيان الحقيقة فى الوصول إلى الكمال الانسانى والرضوان الالهى ، وتدبر قوله تبارك اسمه : « لَيْسَ البِرَّ أن تُوَلُّوا وجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ولكنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بالله واليوم الآخِرِ والملائكةِ والكِتَابِ والنبيِّين وآتى المَالَ على حُبِّهِ ذَوِى القُرْبَى واليتَامَى والمساكينَ وابنَ السبيلِ والسَّائلينَ وفى الرقابِ وأقَامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ والمُوفُونَ بعهدِهِمْ إذا عاهَدُوا والصابرينَ فى البَاسَاءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البَأْسِ أولئك الذين صَدَقُوا وأولئك هم المتقُونَ » (٦) .

ان اليهود يلتمسون الشرف من الانتساب إلى نبى الله يعقوب ! والاب العظيم لا يرفع شان بنيه إذا كانت اعمالهم هابطة ! وهم يرتبطون بالقدس والأرض المقدسة ، والأرض لا تقدس احداً ، إنما يتزكى المرء بالهدى والتقى والعفاف والعدالة !

والخلاف بين الناس باق إلى قيام الساعة ، إنه جزء من طبيعة الحياة ، وهو بعض الحكمة فى خلق الناس !

لكن الخلاف مهما اتسعت شقته لا يجوز ان يكون مثار عدوان وتظالم ، ولا يجوز ان يجعل الحيف حقا ، ومن ثم قال الله لنبيه : « وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذين اوتُوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تبِعُوا قِبْلَتَك وما انت بتابعٍ قِبْلَتَهُمْ وما بعضُهُم بتابعٍ قِبْلَةَ بعضٍ ، ولئن اتَّبَعْتَ اهواءَهُمْ من بعد ما جَاءَكَ من العِلْمِ إنك إذاً لَمِنَ الظالمين » (٧) .

والجملة الأخيرة فى الآية الكريمة تشير إلى خصائص امتنا ، وإلى الرسالة التى كلفت بحملها إلى آخر الدهر ..

إن العرب عندما يحملون للناس حضارة فهذه تنفرد بانها موصولة بالسماء ، تعرف الله ، وتلتزم هداه ، وترفض الفلسفات المادية ، والرغبات المجنونة فى عبادة الحياة ونسيان ما بعدها ..

وقد شاء الله ان يذكر للعرب وظيفتهم الدولية ، عندما جعل قبلة العالمين فى أرضهم ، وعندما طالب البشر فى كل مكان ان يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام ! فما معنى هذا ؟

إذا قيل : إن موسكو قبلة الشيوعيين فى العالم ، فليس معنى ذلك اتجاه اليساريين إلى جدار فى « الكرملين » ! بل المعنى انهم يستقون افكارهم ويتلقون توجيهاتهم من هناك !

والواقع أن القرآن الكريم فى سياق تحديده للقبلة قال للعرب فى جلاء : « وكذلك جَعَلْنَاكُم أمَّةً وَسَطاً لتكونوا شهداءَ على الناسِ ويكون الرسولُ عليكم شهيداً » (٨) . والآية توضح الوظيفة التى اختارها القدر لامتنا ، فان الله اختار محمداً ليحمل امانات الوحى ، وليكون بسيرته وسنته اسوة حسنة ! وقد تلقى العرب ذلك كله منه ليعلموا الناس كما تعلموا ، وليهدوهم كما اهتدوا ، او ليكونوا اساتذة للعالم كما كان محمد استاذاً لهم ! تلك وظيفتهم التى رفعهم الله إليها ، والتى لابد من حسابهم عليها ..

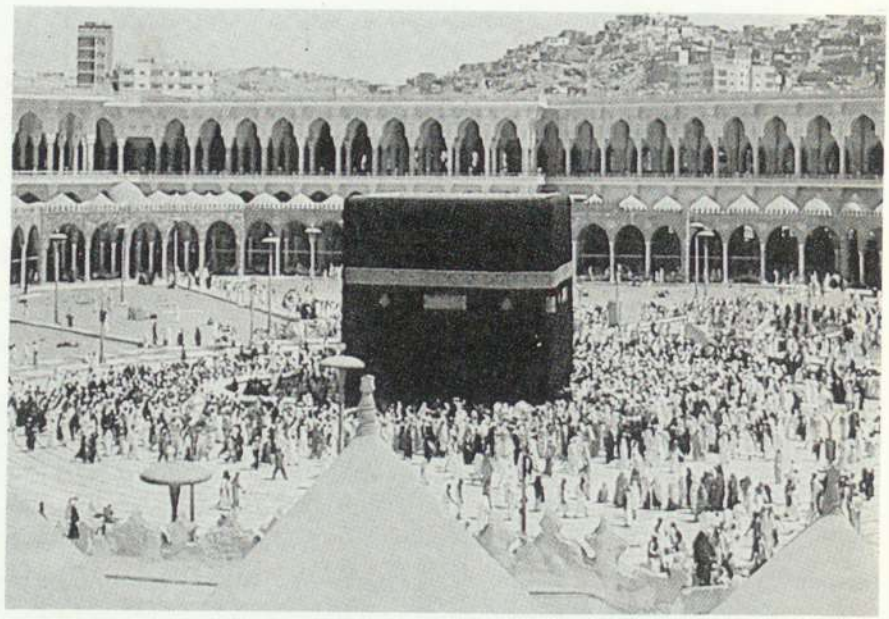
والشهادة على الناس منزلة فوق التبليغ العادى ! قد يكون المرء شاهداً فى قضية لا علاقة له بوقائعها ، كل دوره فيها انه راى وانه يقول الحق ، فهل هذا دور الامة العربية فى تاريخ البشرية ؟ كلا ، ربما تحول الشاهد إلى متّهم إذا تبين من التحقيق أن له أصابع فى وقوع الجريمة !!

والعرب مذ حملوا رسالة الاسلام وجب عليهم أن يستنيروا بها وان يرفعوا منارها ، وان يستطبوا بادويتها ، ويعالجوا علل العالم بدوائها ، فمسئوليتهم مضاعفة . الرسول امام الله يشهد عليهم بانه علمهم من جهالة ، واقامهم من عوج ، وهم امام الله كذلك مطالبون بالشهادة على سكان الأرض ، أنهم بلغوهم الوحي الاعلى ، وقدموا من انفسهم نماذج عملية للتقوى والاصلاح والانصاف ! ترى هل قام العرب بهذه الامانات ؟

إن رباط العروبة بالاسلام وثيق ، وهذا الرباط وحده هو الذى يجعل العرب امة قائدة رائدة فاذا وهت صلتها به ، فهى تخون اساس وجودها ، وهي ستتحول حتماً من راس إلى ذنب ! او من امة تدفع غيرها نحو الخير ، إلى امة يدحرجها الآخرون إلى الشر او إلى الهاوية !

وقد تاكد هذا المعنى مرة اخرى فى سياق تحويل القِبْلة من المسجد الاقصى إلى المسجد الحرام وذلك فى قوله تعالى « وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحَرَامِ ، وحيثُمَا كنتُمْ فولُّوا وجوهَكُم شَطْرَه لئلاَّ يكونَ للناسِ حُجَّةٌ .. » (٩) اي حتى تنقطع حجج العرب الحراص على كعبتهم الضائقين بالاتجاه السابق إلى بيت المقدس ! اما اهل العناد والمتشبثون بالجاهلية الاولى ، فلا تخافوهم ، فامرهم إلى إدبار ونارهم إلى رماد « .. إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشَوْهُم واخْشَوْنِ ، وَلأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ ولعلكم تهتدون (١٠) »

أى أن الله باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل فى الدنيا ، يضاعف على العرب منّته ، ويتم عليهم نعمته .. وقد بدأ الانعام عليهم بانبعاث الرسول منهم « كَمَا أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكّيكُم ويعلمُكُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ ويعلمكُم ما لم تكونوا تعلَمُون (١١) »



والمعنى أن العرب بهذا الدين أضحى لهم تاريخ جديد ، وافتتحوا به صفحة مجد باذخ ما كان لهم به عهد من قبل ، ذلك انهم يتلون آيات الحق ، ويمهدون طريق التربية الفاضلة ، ويخطّون مَعْلَمَ الحكمة والرشد ، فليعرفوا لله حقه وليقدروه قدره « فاذكرونى أذكركُمْ واشكروا لى ولا تكفرون (١٢) » وهكذا يخاطب الله العرب ويشرح لهم ما أسدى إليهم من جميل ! فهل نذكر ونشكر ؟؟

والانبياء شهود على أممهم بالبلاغ المبين ، وقد كان رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس فى حجة الوداع يقول : اللهم قد بلغت ! اللهم اشهد !

وهناك قبل شهادة الأنبياء مواثيق الفطرة التى أخذها الله على ابناء آدم . إن الله أودع فى كل ضمير صوتاً يذكر بالله ويدفع إلى صراطه المستقيم ، ويقاوم التقاليد المنحرفة والأصوات الزائفة ، وما من إنسان إلا وهو مسئول عن هذا الميثاق : « وإذا أخذ ربك من بنى آدمَ مِنْ ظهُورِهِم ذرِّيتَهُم واشْهَدَهُم على انفسِهِم ألَسْتُ بِرَبكم ؟ قالوا بلى شهِدْنا ! أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أوْ تقولوا إنما أشْرَكَ آباؤُنا من قَبْلُ وكنا ذرِّيةً من بعدهم افتُهْلِكُنا بما فَعَلَ المبطِلُون (١٣) » ؟

ويتضح من ذلك أن العدل الالهي يستظهر على كل مخطىء بشاهدين من العقل والنقل ! ومع ذلك ، فان ناسا يوم الحساب سيحاولون بالكذب الافلات من مصيرهم !

مشركون يقولون : « واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشْرِكين (١٤) » ودجالون مُرِّنُوا على الاحتيال والمخادعة فى الدنيا يحاولون فى الآخرة أن يقوموا بالدور القديم « يَوْمَ يَبْعَثُهُم اللهُ جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسَبُونَ انهم على شىءٍ ألا إنهُم هُمُ الكاذبون (١٥) »

وهيهات أن يجدي هذا التملص مهما صاحبه حلف ... !

ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم شهيداً على العرب فسيجاء به يوم القيامة وبالكتاب القيم الجامع الذي بلغه ، وسيرى عندئذ من وفى ومن غدر ؟ بل من آمن ومن كفر ؟ قال الله سبحانه « وَيَوْمَ نَبْعَثُ فى كلِّ أمةٍ شَهِيداً عليهم من انفُسِهِم وجِئْنا بك شهيداً على هَؤُلاَء ، ونزَّلنَا عليك الكتاب تِبْيَاناً لكل شىءٍ وهُدًى ورحْمَةً وبُشْرَى للمسلمين (١٦) »

إننى احببت أن أشرح هذه القضية لأن العرب من أمد قريب أو بعيد شرعوا ينسون او يتناسون رسالتهم ! بل بدا لهم أن يستقيلوا من الوظيفة الشريفة التى آثرهم الله بها أو اصطفاهم لها .

وسمعنا من يقول فى جهل فاضح : إن العروبة شىء ، والاسلام شىء آخر ! وإن العروبة يمكن أن تشق طريقها بغير دين إلى مستقبل مكين !

وقد استجاب نفر من الأغرار لهذه الفرية ، فاذا الأمة المسكينة تتراجع فى كل ميدان ، وتلاحقها الهزائم الشائنة فى كل افق ، ولولا بقايا إيمان مبثوثة هنا وهناك لحل بها خزي الأبد ، ولكنها تقاوم اليوم ببأس شديد معتمدة على مواريث الاسلام وحده .

هل للعرب فى قديم الزمان وحديثه رسالة أخرى غير الاسلام يمكن أن يؤدوها للعالم ؟

إن لمحمد كتابًا وسنة قامت عليهما دولة واينعت حضارة ! وتصدرت قافلة البشرية امة تعتز بهما وتبنى عليهما ، فماذا لغيره فى الأولين والآخرين ؟ وما قدر العرب من غير محمد والاسلام ؟

قال شخص غر : وهل ضروري أن تكون لأمة ما رسالة سماوية حتى تقتعد مكانة مرموقة فى العالم ؟ ما أكثر الشعوب التى استراحت واستقرت برسالات ارضية !!

قلت : هذا الكلام قرة عين الاستعمار والصهيونية ! إنهما ما يريدان أكثر من تجريد المسلمين من عقائدهم وتاريخهم حتى يقفوا أمام أعدائهم عزلا من كل سلاح فعال .

وعندما يفقد عرب فلسطين أساسهم الديني أمام اتباع التوراة فستضيع فلسطين !

وعندما يزهد غيرهم فى معتقداته الاسلامية فسينطلق التبشير العالمى دون عائق ، وتكسب الصليبية جولتها الجديدة

لا بل إن الوثنية التى ذبحت المسلمين فى « أسام » ستقطع شوطاً أوسع فى الاجهاز على مبدأ التوحيد !

إن تحقير الثقافة الاسلامية وتوهين أركانها لابد أن ينتهى بهذه النتائج !

أما يحق لنا أن نحصن الأجيال الجديدة ضد هذه الخيانات الفكرية والاجتماعية ؟؟

محمد الغزالي

هوامش

(١) البقرة : ١٠٩ ـ (٢) البقرة : ١١٤ ـ (٣) البقرة : ١٤٤ ـ (٤) الفيل : ٣ ـ ٥ ـ (٥) البقرة : ١٤٣ ـ (٦) البقرة : ١٧٧ ـ (٧) البقرة : ١٤٥ ـ (٨) البقرة : ١٤٣ ـ (٩) و (١٠) البقرة : ١٥٠ ـ (١١) البقرة : ١٥١ ـ (١٢) البقرة : ١٥٢ ـ (١٣) الأعراف :١٧٢ ـ ١٧٣ ـ (١٤) الأنعام : ٢٣ ـ (١٥) المجادلة : ١٨ ـ (١٦) النحل : ٨٩ ـ

اكتشاف مخطوطات عمرها تسعة قرون

كتب قيّمة من التراث ترى النور لأول مرّة

بقلم : وجيه الشربجي

ان الغوص العميق فى بحر التراث العربى ، طموحا الى وضعه تحت الضوء ، مدروسا ومنظما ، والبحث فى الصرح الثقافي المخطوط عن كنوز المعرفة ، والمنجزات الحضارية ، كشف لمزيد من الشواهد على اصالة الامة العربية ، ودورها الحضارى عبر مسيرة الانسانية الى الامام . وان العمل على إحياء ثمار عقول السلف ، وابراز التراث العربى ثانية الى النور بعد ان طوته لزمن طويل قرون من العجمة والتخلف والامية ، تجذير متواصل لحضارتنا العربية والاسلامية ، تلك الحضارة التى تفيات الانسانية بظلال إشراقاتها ، حينا من الدهر كان مذكورا وخالدا .

من هنا .. نرى ان الانسان العربى بدافع من تاكيد هويته القومية ، يعيش مع العطاء الفكرى النابع من كتب التراث لحظات اتحاد ذاته مع اسلافه .

ويجد بين سطورها رائحة التاريخ وشذى الاوطان ، ويتوق لان يغرف من هذا التاريخ ما استطاع اليه سبيلا .

وعلى طريق إغناء المعرفة الانسانية والمراكز الثقافية العالمية بكنوز التراث العربى العلمى والادبى والفنى ، تقوم دار الكتب الظاهرية بدمشق بخطوات جادة وموضوعية لتصنيف وتوثيق المجموع المخطوطي الكامن تحت قبتها ، والذى قام بجمعه طائفة من العلماء من دور ومساجد ومدارس مدينة دمشق فى نهاية القرن الماضى .

وقد عهدت الظاهرية الى فئة من الاساتذة المحققين مهمة البحث العلمى فى تلك المخطوطات ولمّ شمل ما تناثر منها وما تبعثر .

ومدت جسورا ثقافية بينها وبين المؤسسات التراثية فى انحاء العالم لتبادل صور وافلام المخطوطات العربية والثروة الفكرية الاسلامية التى شردت الى دور الكتب الاجنبية فى ظروف خاصة وذلك تمهيدا لنشرها تباعا واخراجها من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع .

واستطاع الباحثون فى الظاهرية اكتشاف خمس وعشرين مخطوطة من انفس كتب التراث العربى موضوعا وفكرا وذلك خلال عملية التمحيص والاحاطة التى جرت فى العامين الاخيرين ١٩٨١ / ١٩٨٢ م .

وتستمد هذه المخطوطات قيمتها العلمية كونها لكبار قادة الفكر العربى ، ولجمهرة من اعلام الحضارة العربية والاسلامية ، اضافة الى ان بعضها كتب بخط يد العلماء انفسهم .

وقد تبين ان قسما منها يزيد عمره على تسعة قرون ، ولا يوجد منه الا نسخة وحيدة تحتفظ بها الظاهرية دون سواها من المكتبات العربية والاجنبية الاخرى .

ونضع فى متناول المهتمين بشؤون



فهرس مخطوط « قاموس الاطبا » الذى يعتبر من كنوز التراث العربى العلمى

تراثنا الفكرى تعريفا مكثفا لمخطوطتين هامتين الاولى فى الطب ، والثانية فى فقه اللغة اخترناهما من تلك المخطوطات الثمينة التى عثر عليها مؤخراً بعد جهد متواصل من التحقيق والتدقيق .

قاموس الأطبا وناموس الالبّا

مؤلف هذا المخطوط « مدين بن عبد الرحمن القوصوني » علم من اعلام الطب فى القرن الحادى عشر للهجرة . رفعه حذقه فى صناعة الطب الى ان اصبح رئيس الاطباء فى « دار الشفاء » بمصر التى انشاها سيف الدين قلاوون الالفى الصالحى فى عام ٦٨٣ هـ ، وكان القوصوني الى جانب مهارته فى الطب ذا باع طويل فى التاريخ واللغة .

وقد جاء على هامش كتابه بخط يده انه ولد عام ٩٦٩ هـ فى مصر . اما تاريخ وفاته فموضع خلاف . فقد تحدث عنه المحبى فى خلاصة الاثر بقوله « سعيت جهدى فى تحصيل وفاة القوصوني فلم اظفر ، لكن غاية ما حققت من خبرة انه كان فى سنة اربع واربعين والف موجوداً مع الاحياء» .

يعتبر « قاموس الاطبا وناموس الالبا » من اجود كتب علم الامراض والتشريح . فقد اودعه القوصوني خلاصة ما توصل إليه الطب فى الحضارة الاسلامية حتى عصره من معارف،وعصارة ما قام به افذاذ الطب من تجارب وابحاث افاد منها الطب الحديث فى وقتنا الحاضر .

يقع الكتاب فى نحو سبعمائة صفحة من الحجم المتوسط . ويتالف من مقدمة وابواب وفصول نسقت حسب الحروف الهجائية . ومنهج القاموس المحيط . كتب بالمداد الاسود . وقد نسخ هذا المخطوط فى عام ١٣٤٠ هـ محمود صدقي النساخ بدار الكتب السلطانية نقلا عن نسخة الاصل المحفوظة بالدار المذكورة . وكتب عناوينه بالمداد الاحمر وبخط واضح جميل فارسي مشرق .

عرض المؤلف فى المقدمة اسباب تاليفه الكتاب وطريقة ترتيبه له . فقال فى شرح ذلك بعد ان ذكر ما يدل على شرف صناعة الطب « شرعت فى هذا الكتاب الذى لم اسبق الى مثاله ، ولم ينسج على منواله لما اشتمل عليه من ذكر انواع المفردات من المعدن والحيوان والنبات وما يحتاج اليه كل فرد منها من معرفة ضبط لفظه مما ذكره ائمة اللغة باصح ضبط واوضح تبيان . ومن ذكر اسماء المركبات وضبط كل فرد منها مع بيان . وقد ذكر صفة تركيب بعضها كالترياق . ايضاحا لما خفي من غامضه على الاذهان . ومن ذكر بدن الانسان ، وضبط كل فرد منها مع ذكر تعريفه وتشريحه وتوضيحه باوضح بيان . ومن ذكر الامراض وضبط كل فرد منها . مع ذكر تعريفه وسببه وعلامته وعلاجه بحسب الوقت والزمان .

ومن ذكر امور مهمة وفوائد كثيرة جمة لها تعلق بما تقدم ذكره لمريد زيادة الامعان وقد رتبته على ترتيب القاموس ابوابا وفصولا . وحذوت حذوه فروعا واصولا .. »

ثم ذكر على الهامش انه فرغ من تاليفه لهذا الكتاب فى العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين بعد الالف .

كتب قيمة من التراث ترى النور لأول مرة

وتحدث المؤلف فى فصول الكتاب عن امراض كثيرة منها :

الصداع ـ الفالج ـ السعال ـ القيء ـ الهيضة ـ البرص ـ السكتة ـ الحصبة ـ الصرع ـ النمش ـ الخفقان ـ الأرق ـ الطحال ـ الحـــدب ـ الطرش ـ امراض المعدة ـ الطمث ـ اللثوع ـ الجرب ـ امراض العين .

وجاء فى بعض ابواب المخطوط وصف لاعضاء جسم الانسان مع تشريح دقيق لكل جهاز وذكر وظيفته وطريقة عمله .

وفيما يلي : فقرة يصف فيها القوصوني « حصاة الكلية » بموضوعية ويشرح اسباب تشكيلها وسبل التخلص منها ويفند الداء ويصف الدواء .

حصـــاة الكلية

« محركة رطوية غليظة لزجة ، تتحجر فى الكلية والمثانة عن حرارة خارجـة عن الاعتدال . إما لازمة او عارضة تعب او تناول مسخن وسبب الرطوية إما اغذية غليظة كالالبان . وخصوصا الخاثرة . والاجبان وخصوصا الرطبة ، واللحمان كلحم البقر والجاموس ولحوم الطير . والطحينات كلها والخبز الفطير والني . وإما فواكه عسرة الهضم كالتفاح ، والخوخ ، والكمثرى التى لم تنضج . وإما مياه كدرة .

وعلامة حصاة الكلية بول فيه رمل يضرب الى الحمرة . وثقل فى القطن حتى يجد العليل كان شيئا معلقا من قطنه وخصوصا اذا انبطح .

واشتداد الوجع عند امتلاء الامعـاء . وخصوصا فى الكلية العليلة . وربما عرض وجع فى الخصية المحاذية للكلية العليلة . وفى الرجل المحاذية لها . مع خدر . وذلك لمشاركة ما بينهما من العروق .

اما علامة حصاة المثانة . حكة فى العانة وبياض فى البول . ورقة وعسر البول . واكثر من يصيبه حصاة بالكلية يكون سمينا . واكثر من يصيبه حصاة المثانة يكون نحيفا .

والعلاج : الحمية عن المغلظات وادامة الادرار . قال بعضهم واما عند هيجان الوجع فينبغى ان يفصد ان كان الدم غالبا . وتحقن ان كان الطبع يابسا . اما الادوية المفتتة لها والمخرجة لها . فهى مثل القسط وماء الحمص الأسود . والعنصل والكرفس وخصوصا الجبلى . وبزره وحب البلسان ودهنه قوى جداً . او بزر الخيار البرى . والبورق الأرمنى المعجون بالعسل . يستعمل منه كل يوم قدر مثقال بماء الفجل ثلاثة ايام . وذكر بعضهم ان زرق الديك ان سقي منه الكبير وزن درهمين ، وللصغير وزن نصف درهم مع مثله سكر ، اخرج كل حصاة . وربما جعل معه شيء من النعنع والملح . فى حصاة المثانة حب المحلب المقشر المدقوق . اوقية زعفران من كل واحدة منهما ثلاثة دراهم . الشربة مثقالان قال الشيخ «ابن سينا» والترياق يعنى الفاروق الذى لم يعتق . بل هو الى الطراوة وقوة الافيون فيه باقية . ينفع من وجوه كثيرة من جهة الترياقية . ومن جهة الادرار وتفتيت الحصاة ومن تخدير الوجـــع ..... انتهى) .

وفى تشريحه لطبقات عين الانسان ووظيفتها يقول «العين بالفتح حاسة البصر والرؤية . وقال ابن السكيت العين التى يبصر بها الانسان مؤنثة . والجمع اعين . وجمع الكثرة عيون . وجمع الجمع اعينات . والتصغير عينه . وقال الأطباء : هى عضو آلي حساس آلة للبصر . كما ان اللسان آلة للذوق . وليست باصرة وإلا لرؤى الشيء الواحد بالعينين اثنين . وتتم منفعة هذه الآلة بالروح الباصر . وهى للبدن كالطليعة والحارس . وخلقت فى مقدمة البدن . لان ذلك هو من جهة تحركه . وهى مؤلفة من ثلاث رطوبات وسبع طبقات . اما الرطوبات فاولها الجليدية . وهى نيرة مستديرة مفرطحة من قدام ومسـتدقة من خلـف يسيراً . موضوعة فى الوسط وبها الابصار . وما عداها من جميع اجزاء العين فانما خلق لخدمتها . إما لدفع آفة عنها . او لجلب منفعة لها . وثانيها الزجاجية وهى تحيط بالجليدية من ورائها الى نصفها . وثالثها البيضة وهى امام الجليدية . واما الطبقات فان العصب النورى الأجوف المشتمل على الروح الباصر إذا اخرج من القحف الى عظم العين صحبه العنا ن اللذان احدهما رقيق يلاقى الدماغ ويسمى بالأم الرقيقة . وثانيهما غليظ ويسمى بالأم الغليظة . واتسع وعرض طرف كل واحد منهما واحتوى على الزجاجية كاحتواء الشبكية وهى الأولى . وينبت من طرفها نسيج عنكبوتى يتولد منه صفات لطيـف حاجـز بيـن الجليديـة والبيضية لئلا يختلطان ، يسمى بالعنكبوتية وهى الثانية . ثم ينبسط طرف الرقيـق وينتـج عـروق كثيـرة ويحيط بالرطوبـات الثلاثـة ، وبالشبكيـة والعنكبوتية . والنصف الموجز من هذا الغشاء يلتحم عند التحام الشبكية ويسمى بالمشيمية ، لاشتمالها على الشبكية وهى الثالثة . والنصف من هذا الغشاء يصير صفاقا الى غلظ كنصف عنبه وهى العنبية وهى الرابعة . وفيها ثقب من قدام لئلا يمتنع الابصار . وهذا الثقب يسمى بالحدقة وهو مملوء رطوبة .....» الخ ..

فى فقه اللغة

هذا الكتاب جوهرة من الجواهر الكامنة فى دار الكتب الظاهرية . صاغها عالم اللغة الكبير ابو منصور الجواليقى . وشاءت لها الظروف ان تبقى مخبوءة حتى يومنا هذا . الى ان هُيِّيء لهذا الكتاب ان يرى النور اول مرة . فيضيف الى قائمة العلماء الذين كتبوا في «فعلت وافعلت» اسما جديداً هو الجواليقى . وسيزيد فى كتب الجواليقى المعروفة والكثيرة كتابا لم يات احد على ذكره من قبل . وقد جاء هذا الكتاب سهل المجتنى ، مستساغا . يضع بين يدى كل حريص على سلامة استخدام اللغة افعالا عديدة مرتبة هجائيا . يكثر تداولها على الألسنة ، ويحار المرء فى صيغتها «فعلت» او «افعلت» . وقد تناول علماء العربية هذا الموضوع وكتبوا فيه امثال : ابن السكيت ٢٤٦ هـ وابن دريد ٣٢١ هـ ـ وابن درستويه ٣٤٧ هـ ـ والزجّاج ٣١٠ هـ .

وصف المخطوطة : تقع ضمن مجموع فى الظاهرية رقمه ٧٣٠٥ يضم احد عشر كتابا . تبدا من الورقة ١١٣ «ا» وقد كتب فى هذه الصفحة العنوان «ما جاء علي فعلت وافعلت بمعنى واحد مؤلف على حروف المعجم» وتنتهى المخطوطة بالورقة ١٢٣ «ب» .



الصفحة الاولى من « قاموس الاطبا » الذى الفه عالم عربى فى القرن الحادى عشر للهجرة

ـ كتبت بالنقس «المداد» الاسود . بخط نسخى جميل مشكول شكلا تاما . والعناوين بالنقس الاحمر . ووردت فى الهوامش كلمات قليلة كتبها الناسخ نفسه .

ـ عدد اوراقها عشرة مسطرتها ١١×١٤ والهامش ٢,٢٥ س.م وفى كل صفحة خمسة عشر سطراً . وورقها جيد لم يتاثر بشىء .

ـ تبدأ بباب الباء وتنتهى بباب الياء . ويبدو انها منسوخة عام ٦٦٧ هـ .

ـ وتعتبر من مفاخر كتب التراث العربى اللغوى . فقد وصفها ابن الجوزى بانها «قطعة من اللغة» .

وتحتل مكانة تراثية خاصة . نظراً لعدم وجود نسخة ثانية . فالنسخة التى عثر عليها فى الظاهرية هى النسخة الوحيدة والفريدة فى مكتبات العالم .

اسم المؤلف ونسبه

موهوب بن احمد بن محمد بن الخضر ابن الحسن ، ابو منصور الجواليقى . و «الجواليقى» نسبة الى عمل الجوالق ولبيعها . وهى نسبة شاذة لان الجموع لا ينسب اليها بل ينسب الى آحادها . والجوالق بالعامية للشوال ..

ولد فى بغداد فى شهر ذى الحجة ٤٦٦ هـ الموافق شهر آب ١٠٧٣ م . وهو شيخ اللغة فى عصره . درس فى المدرسة النظامية فى العراق . وكانت له حلقة فى جامع القصر يقرىء فيها الادب كل جمعة . قرأ عليه اكثر فضلاء بغداد وكان فى اللغة امثل منه فى النحو .

من صفاته : انه ورع ـ ثقة ـ غزير الفضل ـ كثير الضبط ـ متواضع فى جلسته ورئاسته ـ كثير الصمت ـ وكان فيه لكنة ـ لا يقول الشىء إلا بعد التحقيق والفكر الطويل ـ وقد اخذ العلم عن الجواليقى كثير من العلماء الائمة الكبار منهم : ابن الجوزى وهو امام كبير معروف ـ وابو اليمن الكندى المحدث الحافظ اللغوى ـ وابن الانبارى وهو مؤلف نزهة الالبا فى طبقات الادباء .

وقد اجمع الذين ترجموا للجواليقى أن له مصنفات كثيرة عرف منها : غلط الضعفاء من الفقهاء ـ شرح ادب الكاتب ـ العروض ـ وقد اضاف المستشرق بروكلمان ـ المختصر فى النحو ـ وشرح مقصورة ابن دريد . وعلى الرغم من الاجماع على علم الجواليقى وفضله . فانه لم ينج من لسان شاعر حاقد حاسد مستغلا كثرة نعاسه فى مجلسه .

كون الجواليقىّ فيها ملقياً ادباً وكون المغربىّ معبراً
فاسير لكنته يمل فصاحة
وغفول يقظته يعبر عن كَرَى

وفيما يلي : فقرة من الفصل الأول باب (الحاء) . يذكر فيها بعض الأفعال التى وردت على فعلت وافعلت بمعنى واحد .

«خلسَ رأسُ الرجل واخلسَ فهو خليس ومخلَس ، اذا اختلط سواده ببياضه . خطئتُ الشيء اخطؤه خطا واخطأتُه إخطاء. خضعه الكبر واخضَعَه . خفق الطائرُ بجناحيه واخفق صفَّق بهما .

خنِبَ الرجل واخْنَب إذا هَلك ـ خمَّ اللحمُ واخم تغيَّرت رائحته ـ خلَق واخلَق صار خلقا . خَلَف فم الصائم واخلَف تغير ـ وعبد خالف ونبيذ خالف إذا خالف تقديرك فيه ـ خرطت الشاة واخرطت اذا تحدَّر لبنها فى ضرعها ـ خدَجَت الناقة واخدَجَت اذا القت ولدها لغير تمام» .

وجيه الشربجي
دمشق

أزمة الإنسان العربي في رواية معاصرة

بقلم : يوسف الشاروني

أحاول هذه الأيام أن أقاوم شعور الاحباط بسبب ما يجرى فى عالمنا العربى ، فالوذ بالتاريخ عسانى أرفع معنوياتى . لكم تعرضت منطقتنا لجحافل الغزاة ولمحاولات الابادة التى نجحت بعض الوقت لكنها لم تنجح أبداً كل الوقت . وما أشبه ما يحدث اليوم من استعمار استيطانى غربى اسرائيلى بما حدث منذ قرون من استعمار استيطانى غربى صليبى . لقد دام ذلك الاستعمار مئات السنين لكنه اندحر فى النهاية . هكذا أقول معزياً نفسى ، وأنا بين التفاؤل والتشاؤم ، لا أريد أن أخدر نفسى ولا أريد أن أدعها فريسة الاحباط .

لكننى ككاتب أشعر باحباط اعمق متسائلا : ماذا فعل جيلى من الكتاب والأدباء ، وماذا فعلت أجيال الكتاب من قبلنا وبعدنا ، ولمن نكتب بل ولماذا نكتب ؟ صحيح أن الأديب ليست مهمته أن يخطب أو يعظ ، لكنه – على الاقل – كشاهد على عصره ، يأمل عن طريق نظرته التى يدفعها الاحتجاج فى معظم الاحيان أن يتطور مجتمعه الى الأفضل دائما . لكننا – ككتاب – نجد أن مجتمعنا العربى قد ازداد تأخراً ، وأنه ما تخلص من استعمار إلا ليقع فى براثن استعمار أعتى – استعمار استيطانى هذه المرة كهذا الذى حاوله الايطاليون فى ليبيا والذى حاوله الفرنسيون فى الجزائر – وانه ما اغراه بهذا إلا ضعفنا وفرقتنا ، وانه يعمل على تحويلنا الى هنود حمر فى تفكيرنا وقوتنا فى محاولة للقضاء علينا حضارياً . لماذا نكتب إذن ؟ ويبلغ الاحباط ذروته حين يخيل للكاتب أنه يكتب لمن هم مقتنعون من قبل بفكره لمجرد أن يؤكدوا ذواتهم ويشعروا انهم ينتمون الى مجتمع اعضاؤه هم قراء هذا الكاتب أو ذاك ، هذا فضلا عن بحر الأمية الهائل ، الأمية الابجدية والأمية الثقافية كما يقولون ، والتى تحول دون الكاتب ووصول كلماته الى السواد الأعظم من أبناء لغته .

وسط هذا الاحساس باعادة النظر فى مدى جدوى الكلمة العربية فى لحظتنا الحضارية ، أعدت أخيراً قراءة رواية عبد الرحمن منيف «الأشجار واغتيال مرزوق» . ورغم أن طبعتها الأولى كانت عام ١٩٧٣ إلا أننى وجدت أنها – الى جانب أنها عمل فنى متكامل – تلقى الضوء على كثير مما وصل اليه واقعنا العربى بعد أكثر من عشر سنوات من نشرها .

فالبطل منصور عبد السلام كان استاذاً لمادة التاريخ الحديث بالجامعة . ثم احس ذات يوم أن محاضراته مراقبة ، ومنذ تلك اللحظة تعكرت حياته تماماً . احس انه تحول الى قارىء للكتب الرسمية ولم يعد مدرساً للتاريخ . اصبح يرتد الى داخله مثل أرنب مذعور .. القط الأسود الرابض على سور الحديقة المجاورة مخبر فى جلد قط ، وبائع الحليب امسك بتلابيبه ذات صباح وقال له : إن دققت بابى مرة ثانية اطعمتك للجرذان .. إذهب لا أريد ان اراك . وتحولت قاعة المحاضرات الى سجن ، وكلماته قطع من الحديد الصدىء ، كما اصبح يرفض الاجابة عن اية اسئلة ، ومع ذلك لم يستطع ان يتجنب النهاية الكئيبة التى وصل اليها ، فقبل نهاية السنة الدراسية بثلاثة اشهر تلقى قرار التسريح . وحاول ان يجد عملا آخر لكنه وجد الكل يخافون ان يوظفوا شخصاً سبق



الكاتب الروائى عبد الرحمن منيف



إلى جانب ان هذه الرواية عمل فنى متكامل .. فهى تلقى الضوء على كثير مما وصل إليه واقعنا العربى بعد اكثر من عشر سنوات من نشرها .

تسريحه ، ارسلوا له عن طريق صديق يقولون : لن نكرمك مثلما فعل غيرنا بان ندخلك السجن لكى تصبح بطلا وشهيداً ، ولكن لن نعطيك فرصة بان تعيش براحة مادمت عنيداً هكذا (عبد الرحمن منيف ، الاشجار واغتيال مرزوق ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٩) . وقدم طلبا للحصول على جواز سفر فكانت اطول رحلة فى حياته ، لم يستطع ان يصل الى نهايتها إلا بعد سنتين وسبعة شهور حتى بدا يستدين الى ان اصبح يخجل من اصدقائه متسائلا هل تحول الى شحاذ ؟ حتى عندما حاول ان يكسب لقمته عن طريق الترجمة رفض الناشرون نشر ترجمته . وهكذا لم يكن منصور عبد السلام إلا واحداً من ملايين المواطنين الذين خصتهم سلطاتهم فى معظم الدول فجعلت منهم شخصيات سلبية كل مهمتها فى الحياة ان تهرب وان تختفى . وكان قد قرا اعلانا يطلب مترجماً للعمل مع إحدى البعثات الفرنسية للتنقيب عن الآثار ، فارسل طلبا قوبل بالموافقة . وحصل على جواز السفر اخيراً . وفى القطار تقابل مع شخصية اسطورية هى شخصية إلياس نخلة الذى قص تاريخ حياته على منصور عبد السلام فكانت قصة داخل القصة ، بحيث نستمع فى القسم الاول كله الى قصة إلياس نخلة ، وهى تشغل حوالى نصف حجم الرواية ، وروايتها تلتزم الترتيب الزمنى للاحداث بينما لا تلتزمه القصة الاخرى ، قصة منصور عبد السلام التى نسمع اطرافاً منها تنبعث من عالمه الداخلى اثناء استماعنا لقصة إلياس نخلة . فنسمعه يقول : بقيت لي بضع ساعات فى هذا البلد ، وبعدها اغادره ، لن ارجع مرة اخرى . نعم لن ارجع ، وحتى لو رجعت فلن يكون قبل عشرين سنة . سأتلاءم مع عملى الجديد ، وإذا طردت منه فسوف اجد عملا ثانياً ، اما إذا لم يلائمنى البلد فسوف افتش عن بلد اخر . المهم : ان لا ارجع (ص ١٧) .. ما الوطن ؟ الارض ؟ التلال الجرداء ؟ العيون القاسية التى ينصهر منها الحقد والرصاص وكلمات السخرية ؟ الوطن ان يجوع الانسان ؟ ان يتيه فى الشوارع يبحث عن عمل وراءه المخبرون ؟ ... الوطن المكان الذى يعمل فيه الانسان بين الرجال الذين يعرفهم ويحبهم (ص ٢٥) ثم يعود بنا الى الماضي حين سرح من الجامعة . وهكذا نستمع الى قصتين فى وقت واحد : قصة إلياس نخلة المرتبة ترتيباً زمنياً تتخللها قصة منصور عبد السلام التى تقفز بين ازمنة مختلفة .

وحتى عندما غادر الياس نخلة القطار وخلا الجو لمنصور عبد السلام «لان يقول شيئاً على حد تعبيره ، فقد ظل عدم الترتيب الزمنى سائداً، والسبب فى ذلك منطقى . فقد كان إلياس نخلة يروى قصته على اخر ، وانت عندما تروى قصتك على اخر فعادة ما ترتب حوادث قصتك ترتيباً زمنياً حتى يمكن متابعتها . اما قصة منصور عبد السلام فهى منولوج طويل ، إنها مجرد ذكريات تطفو وتغيب ، إنه يتعرى بحرية بينه وبين نفسه ، والمؤلف يسمح لقارئه بان يطل عليه من احد الثقوب ليطلع على هذا العالم الداخلى الذى يموج بالانفعالات والذكريات حيناً ويضطرب بين عالمى الداخل والخارج حيناً آخر . «.. وعليكم ايها السادة الا تصدقوا كل ما يقوله ، نعم لا تصدقوا ، لان الهلوسات تختلط بالوقائع الصغيرة .. بالاحلام ، واحياناً بالاكاذيب . ومن كل ذلك يتصور منصور عبد السلام حياته او يتوهمها .. فاحذروا (ص ١٥٨) .

وهكذا نتعرف على طفولة منصور عبد السلام ، وهى طفولة شقية لطفل يتيم الاب : عمل فى محل بيع اقمشة ثم فى إحدى المكتبات حيث لقى الاهانة هنا وهناك فهرب من كل منهما . ثم نتعرف عليه فى حاضره ، رجلا فى الخامسة والثلاثين ، كان يحتفظ بمكتبة صغيرة فى بيته حتى وقت قريب ، وكانت بعض كتبها تتمتع لديه بميزة تفوق اى شيء فى هذا الوجود « ولكنى تاكدت مؤخراً ان الكتب بلاء يجب ان يحاربه الانسان ويتخلص منه ، ومن اجل ذلك جعلت نفسى قدوة عندما احرقت اغلب الكتب التى احتفظت بها سنوات طويلة » (ص ١٨٤) ، ثم نعرف انه قبل ذلك كان قد سجن بسبب افكاره ، وان اباه كان يحب السياسة رغم انه كان يقرا الجرائد بصعوبة مما ادى الى نفيه الى الهند خمس سنوات ، فلما مرض عاد الى اهله ليموت بعد سبعة شهور .

ثم يحكى لنا عن علاقاته النسائية ، غراماً عاطفياً ، او حلم يقظة عاشه ، او محاولات زواج فاشلة ، ليلى .. وداد .. رحاب .. ممثلات السينما ، زوجات الاغنياء بنات الجامعة سهام زهدى الصناديقى ، اما كاترين البلجيكية فهى التى عن طريقها عبر المؤلف عن استحالة اللقاء بين الغرب والشرق ، تعرف بها اثناء دراسته التاريخ فى جامعة بروكسل ، كانت واضحة جريئة لها إرادتها وشخصيتها ، شانها فى ذلك



أزمة الإنسان العربي في رواية معاصرة

شان جميع بطلات الروايات التى عبرت فى ادبنا العربى المعاصر عن الصراع بين الشرق والغرب ، قنديل ام هاشم ليحيى حقى ، الحى اللاتينى لسهيل ادريس ، موسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح .. الخ ، فحين يعلن لها ان حرارة بلاده قاسية تبلغ المائة قد لا تتحملها ترد عليه : لاتخف لتحمل الجحيم ، ولا اريد بعد الآن هذا الثلج اللعين (ص ٢١١) . لكنه اجابها : انتم فى نهاية الحضارة .. وتسامون .. ماذا نقول نحن ؟ الاشياء التى تكرهينها نشتاق اليها فى بلادنا ، نموت من اجل ان تكون .. والاشياء التى لا نحبها تتلهفين لكى تريها (ص ٢١٢) .. كاترين نحن عالمان ، التقينا بالصدفة ، وبعد قليل سنفترق ، إن لقاء مثل هذا لا يمكن ان يستمر مهما حاولنا» (ص ٢١٤) .. «لا أريد أن أحزنك يا كاترين ، ولكن كل شيء فى بلادنا مقلوب على راسه .

وعندما عاد الى بلده واراد ان يتزوج سهام زهدى الصناديقى وكان ابوها يساومه على مقدار ما يدفع ، كانت سهام تنظر دون اهتمام كان الامر لا يعنيها . قالت : ليس لي راى ، المهم ان تتفق مع بابا .. ولكنك انت التى ستتزوجين يا سهام .. اعرف ولكن بابا هو الذى يقرر كل شيء .. وانت ماذا تقررين .. هل تريد ان تحرجنى (ص ٢٢٧) . علاقة هى الاخرى محكوم عليها بالفشل لاسباب تختلف تماما عن العلاقة السابقة . ترى ما الذى اغرى استاذ الجامعة المثقف بسهام زهدى الصناديقى وما الذى جذبه نحوها ؟ ليست هناك كلمة حتى عن جمالها الحسى . اما الحب فهو لا يشير اليه لانه ـ كما هو واضح ـ علاقة مستحيلة بينهما .

ويلوذ منصور عبد السلام بذكرياته باحثا عن صدر احتضنه ذات يوم ، فينقب فى ماضيه حتى يعثر على مغامرة صغيرة عاشها ثلاثة ايام حين كان على ضفاف البحر الاسود ، حين تشبثت به احدى الفتيات لكنه تملص منها عندما كان عليها ان تسافر لموعد مع امها فى بودابست .

ويخرجنا منصور عبد السلام من عالمه الداخلى ليشارك حاضره بدوره فى هذه المقارنات الحضارية ، إذ تدخل امراة الى حيث يجلس فى القطار ووراءها شابة لا تتجازو العشرين ، نفهم من حديثهما انهما غادرتا مكانهما السابق بالقطار لان العجوز اعترضت على ان تتحدث الفتاة مع رجال يشاركونها المكان «فالبنت المؤدبة يجب الا تعطى عينا للرجال .. هذه عادة الرجال دائما : اول مرة يسال عن الوقت واخر شيء يعتدى عليك ، انا اعرف الرجال» (ص ٢٣٥) . وهكذا اغلقت البوابة وسدت فى وجهه الطرق على حد تعبيره .

وبعد عودة منصور عبد السلام من الخارج دعي لخدمة الوطن لمدة ثلاث سنوات اصيب بعدها بازمة نفسية . كان يقول : افهم ان نهزم مرة . وافهم ان نهزم مائة مرة . لكن الشيء الذى لا افهمه هو ان نتصور هزيمتنا انتصارا (ص ٢٤٨) . وقد ظل يعانى من حالة الكابة والعزلة فترة طويلة ، ولم يتوازن إلا بعد ان عين فى الجامعة لتدريس مادة التاريخ المعاصر وهو يؤمن ان التاريخ قصة طويلة وحزينة تمتلىء بالاكاذيب (ص ٢٥١) .

وكان عليه ان يعبر الحدود لينضم الى بعثة التنقيب عن الآثار . وعند الحدود احس انهم يتطلعون اليه بسخرية قاسية . وبعد ان امطروه وابلا من الاسئلة واذنوا له بالسفر دخل عليه اثنان وبدءا استجوابه من جديد ، ثم اتضح انهما من رجال الجمارك يستفسران عن صديق رحلته إلياس نخلة الذى تعرف عليه فى رحلة القطار ونزل عند محطة الحدود ، لكنه ذعر منهما واصابه الخوف والتردد وهو يجيب على اسئلتهما مع انهما موظفان صغيران لا يستطيعان منعه من السفر . لهذا احس انه تخلى عن إلياس نخلة عندما اعلن لهما انه لا يعرفه ابدا ، لم يره من قبل ، وحتى اسمه التقطه فى اللحظات الاخيرة والقطار يسير (ص ١٧٢) .

وهكذا نتعرف على قصتى الياس نخلة ومنصور عبد السلام من خلال حركة القطار رمز الحياة ، وإن كنا نتعرف على قصة الشخصية الثانوية اولا لتنكشف لنا من خلالها قصة الشخصية الرئيسية كانما عرضا . ثم تنتهى روايتنا بيوميات منصور عبد السلام عن عمله فى الموقع الذى يعمل به مع بعثة التنقيب عن الآثار . وهكذا تجمع روايتنا بين ثلاثة اساليب من اساليب الحكى الروائى : اسلوب الاعتراف او الافضاء الشفاهى الى شخص حاضر ، واسلوب المنولوج او الافضاء الصامت ، واخيرا اسلوب اليوميات وهو إفضاء مكتوب الى شخص مجهول .

يكتب منصور عبد السلام فى يومياته انهم كانوا «ثلاثة عشر رجلا ، لا توجد رائحة امراة فى مساحة نصف قطرها خمسة عشر كيلو مترا» (ص ٢٨٩) . كان يقول للفرنسيين «نحن فى الشرق لا نحتمل فقط وإنما نهوى ان نعذب انفسنا .. الشرق موطن الاحتمال . لقد تحول الشرق الى حمار . ضحكوا للكلمة الاخيرة» (ص ٢٩٥) وقرا فى الصحف نبا قتل رفيق كفاحه مرزوق (ولعله يرمز بذلك الى قتله هو فمرزوق على وزن منصور الذى كان يبحث عن وسيلة للرزق ولم يكن منصورا فى حياته ابدا) ، فكتب يقول «الوطن هذا الوشاح الاسود الذى يلبسه كل الناس ، يلبسونه فى الليل ، فى النهار ، وهم نائمون وهم ياكلون .. الى متى تبقى كذلك ايها الوطن ؟ الجوع والعذاب ، واليوم : القتل (ص ٣٠١) . ويكتب فى يومية اخرى «يجب ان اخترع طريقة استطيع بواسطتها القضاء على كل شيء فى الوطن : الاشجار ، الماعز ، الخيانة ، الهزيمة ، الحفر فى الشوارع والبذاءة» (ص ٣١٦) .

ويبدو ان عبد الرحمن منيف كان يمهد بذلك لجنون بطله الذى لم يجد طريقة سواها لخلاصه .

واخيرا اطلق منصور عبد السلام النار على شبحه فى المراة . وخلال نصف ساعة جاؤوا واخذوه الى مستشفى المجانين .

إن رواية الاشجار واغتيال مرزوق من روايات تانيب الذات الذى يجتاح الضمير العربى فى هذه الفترة التاريخية التى نمر بها . وهى بما تحتشد به من اساطير ورموز قد استطاعت ان تقدم واقعا وفنا ونبوءة .

يوسف الشارونى

مجمرة الرماد



شعر:
حسن عبدالله القرشي

قد تحجَّرتُ فالتمسى النّارَ
فى غيرِ قَلْبى
ولا تغْرقِى فى شُعَاعِ النجومِ
ولا تسالى لِمَ قلبى تحجَّرَ
من بعدِ أن كانَ يرقُصُ
فوق حدائقِ شمس النّهَار ؟!

• • •

كان قلبى السؤالَ
وكنت إجابة هذَا السؤالِ
وكنتِ المحبةَ
فانغلقت رؤيةُ الحبِّ
واختنقتْ
فى خضمِّ المسافاتِ
فى صمْتِ كل الجَنَائزِ
أجنحةُ الوردِ .. واليَاسمينْ !
كنتِ لي .. كنتِ
لكن اذرعةَ الغَيبِ
حينَ اختباتِ
وحِينَ تَرَاكَضَ فى شَفَقِ الحُلْمِ
ظلُّك ، وانجابَ ظِلِّي
وحين تغرّبتِ
فوقَ شَوَاهِدِ كلِّ المقَابِرِ
قد عدتِ وَهْماً
حقيقته انطمستْ وتعرَّتْ
فأصبحتِ مطمورةَ الهمْسِ
غائبةً فى مَدارِ السِّنينْ



• • •

لَمْ أَعُدْ ذلك المشفِقَ المتأنِّى
فَتَحْتَ القِبَابِ
أرى النَّهْرَ مستَخْذِياً
واحِسُّكِ أبْعَدَ .. أَبْعَدَ
راجفةً كدبيبِ النِّمَالِ
كمجمرة عبِّئتْ بالرَّمادِ
فَلا فَوْحَ تَنْشُرُهُ
لا شُعَاعاً
سوَى قبْضَةٍ من هَبَاءٍ
وذَرَّاتِ سَجْنَى التوابيتِ
ساقطةً من حُطَامٍ مهين !!



حاييم هيرتسوج

حاييم هيرتسوج
على خطى بن جوريون

بقلم : عصام شريح

بتاريخ ٢٢ ـ ٣ ـ ١٩٨٣ ، انتخب الكنيست الاسرائيلى حاييم هيرتسوج رئيساً «سادساً» للكيان الصهيونى ، خلفاً لاسحق نافون الذى انتهت مدة رئاسته في الرابع من أيار (مايو) الماضى . وقد فاز هيرتسوج بمنصب الرئاسة كمرشح لحزب العمل المعارض وضد مرشح حزب الليكود الحاكم قاضى المحكمة العليا «مناحيم إيلون» ، وجاء فوزه على إيلون بأكثرية ٦١ صوتاً مقابل ٥٧ صوتاً لمنافسه ، وبعد أن «خان» خمسة من النواب الأعضاء فى الليكود حزبهم وصوتوا لصالح هيرتسوج . وقد أحدث انتخاب هيرتسوج صدمة لحزب الليكود ورئيسه مناحيم بيجن ، لكن وزير الداخلية يوسف بورج وصف ما حدث بأنه ليس أكثر من نكسة صغيرة ، أو «بنشر» فى سيارة الليكود ، وقد أمكن اصلاح «البنشر» واقلعت السيارة من جديد

وقد عزا المراقبون نجاح هيرتسوج على مرشح الليكود ، الى مرونته وعدم تعصبه الحزبى حيث يعتبر من تيار الوسط داخل حزب العمل المعارض ، اضافة الى أن منافسه على المنصب القاضى «إيلون» لم يكن شخصاً معروفاً .

والمهم هنا أن نعرض لبعض مناحى تفكير هيرتسوج ، للاسهام فى تقييم واقعى لاتجاهاته السياسية والفكرية ، وذلك انطلاقاً من القاعدة التى تقول : «اعرف عدوك» .

من هو ؟

ولد حاييم هيرتسوج فى ١٩١٨/٩/١٧ بمدينة بلفاست عاصمة ايرلندا ، وكان والده الحاخام الأكبر فى ايرلندا ، وأصبح فيما بعد الحاخام الأكبر فى الكيان الصهيونى . وهاجر هيرتسوج مع عائلته الى فلسطين فى عام ١٩٣٥ ، وانضم الى منظمة «الهاجانا» ـ احدى العصابات الصهيونية المسلحة التى شكلت فى فلسطين قبل الاعلان عن قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ـ وتجند فى الجيش البريطانى فى عام ١٩٣٩ ، وحارب فى صفوفه خلال الحرب العالمية الثانية ، وجرح على مشارف مدينة «بريمن» الالمانية الساحلية ، بعد أن شارك فى معركة «ارنهايم» لعبور نهر الراين ، وكان ضمن أفراد أول فرقة للحلفاء دخلت الأراضى الالمانية ، وبسبب معرفته اللغة الالمانية ، تم تحويله الى وحدة الاستخبارات الخاصة التى طاردت زعماء النازيين ، وكان هيرتسوج ضمن الضباط الأربعة الذين ألقوا القبض على رئيس جهاز الاستخبارات الالمانى المعروف باسم «الجستابو» ـ هنريخ هيملر .

بعد ذلك عاد الى فلسطين ، ونشط داخل أجهزة الوكالة اليهودية فعين فى عام ١٩٤٧ رئيساً لشعبة الأمن فيها ، وخلال الحرب العربية ـ الاسرائيلية فى عام ١٩٤٨ ، عمل هيرتسوج ضابط عمليات فى اللواء السابع ، وحينما أنشىء جهاز الاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى ـ كقسم من شعبة الأركان العامة فى أواخر عام ١٩٤٨ ـ عين رئيساً لهذا الجهاز ، وفى عام ١٩٥٠ نقل من هذا المنصب لكى يعين ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة وكندا ، وفى عام ١٩٥٤ ، عين قائداً للواء القدس ، ثم عين فى عام ١٩٥٧ رئيساً لأركان المنطقة الجنوبية ، وقائماً باعمال قائدها آنذاك ، وفى أيار (مايو) ١٩٥٩ ، عين رئيساً لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وأنهى خدمته فى هذا المنصب فى عام ١٩٦١ مختتماً بذلك حياته العسكرية الرسمية .

بعد خروجه من الجيش عمل هيرتسوج فى عدة مجالات رسمية وغير رسمية ، ففى أعقاب احتلال الضفة الغربية فى حرب عام ١٩٦٧ ، عين أول حاكم عسكرى على الضفة الغربية المحتلة ، وكان قد عمل فى السنوات السابقة فى المجال الصناعى ، واشترك مع مجموعة من المحامين المتخصصين بقضايا الصناعة والاقتصاد ، كما عمل فى ميدان الصحافة والاعلام . وخلال حرب عام ١٩٧٣ ، اشتهر بتعليقاته عن هذه الحرب ، كما فعل فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ . وفى الفترة ما بين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٨ شغل هيرتسوج منصب مندوب اسرائيل لدى الأمم المتحدة ، ومنذ عام ١٩٨١ وحتى انتخابه لرئاسة الكيان الصهيونى فى ٢٢ آذار (مارس) الماضى ، كان يحتل أحد مقاعد الكنيست عن حزب العمل المعارض .

هيرتسوج وأميركا

تشكل «رؤيا» هيرتسوج لنمط السياسة الاسرائيلية الواجب اتباعها نحو الولايات المتحدة ، ومعها ، جوهر فكر الرجل على الصعيد السياسى والاستراتيجى ، وهيرتسوج لا يبدو خلافاً فى هذا المضمار بقدر ما يبدو ـ مثل غالبية قادة حزب العمل ـ تلميذاً نجيباً لـ «دافيد بن جوريون» صاحب الفكر السياسى الاستراتيجى الحقيقى حتى الآن فى الكيان الصهيونى .

وانطلاقاً من «تعاليم» معلمه إبن جوريون ، يحاول هيرتسوج أن يصوغ مواقف سياسية تكتيكية لمعالجة المشاكل والأزمات الطارئة التى تواجه اسرائيل فى صراعها مع العرب . ومن هذه المواقف التكتيكية على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ دعوته الى وضع السياسة الاسرائيلية فى خط مواز للسياسة الأميركية والمصالح الأميركية فى المنطقة ، كما حدث مثلا عندما قامت حكومة مناحيم بيجن بضم هضبة الجولان السورية المحتلة رسمياً الى الكيان الصهيونى ، فقد حمل هيرتسوج بشدة على حكومة بيجن بسبب هذا القرار ، لأنه عكس فى رأيه اخفاقاً فى/ فهم نوعية ادارة الرئيس الأميركى السابق جيمى كارتر ،

ولأن بيجن وقف «فى مواجهة ادارة مختلفة كلياً ، تعكس فى ردود فعلها الطبيعية معايير الحياة السياسية المحلية فى الولايات المتحدة» . واتهم هيرتسوج بيجن فى مقال تحليلى كتبه فى صحيفة «معاريف» بتاريخ ٢٥ ـ ١٢ ـ ١٩٨١ ، بعدم فهم الخارطة السياسية فى واشنطن ، وبالتالى بانعدام القدرة على التقدير الصحيح للدوافع المؤثرة على التفكير السياسى الأميركى . وفى تقدير هيرتسوج ، أنه ليس مهماً أن تكون الخطوة السياسية التى تخطوها الحكومة الاسرائيلية «صحيحة ومحقة» ، بل ان المهم هو أن لا تتقاطع هذه الخطوة مع الخط السياسى الأميركى فى منطقة الشرق الأوسط أو غيرها من المناطق ، بحيث تؤثر سلبياً على الموقف الأميركى خاصة والموقف الغربى عامة إزاء السياسة السوفيتية ، أو بحيث تقود الى تماثل فى الموقفين الأميركى والسوفيتى ، وهو أخطر ما يمكن أن يواجه اسرائيل ـ على حد قوله .

ويسوق هيرتسوج مثلين على ذلك فيقول «لقد عملت السياسة الاسرائيلية دائماً بشكل يمنع حصول تماثل فى المصالح أو السياسات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، إذ لا توجد قوة فى العالم تستطيع الصمود على المدى البعيد فى وجه إجماع القوتين الأعظم ، وجميع إنجازات اسرائيل بعد حرب الأيام الستة ـ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ونتائج حرب «يوم الغفران» ، والمفاوضات مع مصر خلال التسويات المرحلية وما تبعها ـ ما كان بالامكان تحقيقها بهذا الشكل لو لم تكن الدولتان الأعظم فى حالة مواجهة فيما بينهما حول قضية الشرق الأوسط» .

ويضيف هيرتسوج قائلا : «فى عام ١٩٤٨ ، وفى أعقاب القرار التاريخى لدافيد بن جوريون بالاعلان عن قيام دولة اسرائيل ، كان العامل السياسى الرئيسى الذى ساعد فى مسار إقامة الدولة ، موافقة الدولتين الأعظم ، وفى سنة ١٩٥٦ ، تشكل مرة أخرى تماثل فى التوجه بين الدولتين الأعظم ـ الأمر الذى جعل الانسحاب من سيناء إجبارياً» .

الأستاذ ابن جوريون

من كل هذا يخلص حاييم هيرتسوج الى صياغة موقف استراتيجى هو فى الواقع موقف مستمد من الخط السياسى الاستراتيجى الذى وضعه بن جوريون . ويقوم الموقف الذى صاغه هيرتسوج على أساس أو أساسين متكاملين هما : إبقاء المشاكل معلقة دون حلول فيما يتعلق بالصراع مع العرب ، بحيث تبقى المبادرة فى يد اسرائيل دوماً ، ثم العمل من خلال المفهوم المرحلى فى السياسة ، ونبذ العمل «الطفروى» أو الانفعالى فى هذا المضمار .

ويشرح هيرتسوج هذين الأساسين فى بناء مواقفه ـ أو المواقف الاسرائيلية ـ فيقول : «لقد كان دافيد بن جوريون كبيراً بما فيه الكفاية ، ليعرف الى أى مدى يستحسن السير الى الأمام ، ثم الانتظار هناك ، حتى المرحلة التالية» .

حاييم هيرتسوج
على خطى بن جوريون

ويضيف « أن امام اسرائيل خطين مركزيين تجنبت الحكومات السابقة (حكومات حزب العمل) الخروج عليهما ، «فلقد حذر دافيد بن جوريون دائماً من الاسهاب فى شرح المواقف أكثر مما يجب ، حيث فى تقديره ،

أن انعدام الوضوح فى الكلمات والعبارات من جهة ، ووجودنا (أى وجود الاسرائيليين) على الأرض من جهة أخرى ،

هما «الثنائى الأفضل» ـ حيث أن طابع المشكلات التى تواجه اسرائيل ، وانعدام الاستقرار فى المنطقة وصعوبة رؤية المستقبل وحساسية وضعنا ، اجتمعت معاً لتفرض علينا سياسة تقضى بابقاء المشاكل معلقة فى الهواء ودون حل ـ من أجل الاحتفاظ بالمبادرة على الأرض فى أيدينا» .

وفى سياق تبريره لهذه السياسة ، يقول هيرتسوج «ان ابن جوريون قد عارض بشدة تعيين حدود الدولة فى وثيقة الاستقلال ، ولقد وصلنا الى حافة حرب تهدد وجودنا ، ولم يقبل ابن جوريون بتكبيل أيدينا ، والأمر نفسه ينطبق على اتفاقات الهدنة المتعلقة بالمناطق المعزولة ، حيث كان الموقف منها غامضاً ، ولكن مع مرور السنوات ، أصبحت تلك المناطق جزءاً لا يتجزأ من اسرائيل » .

من كل هذا نستنتج أن موقف حاييم هيرتسوج ـ الذى يعكس بالضرورة الموقف الرسمى لحزب العمل ـ لا يختلف عن موقف مناحيم بيجن وبالتالى حزب الليكود الحاكم حالياً ، من حيث الجوهر ، وان كان يختلف عنه من ناحية الشكل والمظهر ،

فهيرتسوج كما هو واضح فى أقواله يسعى الى قضم الأراضى العربية ، وتحقيق السياسة الصهيونية التوسعية ، ولكن دون حرق المراحل ، ودون اللجوء الى أساليب الدعاية والاثارة التى تضر فى نهاية المطاف بسمعة اسرائيل فى الخارج ، وتنعكس سلباً على علاقاتها مع حلفائها الغربيين ،

وتثير الرأى العام العالمى ضدها ، اضافة الى أنها تفتح عيون العرب على سياساتها التوسعية .



دافيد بن جوريون



مناحيم بيجن



اسحق نافون

تناقص عدد اليهود

فى أواسط السبعينات طرح هيرتسوج مسألة التكاثر الطبيعى للعرب الفلسطينيين فى مقابل الانخفاض الحاد فى عدد اليهود فى العالم ، وقال ان هذه المعادلة ليست فى صالح اسرائيل على المدى الطويل ، لأن الفلسطينيين سيتكاثرون باضطراد نتيجة لعملية الانجاب المبكر بالنسبة للزوجين وغير المحدودة أيضاً . فيما سيصبح اليهود أقلية فى المستقبل اذا استمر تناقصهم على المنوال الحالى ، سواء فى اسرائيل ، أو فى العالم . وعزا هيرتسوج هذا التناقص الى انخفاض عملية التكاثر الطبيعى أولا ، ثم للزواج المختلط ، واندماج اعداد من اليهود وانصهارها فى المجتمعات الأوروبية والأميركية ، وغيرها .. ولتعزيز وجهة نظره هذه قدم بعض الاحصاءات فى هذا المجال فقال انه قبل مائة سنة فى أوروبا الشرقية ،

وقبل بضع عشرات من السنين فى أوساط يهود آسيا وأفريقيا ، كان متوسط عدد الأولاد الذين ولدوا لأم يهودية ، يبلغ سبعة أولاد ، فى مقابل ولدين فقط للام اليهودية التى تعيش خارج اسرائيل ، وأضاف هيرتسوج أن الزيادة السنوية بالالف بين اليهود فى العالم كانت قبل مائة سنة ١٧ ، وقبل خمسين سنة ٧ ، فيما انخفضت هذه النسبة الى ٤ قبل ربع قرن ، وغدت سلبية فى السنوات الاخيرة ، لأن الاحصاءات فى بعض الدول الأوروبية ،

تشير الى زيادة نسبة الوفيات على نسبة الولادات . وأشار أيضاً الى أنه عندما نترجم تلك المعطيات بالمقارنة مع عدد اليهود فى العالم ، فان النتيجة ستكون «مذهلة» ، إذ أن عدد اليهود فى العالم اليوم لا يزيد على تسعة ملايين ونصف المليون نسمة ، فاذا أضفنا اليهم يهود اسرائيل ، فان العدد لا يتجاوز اثنى عشر مليوناً ونصف المليون نسمة . وطبقاً لتوقعات هيرتسوج ، فان عدد يهود العالم باستثناء اسرائيل ، سينخفض إذا استمر التراجع الحالى فى حركة التكاثر الطبيعى من تسعة ملايين ونصف المليون الى حوالى ثمانية ملايين مع نهاية القرن الحالى ، والى خمسة ملايين ونصف المليون فى الربع الأول من القرن الحادى والعشرين . ومع أن هيرتسوج يتوقع أن يصل عدد اليهود فى اسرائيل بعد عشرين سنة ، الى أربعة ملايين ونصف المليون يهودى ، والى ستة ملايين ونصف المليون فى الربع الأول من القرن القادم ، بيد انه يعرب عن قلق عميق إزاء نسبة التكاثر الطبيعى العالية بين الفلسطينيين خاصة

والأمة العربية بوجه عام ، ويدلل على ذلك بالاشارة الى أن التكاثر الطبيعى لدى الفلسطينيين حتى عام ١٩٧٧ ، كان أكثر من مثيله لدى اليهود بضعفين ونصف .

ومجمل القول هنا ان هيرتسوج لا يخفى خشيته وقلقه البالغ إزاء تزايد عدد الفلسطينيين المضطرد سنة بعد أخرى ، فى مقابل تناقص عدد اليهود ، لان هيرتسوج يدرك أن عدد السكان له دور حاسم فى نهاية المطاف بالنسبة للصراع العربى – الصهيونى . وقد حذر رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق ناحوم جولدمان من هذا الواقع ، ورأى فى «عقدة» التفوق العددى المطلق للعرب فى مقابل أقلية يهودية فى الكيان الصهيونى ، وضعاً لا يمكن زحزحته وجعله ينقلب لصالح اسرائيل ، اضافة الى ان التفوق النوعى لاسرائيل لن يستمر طويلا ، وعندما يبدأ العرب فى منافسة اسرائيل فى هذا المضمار فان تصفية الكيان الصهيونى ، تصبح مسالة وقت ، وتحصيل حاصل .

وهذه النتيجة التى وصل اليها جولدمان هى فى الواقع ما وصلت اليه سيئة الذكر ، جولدا مئير عندما قالت : «إن كل طفل فلسطينى يولد ، يشكل هاجساً بالنسبة الي» ، ويبدو واضحاً أن حاييم هيرتسوج يعانى هو أيضاً من هذا الهاجس الفلسطينى والعربى الذى هو التكاثر الطبيعى ، كما يبدو واضحاً من الصورة المرعبة التى طرحها هيرتسوج عن تناقص عدد اليهود ، وارتفاع عدد الفلسطينيين فى مقابل ذلك ، انه يشارك جولدمان فى تأكيده على استحالة مواجهة اسرائيل للعرب فى هذا المجال .

هيرتسوج رجل الاستخبارات

كان العمل الاستخبارى أبرز مجال حاز على اهتمام حاييم هيرتسوج ، ولهذا نراه يبدأ حياته بصورة عملية بالعمل الاستخبارى ضمن الجيش البريطانى وقوات الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية ، حيث عمل ضمن وحدة المخابرات البريطانية الخاصة التى لاحقت زعماء اليهودية فى عام ١٩٤٧ ، قبل الاعلان عن قيام اسرائيل ، وبعد الاعلان عُيِّنَ أول رئيس لجهاز الاستخبارات العسكرية فى الجيش الاسرائيلى ، حيث قضى نحو عامين فى هذا المنصب ، وعاد الى رئاسة نفس جهاز الاستخبارات فى عام ١٩٥٩ ، حيث بقى على رأس الجهاز زهاء ثلاث سنوات .

وفى الواقع فان هيرتسوج بنى القسط الأكبر من شهرته و «مجده» الشخصى على نشاطه الاستخباراتى ، ليس لانه رجل محب للظهور كما يصفه كثير من عارفيه فحسب ، وإنما لانه يقيم لهذا النشاط الوزن الأكبر فى «نجاح» اسرائيل فى حروبها مع العرب ، وفى اتقاء ضربة عربية قاضية .

ولذلك نرى هيرتسوج يحدد فهمه للعمل الاستخباراتى ولرئاسة جهاز الاستخبارات العسكرية على النحو التالي : «إن قضية الاستخبارات العسكرية ، هى احدى المهام الهامة جداً ، ولولا وجود جهاز استخبارات ممتاز ، لما كان بامكان اسرائيل قصف المفاعل الذرى العراقى وتدمير الصواريخ السورية فى البقاع .

أما بالنسبة لرئيس جهاز الاستخبارات العسكرية ، فانه يشعر دوماً بانه مسئول عن خط الدفاع الأول فى الدولة ، التى هى معرضة دائماً للخطر ، لهذا فان عليه واجباً يومياً ، بل وأكثر من يومى ، انه واجب فى كل ساعة ، ولان كل ما يفعله يتحمل مسئوليته ، فاننى أشك فى أن رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية يستطيع أن ينام ملء جفونه ولو ليلة واحدة . وفى هذا المنصب نكران للجميل فقد ينجح رئيس الجهاز فى ٩٩ بالمائة من عمله ، بينما يقضى فشله فى عمل واحد على كل هذا النجاح ، ففى مثل هذا الجهاز تشكل نسبة واحد بالمائة من الفشل أمراً خطيراً جداً ، كما حدث فى حرب يوم الغفران ، حيث ينسى (المسئولون ...) الـ ٩٩ بالمائة من النجاحات التى حققت» .

وبالرغم من المبالغة فى الأطناب بدور جهاز الاستخبارات العسكرية ، فان هيرتسوج يعترف مع ذلك بان الجهاز أخطأ أكثر من مرة ، وانه كانت هناك «أخطاء صعبة ، كما كانت هناك أخطاء أقل صعوبة» ، لكنه يعزو هذه الأخطاء غالباً ، الى أن الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة كان لديها ميل كبير جداً «للاعتماد على تقييمات جهاز الاستخبارات العسكرية ، دون القيام بتقييم منفصل لها» ، وكانت حرب عام ١٩٧٣ ، شاهداً على هذا الخلل ، الذى «بدأ إصلاحه» بعد ذلك .

ومن خلال هذا الفهم لدور العمل الاستخبارى فى مسيرة الكيان الصهيونى ، فان هيرتسوج يلقى على جهاز الاستخبارات العسكرية جميع المهمات الصعبة والشائكة التى تواجهها اسرائيل فى الحاضر والمستقبل ، لان هذا الجهاز هو الذى يضع قرارات الحكومة الاسرائيلية عملياً عبر تقييماته ، التى تعتمد من قبل الحكومة دون مناقشة .

هيرتسوج .. الرئيس !!

على الرغم من أن منصب رئيس الكيان الصهيونى – «رئيس الدولة» – هو منصب فخرى ، يحاول الاسرائيليون من خلاله فرض وقار العلم والثقافة والأدب على كيانهم المصطنع ، حيث حددت القوانين الاسرائيلية «وظيفة» الرئيس فى القيام بأعمال بروتوكولية والانصراف الى النشاط الثقافى والأدبى والعلمى ، فانه من الصعب أن يحصر هيرتسوج نفسه عملياً ضمن هذا الاطار الشكلى والمسرحى من المسئولية ، خاصة وانه شغل منصب رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية مرتين ، وقضى فى العمل بهذا الميدان القسط الأهم من حياته. واذا أخذنا بتصريحاته التى أدلى بها عقب انتخابه رئيساً ، وقال فيها انه سيعمل على مواجهة الفروقات الاجتماعية القائمة بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين ، ويخفف من حدة النزاع القائم بين الفئات المتدينة وغير المتدينة ، فان الرجل – الذى قضى سحابة عمره فى صفوف حزب العمل (حزب اليهود الغربيين) ، لا يمكن فى رأينا أن يتنازل عن العمل لصالح حزبه وأفكاره التى شغلته حوالى ستين عاماً أو أكثر ، ويقبل بالانزواء فى قصر صغير لا يمارس فيه سوى العمل البروتوكولى المحض ، وفى رأينا أيضاً أن فترة رئاسة هيرتسوج للسنوات الأربع القادمة سوف تشهد احتداماً فى الصراع الحزبى والطائفى فى الكيان الصهيونى .

عصام شريح

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

كانوا صقورًا

يقال إن الصقر هو العاشق الاصيل للحرية ، والذي تتجسد فيه الانفة والكبرياء والشموخ ، فلا ياكل الا ما تصيده مخالبه ، ولا يدنو من جيفة مهما تضور جوعاً ، ولكنه ما إن يقتنصه الانسان حتى يتبدل ، فيتحول بعد اشهر من الترويض إلى مخلوق ذليل مستكين ، ينفذ أوامر سيده ، متجاهلا شوق اجنحته الى الانطلاق بعيداً عن أي قيد .

وكثيرون من الكتاب العرب يشبهون الصقور ، اذ كانوا فى بداية حياتهم الأدبية مفعمين بالحماسة لكل ما هو نبيل ورائع وجميل فى الكون ، تواقين الى حياة تسودها قيم تدرأ الظلم عن البشر ، وتعيد إليهم حريتهم وفرحهم ، ولكنهم بعد اعوام من الصدام مع الواقع ، انطفأت نارهم ، واتضحت حقيقتها ، فاذا هى نار اعواد ثقاب ، وليست نيران البراكين التى ستجتاح أنقاض العالم القديم المرفوض ، واذا هم جوارب عتيقة ، وليسوا اشجار السنديان القادرة على مواجهة اشد العواصف ضراوة ، فتساقطوا مهزومين ، تاركين راياتهم للوحل ، وباعوا سيوفهم وجيادهم ووردهم الأبيض ، وأمست اقلامهم لا تتقن سوى تنظيف الاحذية ، ولم تعد من الأقلام الحالمة بان تبني للانسان مدناً جديدة سعيدة ، وأصبح كل ما يبغون الفوز به لا يتعدى المغنم الشخصي المادى ، فاستخدموا النفاق والكذب والرياء والخنوع والتملق أسلحة تمكنهم من الظفر بماربهم ، متاهبين دائماً لتقديم الخدمات لكل من كان قادراً على دفع الثمن .

لقد تخلوا عن البيت الذى ولدوا فيه ، وتحولوا إلى حيوان مفترس ، محاولين تلطيخ كل اديب بالوحل حتى يصير شبيهاً بهم ، معلنين الحرب على الاصالة والموهبة والامكانات الحقيقية ، فكل اديب مازال يقاتل ، هو مرآة يشاهدون فيها وجوههم المشوهة ، ولذا فهم يسعون لتحطيم تلك المرآة حتى يصبح الشرخ فى المرآة لا فى حياتهم .

ولكن وجودهم ليس أبدياً لكونه مرتبطاً بالتخلف السائد حالياً ، وهو تخلف لن يستمر حياً ، ولابد من أن الجياد الاصيلة ستطاهم يوماً بسنابكها ، وتقذف بهم الى اكثر القبور ظلمة .

المثقفون الطبول

يتصف الوطن العربى بصفات كثيرة ، منها ان هناك اناساً مازالوا يعيشون فوق أرضه ، زاعمين بتجهم ووقار انهم المثقفون القائلون القول الفيصل ، ولا شيء ينال اعجابهم سوى ما يصدر عن أشخاصهم ، فاذا كتب كاتب ما نقد أصاراً مرا لواقع فاسد ، فنقده فى رأيهم تنفيس لنقمة الجماهير ، أما اذا كتبوا هم عن تربية الخنازير ، فما كتبوه هو الصوت الحقيقى للشعب والمعالجة البناءة لمشكلاته .

واذا امتدح شخص حديقة خضراء ، فهذا المديح تملق رخيص ، اما اذا اقدموا هم على تقبيل الأقدام ، فسلوكهم مجرد تكتيك مرحلى يخدم استراتيجية بعيدة المدى وخطيرة الشان .

واذا مات مواطن جوعاً ، فموته تعبير عن هروب وتجاهل للتطور الحتمي لتاريخ الشعوب ونقص فى الوعى الصحى والايديولوجي ، أما اذا مس رؤوسهم طيف صداع ، فالامبريالية هى المتامرة والسبب الأوحد .

واذا دخن مواطن سيجارة اجنبية الصنع ، ففعله تفسخ ودعم لعالم الاستغلال .

أما اذا قاموا هم بجولة فى ملاهي اوربا تستمر أشهراً ، فان جولتهم تلك تصبح لا هدف لها الا الاطلاع على تحلل العالم الرأسمالي وانهياره .

ان التخلف له نفوذه وقيمه وعداته وتقاليده ، وله ايضاً ممثلوه فى شتى مجالات الحياة اليومية ، كما ان التقدم له ايضاً قيمه وسيطرته ، وله ممثلوه الصادقون والمزيفون . وهؤلاء المثقفون المزعومون ليسوا إلا ممثلين متخلفين للتقدم ، ودورهم فى الحياة اليومية اكثر خطراً من المدافعين عن التخلف بالحراب والأنياب ، فمن المؤكد أن المتخلف البعد بتخلفه أقل خطراً على قضية التقدم من متخلفين يختبئون تحت رايات التقدم ، مستمدين منها الحماية والحصانة ، حتى تطرد تلك الرايات النائمين تحت ظلالها ، والذين لا يستيقظون الا فى أوقات توزع الأسلاب ؟

الطوفان نائم أم مهمل؟

أي أجنبي يزور البلاد العربية بوصفه سائحاً لا محتلا ، سيلاحظ ان ميزان العدل منصوب ، ولكنه لن يتمكن من التنبه إلى أمر مهم طريف ، وهو التالي :

من يسرق مكنسة ، يعتقل ويستجوب ويحاكم ويسجن ، أما من يسرق قصة أو قصيدة أو دراسة نقدية ، وينشرها بعد تعديل طفيف أو غير طفيف على أنها من تأليفه ، فلا يطارد ولا يعتقل ولا يستجوب ولا يحاكم ولا يسجن ، بل يسارع بعض محرري الصفحات الأدبية في الجرائد والمجلات إلى تمجيده والثناء على مواهبه كأنه نال جائزة نوبل للأدب مرتين .

وما دامت المكنسة تجد من يدافع عنها ويحميها من اللصوص ، ومادام الأدب لا يجد أي حماية ، فهل الأدب أقل أهمية من المكنسة ؟

ولابد من المسارعة إلى التنويه بأن هذا السؤال يخلو من التعريض بالمكنسة ، ولا يحاول التقليل من مكانتها ، فالمكنسة لها دور بناء في تطوير الحياة الأدبية ، ولكنها تهمل القيام بدورها التاريخي بحجة أن الأدعياء باتوا أغلبية وتأديبهم من مهمات الناقد المسمى بالطوفان .

ناطحو صخرة

من المعتقدات الشعبية الشائعة ان الحمار إذا وقع يوماً في حفرة ما ، فهو في المرة الثانية سيتنبه إلى تلك الحفرة ، ويتجنبها ، ويحاذر الوقوع فيها ، ولذا فان الحياة الأدبية العربية ستصبح أكثر أصالة وقوة وصحة ونظافة إذا قلد بعض أدبائها الحمار واتخذوا منه قدوة ، خاصة الأدباء الذين يزعمون انهم ينتجون أدباً متقيداً بالنظريات السياسية ، فهم منذ الخمسينات وحتى اليوم لم يحصدوا في المجال الأدبي سوى الاخفاق تلو الاخفاق ، وظل أدبهم مجرد جعجعة لها قراؤها الأميون فنياً وفكرياً ، فالقصة مقال ، والقصيدة تعليق سياسي حماسي سطحي والمسرحية حوار سمج يتناول مسائل فكرية جامدة ، وينتهي بمقدم الفجر وصياح الديكة .

ولم يدرك هؤلاء الأدباء حقيقة بالغة الخطورة وساطعة كشمس افريقية ، وهي ان الكتابة الرديئة فنياً إساءة كبرى الى الأفكار التي تتناولها ، فالتزام أديب ما بأفكار معينة تمنح نتاجه قيمة اجتماعية ، أما القيمة الفنية فلا يمكن الحصول عليها الا عن طريق الموهبة والأصالة ، والأثر الأدبي الذي لا يشتمل على قيمة فنية هو مجرد كلمات جوفاء تحيا أعواماً بفضل الدعاية .

وهكذا فان النظريات السياسية اذا كانت تحارب في الميادين الأدبية ، فالناطقون باسمها هم الذين يحاربونها الحرب الحقيقية التي تشوه ، وتجعل القارىء الواعي يشهر سكيناً لحظة يلمح أديباً يدعي أنه المناضل من أجل غد أفضل .

ومن المستحسن التذكير بان الغراب اذا ظل مدة سنوات تلميذاً في مدرسة البلابل ، فانه حينما يفتح فمه لن يستطيع إلا أن ينعق فقط ، وسيظل مضطراً الى البحث عن معجبين بين الغربان .

وإذا كان عدد الغربان في الآونة الأخيرة قد ازداد ، فهذا ليس بالدليل على انها من الفئة المغردة .

الحمار الذكي

فكر الحمار طويلا ، باحثاً عن مهنة ما مناسبة لمواهبه وامكاناته ، ثم قرر ان يصبح مغنياً ، فاستنكر كثيرون اختياره ، واتهموه بالحمق والغباوة ، فقال لهم الحمار : « إذا لم أتصف بالحمق والغباوة فلن أكون حماراً ، فلماذا الاستنكار ؟ » .

ومن المؤكد أن جواب الحمار لا يعوزه الذكاء ، وجدير بالأعجاب .

النجاة في الكذب

الكتاب المؤمنون بالصدق وحده ، والذين فرض عليهم قدر غريب الأطوار ان يكتبوا باستمرار في الجرائد ، يجدون أنفسهم في معظم الأحيان فريسة للهلع ذاته الذي يحس به من تعصب عيناه وينتظر سماع الأمر باطلاق النار ، أما اذا دفنوا رؤوسهم في الرمال ، وتجاهلوا القاتل والقتيل ، وقرروا ألا يكتبوا إلا عن الفن والفنانين والفنانات ، فان المتاعب والاخطار تظل تطاردهم أيضاً ، فاذا قالوا إن سعاد حسني في بعض أفلامها جميلة شبيهة بشجرة خضراء في شتاء قاس فان نجلاء فتحي تلطم الخدود ، وترسل برقيات الاحتجاج إلى مجلس الأمن الدولي .

واذا قالوا ان فاتن حمامة ممثلة بارعة ، فان ماجدة ترغي وتزبد ، وتعلن بمختلف اللغات عن مناقصة عالمية لاستئجار « ناقد محترف » .

واذا قالوا ان فهد بلان ملاكم ومصارع يغني ، فهم العملاء الذين تبرهن الأدلة على انهم قبضوا الرشاوى من بتهوفن وفاجنر وشركة لوكهيد .

واذا قالوا ان ماري منيب أكثر حياة من الكلام الذي يحكي عن وجود فن أصيل ، فان المرحومة ماري تغضب وتعتبر المقارنة إهانة لا يمحوها إلا الدم وحده .

ولذا فلعل الكتابة الوحيدة الكفيلة بان تتيح لكاتبها أن ينام قرير العين هي الكتابة التالية : « هذا وذاك واولئك وهاته وهاتان وهؤلاء وهاتيك وهنا وهناك وهنالك والذي واللواتي والتي ومهما ومتى وأين وكيف وأينما وكيفما ولكي وحتى وحيثما وأوشك .. » .

ولكن حتى هذه الكتابة قد لا تنجو من منجّم يتبرع بتفسيرها الذي يجعل شعر الرأس يتحول إلى غابة شوك ، وأسباب هذا التحول قد تكون غامضة قليلا ، ولكن غريزة حب البقاء تحتم ألا يتناولها أي توضيح .

مسافر على الرصيف



..وهكذا كان نعمان!

بقلم: محمود السعدني

لم يكن عمرى يتجاوز الثالثة عشر عندما رايت نعمان عاشور لاول مرة . فقد كنت زميل دراسة لشقيقه الصغير . وكان يبدو على اسرته انها على شىء من اليسر ! لم يكونوا اثرياء ولم يكونوا فقراء ، ولكنهم كانوا «ناس طيبين» بالتعبير المصرى الفلاحى . ثم اعتدت رؤية نعمان بعد ذلك وهو جالس فى ندوة انور المعداوى على قهوة عبد الله ، فقد كان عضواً اصيلا فى الندوة ، بينما كنت اجلس مع شلتى بعيداً عنها ، فلم يكن السن يسمح بعد بالاقتراب من مجلس الأساتذة الكبار ! ولكن عندما حدث اللقاء بينى وبين الندوة عن طريق العم زكريا الحجاوى ، اكتشفت ان نعمان عاشور هو اقرب اعضاء الندوة الى العبد لله ، فقد كان فى منتصف الطريق بينى وبين زكريا الحجـــاوى وعبد القادر القط والشيخ قطامش . وكانت تعليقاته حارة وساخرة ، ولكنه كان يتلفت حوله فى حركة غير ارادية كلما صدر عنه تعليق من هذا النوع . ثم ادركت السر عندما علمت انه كان ضمن المعتقلين الذين ساقهم اسماعيل صدقى باشا الى السجن ، وكان نعمان ضمن الذين افرج عنهم رهن المحاكمة ! وبالرغم من استقراره النسبى فى وظيفة حكومية محترمة إلا انه كان دائم القلق . وربما كان خوفه الدائم من الحكومة هو الذى دفعه الى العمل كسكرتير صحفى للدكتور زهير جرانة وزير الشئون الاجتماعية فى عهد فاروق ! ومن المؤكد ان قيام ثورة جمال عبد الناصر قد خففت من قلقه ، وكان فى اسعد ايامه عندما جاء الى وزارة الشئون الاجتماعية رجل فاضل من ريف مصر ، تثقف فى جامعات اوروبا وامريكا ، وانبهر بنظم الحياة ، وعاش على امل ان يسود مصر مناخ مثل هذا المناخ الذى عاش فيه يوماً ما فى الغرب . كان الدكتور عباس عمار هو الذى بث الطمانينة فى قلب نعمان عاشور . ومن المؤكد ان نعمان بدأ يمارس الكتابة للمسرح فى تلك الأيام المبكرة من ثورة جمال عبد الناصر . وعندما كتب «وابور الطحين» لم تحدث الأثر الذى كان يرجوه . كانت اول تجربة . ولذلك جاءت باهتة ، ليصدق عليه المثل المصرى «المليح يبطىء» ومعناه ان الحصان الجيد لا يتقدم فى اول الشوط ! ولم يراوده الياس بعد الشحوب الذى لازم تجربته الاولى ، فكتب «الناس اللي تحت» . وكانت هذه المسرحية هى شهادة ميلاد اب المسرح المصرى الحديث . كان المسرح قبل نعمان عاشور روايات شعرية على طريقة روايات المدارس الثانوية للشاعر عزيز اباظة الذى كان يتولى لمدة طويلة من الزمان وظيفة مدير مديرية اسيوط ، وهى وظيفة بوليسية لأن الأمن العام كان اهم المسئوليات المنوطة بالمدير ! وكانت مسرحيات توفيق الحكيم لوناً من الترف الثقافى تصلح للقراءة ولا تصلح للتمثيل .

نعمان عاشور



والى جانب هذه المسرحيات كانت هناك مسرحيات الريحانى وعلي الكسار . وهى كلها مسرحيات فرنسية ممصرة ، ولكنها ابداً لم تتناول مشاكل مصر الحقيقية ، ولم تتعرض لهموم المصريين من قريب او بعيد ! لم يكن قبل نعمان عاشور إلا مسرحيات يوسف وهبى ، وهى مسرحيات خطابية اغلبها ، وإن كان بعضها قد تعرض لمشاكل مصرية حقيقية ، غير ان الفنان يوسف وهبى كان من المؤمنين بشعار «خف تعوم» ولذلك لم يحاول الغوص فى الأعماق قط ! كانت مسرحية «الناس اللي تحت» هى اول مسرحية مصرية حقيقية تعرض على المسرح المصرى وكان حوارها الموحى الذكى هو اول حوار ينطق بلسان الناس العاديين ، البواب والكمسارى وصاحبة البيت والنصاب ورجائى الثرى الذى تدحرجت به الأحوال الى السرداب ، واحدثت المسرحية زلزالا فى عموم مصر ، وكانت هى السبب المباشر الذى فتح الطريق امام مواهب كثيرة اقتحمت المسرح المصرى بعد نعمان : الفريد فرج ، وسعد وهبه ، ويوسف إدريس ، وعلي سالم ، ومحمود دياب . ولكن ما كاد نعمان يستقر ويشمر عن ساعده استعداداً للكتابة ، حتى حدث ما لخبط كيانه من جديد وافقده التوازن ! لقد اختفى الدكتور عباس عمار وجاء الصاغ كمال الدين حسين الى الوزارة ومعه طاقم من ضباط المخابرات احتلوا مكتب نعمـــان عاشـور وراحوا يصدرون الأوامر . وكان نعمان مستعداً فى كل لحظة الى التنازل عن مقعده خلف المكتب لاى واحد من هؤلاء حتى «سيادة الصول» الذى لم يكن يؤدى عملا معيناً فى الوزارة !

وعندما غاب كمال الدين حسين وانتقل الى وزارة التربية والتعليم حل محله البكباشى حسين الشافعى . وجاء حسين



إسماعيل صدقى



عزيز اباظة



نجيب الريحانى



يوسف وهبى



على سالم

الشافعى ومن خلفه مجموعة من صغار الضباط الذين خدموا معه فى المعسكرات . واحتل هؤلاء مكاتب وزارة الشئون ، وكان مكتب نعمان عاشور فى مقدمة المكاتب التى احتلت ، وانزوى نعمان يجلس احيانا فى مكتبه ولكن فى المكان المخصص لجلوس الضيوف.وعاوده الشعور بالقلق والخوف من المستقبل . وفى تلك الأيام عكف على كتابة «الناس اللي فوق» وجاءت صورتها فى النهاية مهزوزة كحالة نعمان سواء بسواء ! ولكن حظ نعمان الحسن اوقعه فى طريق زميلين من كبار الموظفين ، كانا السبب المباشر فى تهدئة روح نعمان القلقة . سعيد قدرى الذى كان مديراً للعلاقات العامة بالوزارة ، ومدحت حمدى الذى كان سكرتيراً خاصاً للوزير . وكان سعيد قدرى واحداً من الموظفين الذين اشتركوا فى تاسيس وزارة الشئون الاجتماعية . وكان بفكره ومعتقداته تلميذاً مخلصاً لحزب الفلاح الذى ضم نخبة من المثقفين الذين تناقضوا مع العهد قبل الثورة. وهو الحزب الذى تعاون مع الثورة فى بداية عهدها ، ومثله فى الحكم الدكتور احمد حسين ، والدكتور عباس عمار ، والدكتور فؤاد جلال . وكان رجال هذا الحزب قد تلقوا تعليمهم فى امريكا وتاثروا باسلوب الحياة هناك . وكانوا يحلمون بمجتمع عصرى وسلوك حضارى ، ولذلك كانوا يذهبون الى مكاتبهم بالقميص والبنطلون . وبعضهم كان يرتدى القبعة لحماية راسه من الشمس الحارقة . وكان سعيد قدرى يتعامل مع موظفيه كانهم مجموعة من الاصدقاء . وبالطبع وجد سعيد قدرى فى نعمان عاشور ما هو اكثر من الصديق . فقد كان نعمان هو الفنان الوحيد الذى يعمل بالوزارة . وهو المثقف الوحيد ايضا الذى يهتم بما هو اوسع من قوانين العمل وخطوات تطبيق الضمان الاجتماعى ! وكان مدحت حمدى من جيل نعمان ، وكان من اسرة تشبه اسرة نعمان ، الفرق الوحيد ان نعمان كان ينحدر من اصول ريفية بينما مدحت كان من اسرة عاشت فى المدينة وشغل افرادها المناصب العليا فى الادارة والشرطة وقيادة الجيش . وبقدر ما كان نعمان قلقا كان مدحت حمدى واثقا من نفسه ، وبقدر ما كان نعمان مترددا كان مدحت مقداما . وكان يتعامل مع الوزراء الذين عمل معهم من موقع الند . وكان لا يخفى رايه فى احرج المواقف واشدها حساسية ! يردد رأيه فى اسلوب العمل وينتقد ممارسات الثورة امام ضباطها . وكان لهذه الصحبة اثرها فى نفس نعمان . ولعل هذا الشعور الجديد بالاطمئنان هو الذى انتج فى النهاية اعظم روائع نعمان عاشور وهى مسرحية «عيلة الدوغرى» ! ولقد خسر نعمان عاشور كثيراً حين ترك مجال الوظيفة واتجه الى غابة الصحافة . خصوصا وان نعمان ليس صحفياً ولكنه فنان واديب ومفكر . كما ان اى كاتب صحفى تمرس على هذا العمل واعتاده كان باستطاعته ان يخطف انتباه القراء من نعمان عاشور . ولذلك اصبح نعمان هو القلق بعينه بعد ان كان يعانى القلق فحسب !

وضاع نعمان عاشور فى خضم التيارات المتضاربة ، ولم يرحمه هؤلاء الذين كانوا يكافحون ضد السلطة ويمنون على الناس كفاحهم ويعيرونهم احيانا . ولم يرحمه ايضا هؤلاء الذين كانوا يؤمنون بان السلطة هى روح الشعب ، وان الشرف الحقيقى يكمن فى الوقوف معها ومطاردة اعدائها . واخيراً وجد نعمان نفسه فى الشارع مفصولا مع عشرات غيره من الصحفيين ، ولم ينقذه من هذه الورطة إلا مصطفى امين ، فقد كان يقدر مواهبه ويعتقد انه الطبعة العصرية والشعبية من توفيق الحكيم !

واشتغل نعمان عاشور كاتبا فى اخبار اليوم ولايزال . وكان هو الوحيد الذى اشتغل بالكتابة من افراد الدفعة التى فصلت فى العام ١٩٦٥ . ولكنه عاد الى شرنقته القديمة محتميا بحذره وقلقه وتطيره الشديد . وكتب مسرحيات كثيرة بعضها صادف نجاحا ، والبعض الآخر لم يلمع ، ولكنه بكل المقاييس والمواصفات عراب المسرح المصرى الحديث ، وبالتالى فهو عراب المسرح العربى الحديث كله . وهو رائد النهضة المسرحية الحديثة التى انفجرت كالقنبلة فى الستينات من هذا القرن ولايزال صداها يتردد عبر السنين . و «رجائى بك» فى «الناس اللي تحت» و «الطواف» فى «عيلة الدوغرى» سيخلدان فى تاريخ مسرحنا طالما هناك مسرح ورواد وعاشقون ! وليس هناك احد ممن تبعوه ومضوا على طريقه استطاع ان ينافسه او يقترب من قمته . ولو كان لنعمان عاشور جسارة يوسف ادريس ، واعصاب سعد وهبة لصار للعرب نجم لامع وعلى قدم المساواة مع إبسن ! ولقد استطاع نعمان عاشور بفضل حذره الشديد ان ينجو من المعتقلات والسجون ، فى الوقت الذى ضمت فيه هذه السجون كل ادباء مصر تقريبا ما عدا قلة قليلة . إلا انه استطاع بالرغم من كل شىء ان يكتب مسرحيات لامعة ، وتعرض لمشاكل اجتماعية شائكة . ولكن نعمان غاب فى العصر الساداتى فلم يكتب شيئا ذا قيمة حقيقية . فقد اغلق مسرح الدولة ابوابه فى وجهه ، وعندما اتجه الى المسرح الخاص لم يستطع ان يثبت اقدامه عليه ، فقد كان الانهيار قد شمل كل شىء فى البلاد ، وحط

..وهكذا كان نعمان!



سعد الدين وهبه



صلاح عبد الصبور



محمود دياب

الخراب على كل مجالات الفنون وخصوصا مجال المسرح . واكتفى نعمان فى النهاية بتدوين مذكراته او ذكرياته .

ونعمان هو أفقر الأدباء المصريين «الكبار» فكلهم والحمد لله يرفلون فى العز . وبعضهم يملك الضياع والقصور . ولكن نعمان خرج من الدنيا بفيلا على حافة الصحراء الشرقية فى ضاحية المعادى ، ويعيش وحيداً تقريباً بعد ان رحلت السيدة زوجته منذ اعوام عن دنيانا . والسبب انّ نعمان لم تسمح له ظروف «كتابته» بالاسترزاق الواسع . فهو كتب للمسرح اعظم انتاجه عندما كانت اعظم مسرحية تباع بخمسمائة جنيه . وكتب بعض انتاجه للاذاعة عندما كانت المسلسلة الشهرية يدفع عنها ثلثمائة جنيه ! وهو اهتم فى بداية حياته بكتابة فصول عن تاريخ مصر . وهو لا يخفى إعجابه بالمعلم الاكبر عبد الرحمن الجبرتى الذى كتب تاريخ مصر فى يوميات قصيرة اشبه بالمسرحيات . ثم حاول كتابة القصة القصيرة ولكنه لم يوفق فيها ، وان كان من خلالها قد اثبت مقدرته الفذة على رسم الشخصيات . كما ان حوار الشخصيات فى قصصه القصيرة كان حواراً مسرحياً بلاشك . ولعل اشهر اصدقائه هو العم «ابوعبادة» وكان صعيدياً يبيع القازوزة على مقربة من منزل نعمان فى صباه . وكان «ابو عباده» يتمتع بمواصفات جسدية تؤهله لبطولة العالم فى الملاكمة ، ولكنه كان غبياً الى الحد الذى لم يكن يستطيع الحصول على قوت يومه إلا بصعوبة . وهذا التناقض الحاد فى شخصية «ابو عبادة» ، سيكون هو محور شخصيات نعمان عاشور ، كما ان «عبادة» مجنون قهوة عبد الله الهم نعمان بدون شك اشياء كثيرة . ولكن شخصية نعمان الحذرة المترددة المتوجسة من كل شىء منعته من ان يكون له صلات واسعة بالشارع المصرى كزكريا الحجاوى ، كما حالت بينه وبين عقد صلات قوية بالوسط الادبى كانور المعداوى ، واكتفى كتوفيق الحكيم بالمشاهدة دون المشاركة ، وبالمراقبة دون الالتحام . ولكنه على عكس توفيق الحكيم لم يلجأ الى برجه العاجى قط ، ولم يفقد وعيه لحظة ، بل كان يتامل من الشارع نفسه ، ويراقب وهو وسط الجماهير ، ويحلم واحدى عينيه مفتوحة والأخرى نصف مغلقة !! ولذلك حمل قضية الجماهير على كتفيه ، وحارب فى صفها ، ولم يكتب حرفاً واحداً فى حياته ضد مصالحها . وبالرغم مما قدمه نعمان عاشور للمسرح العربى بقدر ما تجاهله نقاد النظريات إياها التى روجت كثيراً لاعمال اقل شاناً من اعمال نعمان عاشور ، والتى ذهب بعضها بعيداً فرفع ميخائيل رومان ـ وهو للعلم كاتب مصرى وليس كاتباً اجنبياً ـ درجات فوق نعمان عاشور . وهو موقف غريب من هذه الاقلام سبق ان وقفت موقفاً مشابهاً له حين توجت عبد الرحمن الشرقاوى اميراً للرواية العربية ، واغفلت ذكر نجيب محفوظ !! وفى المقابل تخصصت اقلام من نوع اخر فى مهاجمة نعمان عاشور ، وطاردته تلك الاقلام العفنة حتى فى الفترات التى اعتكف فيها نعمان ، وكف فيها عن الكتابة ! ولكن المؤكد انه سيذكر فى تاريخ مصر الجديدة انها انجبت نجيب محفوظ فى الرواية ويوسف ادريس فى القصة القصيرة ونعمان عاشور فى المسرح وصلاح عبد الصبور فى الشعر . وإذا كان سعد وهبة قد تحول الى منتج ، ويوسف ادريس الى كاتب مقالات سياسية ، ومحمود دياب الى راهب ، والفريد فرج إلى مهاجر بدون سبب ، فان نعمان عاشور وحده هو الذى بقى فى المسرح وحده ، يعانى اللهب والوحدة والصراخ ، وهو الذى سقطت على راسه شظايا البيت المسرحى عندما نسفه المتامرون ، ومع ذلك ظل يصرخ بقدر ما اوتى من قوة ، غير ان صراخه كان خافتاً ، وربما لم يكن مسموعاً وسط ضجيج الانفجارات ! وللتاريخ اقول انه لم يقف مع نعمان ولم يثبت مكانه إلا على سالم ، وإن كان هو الآخر قد اضطر الى الهجرة بعض الوقت ، وعندما اشتدت الضربات ، وتم احكام الحصار حول اصحاب المواهب .

واذا كان لنا ان نضيف شيئاً لامجاد نعمان فلابد ان نقرر مطمئنين انه كان صاحب الفضل الأول على بزوغ نجم فرقة المسرح الحر ، وهى التى كانت البداية الحقيقية للنهضة المسرحية التى بلغت ذروتها فى الخمسينيات . والتى انجبت فرقة الخميسى ، وهى الفرقة التى لفتت نظر السلطة الى خطورة المسرح ، فكانت فكرة انشاء مسارح التليفزيون ، التى بدات بشكل جيد وانتهت بكارثة حقيقية ، بسبب تدخل عدم الموهوبين واشراف الجهلاء من « دكاترة » السلطة !

ولو كان فى مصر رغبة حقيقية الآن فى اعادة الروح الى المسرح المصرى ، فان مكان نعمان عاشور الطبيعى اليوم هو حجرة المدير فى المسرح القومى ، أو حجرة رئيس مجلس الادارة فى مؤسسة المسرح . ولكن عيب الذين يظهرون الرغبة فى تجديد المسرح المصرى ، انهم يريدون التجديد ولكن فى اطار نفس الوجوه التى اغلقت المسرح وشردت ابناءه !

وعلى كل حال ، واذا كانت العبرة بالخواتيم ، فان خاتمة نعمان كانت على خير ما يرام . فهو قد ادى واجبه نحو امته ، وبذل كل ما لديه للمسرح ، وإن كانت ظروف استثنائية قد حرمت المسرح من كل ما لديه . وهو احد ابناء مصر العظام الذين اسهموا بجهد خلاق فى إثراء روح مصر العظيمة ، وهو واحد من بناة مصر الحديثة واثره فيها لا يقل عن اثر مختار فى النحت وحسن فتحى فى العمارة . وهو فى النهاية واحد من شلة ندوة قهوة عبد الله ، زميل انور المعداوى وزكريا الحجاوى والشيخ عبد الحميد قطامش . ولكنه وحده كان له الفضل فى الصعود على خشبة المسرح بالناس العاديين . صعد بهم وبمشاكلهم وباحلامهم وبالامهم ، ومنحهم الفرصة ليعرضوا مشاكلهم تحت الاضواء وبمصاحبة المؤثرات الصوتية والضوئية ، ولعل هذا هو السبب الذى جعله موضع اضطهاد من السادة اصحاب المصلحة فى كل العهود .

طوبى لنعمان عاشور .

محمود السعدنى

مـــراثيـــ الشـــهـــداء

شعر: محـــمد الظـــاهر

(مهداة للشهيد وليد أحمد جبريل المناصرة ، الذى استشهد فى الجنوب اللبناني بتاريخ ٢٠ / ٣ / ١٩٨٢)

لوليـــــدْ
لانفجارِ اللحظةِ البكرِ منَ الموتِ المحتَّمْ
للشـــــهيدْ
للدَّمِ النازفِ من جرحِ المخيم
يورقُ الحرفُ
وينحازُ النشيدْ

●

كانَ تلميذاً على دربِ القضيَّهْ
يتهجَّى السَّطْرَ من أوَّلِهِ
فَيَرَى فيما يَرى
شارَةَ النصرِ على زندِ مقاتِلْ
وحديدِ البندقيَّهْ
وَيَرى
وطناً يخفقُ فى تِلْكَ الذُّرى
خارجاً من فورةِ الدَّمِّ
على شكلِ هويَّهْ
كان مسكوناً بأوجاعِ الوطَنْ
وصُدَاعِ الأسئِلهْ
كان يلوى عنقَ الوهْمِ
ويجتازُ التخُومَ المهْمَلهْ
يسحبُ التاريخَ من أكفانِهِ
ويعرِّى الزيْفَ من عُنْوانِهِ
ويلاقى الشـــهداءْ
فى مداراتِ النضالِ المقبلهْ
كان فى الصمْتِ الذى يسكُنُهُ
موسمُ الخصبِ
وسرُّ الســـنبلهْ
كان فى القلبِ الذى يحملُهُ
رقةُ الوعْـــدِ
وعنْفُ المرحَلهْ
كان إنساناً
بحجمِ القنبلهْ

●

أيها الطفل الذى حوَّلَنا
لحظةَ الموتِ زناداً وفتيلا
أيها الطفل الذى عبَّأنا
لحظةَ الموتِ مَرايا وَوصَايا
أيها الطفلُ الذى فجَّرنا
لحظة الموتِ ضحايا وشظايا
كنتَ تمضي فى ثنايانا
فتياً أو شهيداً أو قتيلا
شامخاً مثلَ الجيادِ الجامِحَهْ
حاملاً الفَ بديلٍ وبديلْ
أيها الجرحُ النبيلْ
دَمُك الآنَ على كلِّ الدروبِ الجارحهْ
يتحدّى المستحيلْ

●

يا وليدْ
أنت من يحملُنَا
من قبورِ اليأسِ للحلمِ السَّعيدْ
فلتفجرِ صمتَنا
ولتشكِّلْ هيكَلَ الدَّمِّ الجديدْ
خيْمَةً
أو خنْدقاً
أو وَطَنَا

محمد الظاهر ـ عمان

ثائر يتحدّى اللورد!

بقلم : فتحي رضوان

لم يخض أحد من أبطال وثوار مصر الحديثة ، من المعارك مثلما خاض الشيخ عبد العزيز جاويش ، وقلمه الذى كان من حدته ، وجرأة صاحبه وشدة يقظته لما يصيب الحرية وحقوق الشعب ، من صنوف العدوان ولو كان خفياً غير ظاهر ، أو كان شروعاً غير كامل ، أن ألب عليه الأعداء ، فجمعوا كيدهم ، ولاحقوه بالاتهام والمحاكمة ، وسلطوا عليه الأقلام والألسنة ، لتفت فى عضده ، وتثنيه عن العمل فى جريدته ، والبقاء فى حزبه ، ولكنه استمسك بعقيدته ، وصبر على الأذى ، وواصل منهجه فى منازلة أعداء الوطن وأعداء حريته ، وكأنما هو الفارس امتشق سيفه ، وقد أحاط به المنازلون من كل جانب ، وهو فى وسط الدائرة ، يخز هذا فى جنبه ، ويطعن ذاك فى صدره ، وهو لا يهن ولا يضعف ، ولا يمل ولا يكل .

وقد كانت من أوائل معاركه ، وأجدرها بالتسجيل ، معركة من اجل الدستور ، والمعروف ان الدستور كان احد المحورين الذى دار حولهما برنامج محمد فريد بعد مصطفى كامل ، وكان المحور الثانى هو الجلاء ، اى جلاء الجيوش البريطانية عن مصر .

وقد استثير غضب الشيخ جاويش ، لما صرح أحمد شوقى أمير الشعراء ، فى سبتمبر ١٩٠٨ بان الخديو لا يستطيع أن يمنح الدستور للبلاد الا بموافقة الانجليز وكان شوقى مقرباً الى الخديو عباس ، فاخذ التصريح الذى ادلى به ، كانه تصريح من الخديو نفسه ، وقد جاء فى اعقاب هذا التصريح ، تصريح آخر أدلى به فى السنة نفسها السير إلدون جورست المعتمد البريطانى ء الذى خلف اللورد كرومر ، قال فيه ، إن بريطانيا لن تمنح مصر دستوراً ، وانه لا يغير من موقف بريطانيا أن يكون السلطان عبد الحميد سلطان تركيا قد منح بلاده دستوراً ، إذ لا تاثير لما يجرى فى تركيا على مجريات الامور فى مصر ، فانهال الشيخ جاويش على كل من شوقى والدون جورست لوماً وتقريعاً .

وحدث أن خطب اللورد كرومر فى بريطانيا بعد عزله من منصبه كمعتمد لبريطانيا لا حدود لسلطانه ، ولا معقب على أوامره طيلة ثلاثة عشر عاماً ، فقال فى خطابه هذا ، ما يكاد يكون رجع الصدى لحديث خليفته من بعده ، وتلميذه الدون جورست ، فاكد ان منح سلطان تركيا للاتراك دستوراً ، لا يعنى أن تتخذ بريطانيا من السلطان قدوة فتمنح المصريين دستوراً. وثنى بعد هذا القول ، بسب المصريين والتهجم عليهم ، فرماهم بانهم لا يهتمون بانتخاب أعضاء مجلس الشورى للقوانين ، ولا يحرصون على تعليم أولادهم ، وفات اللورد الذى كان يلعق جراحه بعد انزاله من عرشه ، اثر حادثة دنشواى ، أن المصريين اذا صح انهم لا يقبلون على صناديق انتخاب أعضاء مجلس الشورى ، فالسبب هو ضعف اختصاص ذلك المجلس وحرمانه حسب قانونه من محاسبة الحكومة ، محاسبة جدية ، وعدم السماح لهم بتقديم مشروعات قوانين ، ولا الاعتراض على القوانين المقترحة من الحكومة ، فهو مجلس تشريعى صورة بلا روح ، وان عدم الاقبال على التعليم مرده أن الانجليز ألغوا المجانية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، وقد كانت مقررة فى عهد الخديو اسماعيل فى جميع درجات التعليم ، ولان عدد المدارس كان من القلة بحيث كان ارسال أولاد الفقراء لتلقى العلم فى مدارس كانت بعواصم المحافظات فقط ، دون المراكز والقرى ، كان يكلف الفلاح الفقير فوق طاقته ، وقد واظب الحزب الوطنى على تقرير مجانية التعليم من جهة وعلى نشر التعليم فى جميع أنحاء مصر ، وتقريبها من التلاميذ حتى لا يضطروا الى ترك أهليهم والاقامة بعيدين عنهم .

هنا خرج عبد العزيز جاويش ، وقد رأى فى هذه التصريحات الجارحة للشعب المصرى ، والمنكرة عليه رأس الحقوق الوطنية ، وهو الدستور ، فانطلق كالسهم يهاجم خصومه بما عرف عنه فى مثل هذه المواقف ، من شدة فى القول ، وعنف فى النقد وتنديد صارخ بأعداء الأمة ومواقفهم وكان الشعب لا يقرأ مقالاته ، ويعجب بها فقط ، وانما كان يحفظها ويرددها ، ويعدها



عبد العزيز جاويش .. صفحة جريئة
فى الكفاح من اجل الاسلام والعروبة

معركة يشارك فيها بالتاكيد ، ونشر فكرتها بين الناس فى المدارس والمعاهد والمزارع والمصانع ، بحيث امتلأت جموع الشعب كله بروح الحزب الوطنى ، والايمان بمبادئه وكره الاحتلال البريطاني والسخط عليه ، ومال بعض اعضاء مجلس شورى القوانين الى مماألاة الانجليز فى هذه المعركة ، فشن عليهم جاويش حملة ضارية ، وندد بضعفهم ، فجاءت جريدة (الجريدة) لسان حال حزب الأمة المعتدل ، الحريص على ود الاحتلال البريطانى ، والمعجب بما يسميه اصلاحات اللورد كرومر ، جاءت (الجريدة) لنجدة هؤلاء الاعضاء الضعفاء ، ودافعت عنهم ، متهمة الشيخ جاويش بالتهور والضعف ، فاصلاه جاويش ناراً حامية ، وذكره بمواقفه غير الودية من مصطفى كامل اثناء حياته ، ومن تطاول عليه ، ثم ذكره بعجزه وسوء موقفه فى الدفاع عن فلاحى دنشواى الذين حاكمتهم المحكمة البريطانية المخصوصة سنة ١٩٠٦ ، وهو موقف اتسم بالضعف الشديد ، والتلطف للاحتلال والاعتذار عن هؤلاء الفلاحين المساكين ، الذين كانوا ضحايا ولم يكونوا قط مجرمين .

والحق ان الشيخ جاويش كان فى غير حاجة إلى ما يستثيره للدفاع عن الدستور والهجوم على المعتمد البريطاني ، وعلى الحكومة البريطانية ، اللذين ينكران على المصريين حقهم فى أن تحكمهم حكومة ينتخبونها ثم يحاسبونها ، فاذا لجت فى الخطا عزلوها ، اى حقهم فى دستور يبين واجبات الحكومة ، ويحدد سلطاتها ، ويعلن حقوق الشعب ، ويرسى قواعد سيادته . وفى هذه الأثناء ، صرح شاه إيران لوكالة رويتر فى ٢٤ نوفمبر ١٩٠٨ بأن المتعلمين من افراد شعبه ، لا يرغبون فى مجلس نيابى ، وان علماء الدين فى إيران ، افتوا بان المجلس النيابى مخالف للشرع ، فتفجر غضب الشيخ جاويش فى مقال يندد فيه بتلك الفتوى .

• • •

كان اللورد كرومر إبان سلطاته فى مصر يرخى الحبل لصحف الحزب الوطنى ، اكبر الأحزاب آنذاك ، وحامل لواء المعارضة فى مصر ، لا إيماناً منه بحرية الراى ، ولا صبراً على النقد ، ولكن استهانة بما يستطيعه « اللواء » وما تستطيعه خطب مصطفى كامل ، ولكن لم يكن كرومر ليحتمل وطاة الحزب الوطنى لو قدر له البقاء فى منصبه ، بعد حادثة دنشواى فى ١٣ يونيو ١٩٠٦ ، فقد ظهر للانجليز وللأجانب جميعاً أن الحركة الوطنية المصرية ، اعمق مما تصوروا ، واقوى مما قدروا ، وأنها لا تقتصر على تاييد الطبقة المتعلمة من طلاب المدارس العليا أولا ، ومن بعض صغار الموظفين ثانياً ، وأصحاب المهن الحرة – وكانوا قليلين – من أمثال المحامين والأطباء ثالثاً ، ورأوا انها تعبير عن شعور شامل غامر ، وانها تزداد مع الأيام اتساعاً وشمولا .

وقد كانت دعوى الاحتلال ، أن الفلاحين معه ، وانهم يذكرون له افضاله عليهم وان من بين تلك الأفضال ، إبطال السخرة واستعمال (الكرباج) ، فلما وقعت حادثة دانشواى ، وثبت أن الذين تشاحنوا مع ضباط الاحتلال ، فلاحون من صميم فلاحى مصر الفقراء ، سقطت حجة الاحتلال ، ولم يعد يعرف كيف يلفق لنفسه دفاعاً ، لذلك لم يكن هناك بد من أن يبدل قانون المطبوعات المحدد لنطاق الحرية المسموح بها للصحف ، فعدل ، واصدرت الحكومة قانوناً جديداً فى ٢٨ مارس ١٩٠٩ ، واصبح بمقتضاه من حق الحكومة ان توقف الصحف إدارياً ، اى بغير حكم يصدر من المحكمة ، بعد محاكمة علنية كاملة ، تلقى فيها المرافعات ، كما احيلت قضايا الصحف الخاصة بنقد الحكومة او إهانة المسئولين او المساس بهم ، إلى محكمة الجنايات لتفصل هذه المحاكم فى تلك القضايا على درجة واحدة فى حين أن تلك القضايا ذاتها ، كان يتم الفصل فيها على درجتين (ابتدائية واستئنائية) ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان من قضاة محكمة الجنايات اجانب بل وانجليزا يجلسون مع زملائهم المصريين ، ويؤثرون ، لما للأجنبى فى ذلك الحين – بفضل الاحتلال – من هيبة .

وكانت الحكومة قد فقدت ثقتها فى القضاء الابتدائى والاستئنافى ، بعد ان برىء الشيخ عبد العزيز جاويش من تهمة إذاعة اسرار حربية فى قضية (المكافلين) التى سبقت إليها الاشارة ، لذلك كان على الشيخ جاويش ان يخوض معركة حرية الصحافة ، وقانون المطبوعات ، فخاضها كعادته ، ضريحاً حاداً عنيفاً جريئاً ، وقد بدأ الحملة بمقال نشر فى ٢٣ مارس ١٩٠٩ ودع فيها قلمه بقوله :

« أيها القلم » !

« لو كنت سيفاً لاغمدتك فى صدر من

يحاربونك ، أوسهماً لانفذتك إلى أعماق قلوبهم ولو كنت جواداً لوجدت لك فى ميادين النزال مجالا للكر والفر» .

« أيها القلم » !

« استلانوا عريكتك ، واستهانوا بقوتك ، وأمنوا جانبك ، فمدوا إليك يداً محرقة ما كان أولاها أن تقطع » .

وقد منحت معركة حرية الصحافة الوطنية زاداً جديداً ، فخرجت هذه الحركة من نطاق المقالة فى الجريدة والمجلة ، والخطبة فى النادى ، وأصبحت عملا ضخماً ، تقوم به الجماهير فى شوارع القاهرة وميادينها ، تتجمع له تلك الجماهير فى أعداد ضخمة ، ثم تتدفق بأعلامها ، يتقدمها شباب يهتف بسقوط القانون الظالم ، وبسقوط الاحتلال الغاشم ، والحكومة المعتدية ، فيطل النساء والفتيات من النوافذ والشرفات ، ويتجمع أصحاب الحوانيت والمقاهى على الصفين ، ويصفقون ويرددون الهتافات ، ومنهم من تجرفه الحماسة فينخرط فى صفوف المتظاهرين ، فيبدو الشعب كله جبهة واحدة معترضة ومحتجة .

وقد عقدت تلك الجموع اجتماعها فى حديقة الجزيرة ، فى أول ابريل سنة ١٩٠٩ ، ثم تدفقت جموعها ، على كوبرى قصر النيل ، متجهة الى ميدان عابدين ، ومنه الى ميدان الأوبرا ، فهال الحكومة ضخامة هذه الجموع ، فارسلت عدداً ضخماً من عساكر الشرطة بقيادة قائد الأمن ومديره فى العاصمة ، وكان جنرالا بريطانيا سابقاً هو (هارفى باشا) ، وقد أحاط به المتظاهرون ، وأسقطوه من فوق صهوة جواده ، فاستعانت الحكومة بخراطيم مياه المطافىء لتفريق الجموع المتكاثفة ، فلما لم تفلح خراطيم المياه بعد عصي الجنود ، استعانت الحكومة بفرقة من فرسان الجيش ، وكان نزول الجيش الى الشوارع فى هذه المرحلة المتقدمة من حياة الحركة الوطنية ، دليلا مادياً على أن هذه الحركة ، لم تعد كلاماً يكتب ، بل صراع بالأيدى بين الشعب الأعزل من جهة ، والجيش المسلح من جهة أخرى ، ولم تتفرق الجموع يومذاك إلا بعد أن خطب فيهم بحديقة الأزبكية عدد من كتاب الحزب الوطنى فى مقدمتهم الكاتب أحمد حلمى الذى كان آنذاك ، الساعد الأول لعبد العزيز جاويش فى تحرير اللواء ، وتابع اللواء حملته بقيادة جاويش ، بالمقالات والبحوث ، منها قصيدة للشيخ علي القاياتى الذى كان آنذاك طالباً فى المعهد الدينى بدمياط ، جاء فيها فى الخديو عباس :

أعباس هذا آخر العهد بيننا
فلا تخش منا بعد ذاك عتابا
ونيأس من آمالنا فيك كلما
قضيت علينا أن نكون غضابا
ألا أمطر الله الوزارة نقمة
ولا بلغت مما تروم مرامها

• • •

ولم يكن ممكناً أن تسكت الحكومة على ما صدر من الشيخ عبد العزيز جاويش من تحريض صريح للرأى العام ، للوقوف فى وجه الحكومة ، فهنا ، تخرج الحكومة عن حلمها الذى تدعيه ، وصبرها الذى تصطنعه ، وانتهزت فرصة نشره فى ٢٨ يونيو ، مقالا بعنوان (فى ذكرى دنشواى) فاعتبرت أنه ينطوى على قذف فى حق (بطرس باشا غالى) رئيس المحكمة التى قضت على أربعة من فلاحى دنشواى بالموت شنقاً ، وبجلد نحو سبعة ، وبسجن نحو تسعة مدد أمع الأشغال الشاقة ، فدعته للتحقيق معه فى ٧ يوليو سنة ١٩٠٩ ، وقدمته للمحاكمة فى ١٧ من الشهر نفسه ، وفى ٢٧ من اغسطس صدر الحكم بحبسه ثلاثة أشهر ، فأثار الحكم سخط الشعب ، وتألفت المظاهرات احتجاجاً عليه ، ولما زج بالشيخ جاويش الى السجن امتلأت صحف الحزب الوطنى بمقالات غاية فى العنف ضد الحكومة .

ونظم الشاعر أحمد نسيم قصيدة كان مطلعها :

يا نازل السجن محفوفاً باكبار
هون عليك فما فى السجن من عار

وخرج محمد فريد وجدى ، الفيلسوف والمفكر ، صاحب الأسلوب الهادىء الرصين ، خرج عن هدوئه وقال فى قصيدة نشرها بجريدة الدستور :

وما على التبرِ عارٌ
فى القَارِ حينَ يُغَلَّفْ

فى حين قال الشيخ علي القاياتى :

أنت البرىءُ ومن يخَا
لُكَ مجرماً هو مجرمُ

وفيما كان الشيخ جاويش فى السجن يقضى مدة العقوبة ، اكتتب أنصار الحزب الوطنى والمعجبون بالشيخ وبجهاده ، بمبلغ كبير ، اشتروا به وساماً من حرير ثمين ، مزين بثلاث قطع ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة ، فلما أطلق سراحه ، أقاموا له احتفالا ضخماً فى فندق شبرد ، وسلم له الوسام .

وفاض معين الشعر فى هذه المناسبة ، فنظم الشعراء قصائد جميلة ، فى تحية البطل الذى دخل السجن من أجل حرية أمته ، وصحافتها ، وكان من الشعراء شاب لم يكن أحد يعرفه شاعراً ولا كاتباً ، ولكن شعره استفاض بعد ذلك ، هو الشيخ طه حسين الذى قال :

الآن حق لك الثنـــاء
فلتحى وليحى الثنـاء

وكان الاحتلال يمنى نفسه بأن السجن سيوهن من عزم عبد العزيز جاويش ، ولاسيما أن دخول السجن فى تلك الفترة من حياة الحركة الوطنية ، لم يكن مألوفاً ، ولذلك كان مرهوباً ، ولكن السجن عنده ، وحفاوة الشعب به ، لم يزده إلا ضراوة فى القتال ، وإصراراً على المقاومة ، وحرصاً على النزال ، فتربصت به الحكومة الدوائر واتخذت من صدور ديوان «وطنيتى» لعلي القاياتى ، الشاعر الوطنى الشاب ، ذريعة لتحقيق غرضها ، وكان ذلك فى يونية سنة ١٩١٠ ، وكان الديوان مجموعة قصائد للقاياتى ، نظمها فى مناسبات متعددة ، وكان صاحب الديوان قد عرضه على كل من محمد فريد رئيس الحزب الوطنى ، والشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير «اللواء» ، ورجاهما أن يكتبا للديوان مقدمة وتصديراً ، فلم يتأخرا عن تلبية رجاء شاب وطنى يستفتح حياته الأدبية والوطنية بهذا الديوان . وكانت القصائد التى احتواها ، قد سبق نشرها جميعاً فى جريدة «اللواء» ، وهى آنذاك أكثر جرائد مصر رواجاً ، وكانت سلطات الأمن والنيابة تقرأ كل حرف فى

ثائر يتحدّى اللورد!

اللواء ، نثراً كان أو شعراً ، لتصيد التهم لمحرريه . ولذلك كان غريباً أن تحرك النيابة الدعوى العمومية ضد صاحب الديوان ، وضد محمد فريد وعبد العزيز جاويش اللذين قدما هذا الديوان .

وحقق مع الشيخ جاويش فى سرعة ، وسيق الى المحكمة فور انتهاء التحقيق فقضي ضده بالحبس ثلاثة أشهر فى ٧ أغسطس سنة ١٩١٠ ، وخرج منه فى ٤ نوفمبر فى السنة ذاتها ، لا ليتقى كيد الحكومة ، ويؤثر السلامة ، بل ليكون فى محاربة عدويه الدائمين : الاحتلال ، والحكم الفردى المطلق ، أكثر صلابة ، وأشد عناداً .

ولكن يتعين علينا أن نعرف ماذا كتب فى مقدمة ديوان (وطنيتى) ليحبس ، فان هذه المقدمة أصبحت بما جرته على كاتبها من عذاب السجن ، وثيقة تاريخية ، وهى كذلك فى ذاتها ، لأنها تتضمن رأياً أدبياً ، فيما يجب أن يكون عليه الشعر ، من البعد عن الصنعة ، والتميز بالصدق فى وصف مشاعر الشاعر . قال عبد العزيز جاويش :

«قد يتوهم بعض المتشاعرين ، أن الشعر هو تلك الجمل الموزونة ، ذات الروى الملتزم ، فتراهم أجرأ ما يكونون فى تقصيد القصائد ، والانتساب الى دعوى الشعر ، معتمدين على جهل كثيرين بأسرار الشعر ومزاياه . إذا شئت أن تعرف جيد الشعر ، فدع عنك تفاعيل البحور ، والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ ، واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر» .

• • •

ولكن كان أمام الشيخ عبد العزيز جاويش معركة ضخمة فى حياته وحياة مصر عليه أن يخوضها ، كالعهد به ، لا يدع معركة تحسم لمصر شراً ، أو تجلب لها خيراً أو تحقق لها مصلحة ، إلا واندفع بكل جارحة فى نفسه ، ممتشقاً سيفه ، ممتطياً جواده ، طاعناً فى صدور أعدائه ، فى صدق عزيمة وقوة إرادة .

كانت تلك معركة قناة السويس ، التى وقعت أحداثها فى سنة ١٩٠٩ ، إذ اتفقت الحكومة برياسة بطرس باشا غالى ، سراً ، مع شركة قناة السويس على مد امتياز الشركة أربعين سنة ـ بعد نهاية هذا الامتياز سنة ١٩٦٨ ـ مقابل أربعة ملايين جنيه تدفعها الشركة للحكومة المصرية على أقساط . وقد استطاع محمد فريد رئيس الحزب الوطنى فى أكتوبر سنة ١٩٠٩ الحصول على نسخة كاملة من هذا المشروع فاجتمعت فى الحال اللجنة الادارية للحزب الوطنى ، وهى بمثابة مجلس ادارة للحزب ، وطالبت بعرض المشروع على الجمعية العمومية التى كانت وقتذاك المجلس النيابى فى البلاد ، دون أن يكون لها من اختصاصات المجالس التشريعية فى الدول التى تتمتع بالحقوق الدستورية. وكتب عبد العزيز جاويش فى هذا الصدد سلسلة من المقالات ، حمل فيها على المشروع وعلى الحكومة التى تعاقدت عليه سراً ، وبينت ما فيه من تفريط فى حقوق البلاد بالموافقة على مد امتياز القناة نحو نصف قرن بعد نهاية هذا الامتياز ، فى حين كان الواجب استرداد هذا المرفق ، لأنه ملك لمصر

قال فى ٢٦ من يونية سنة ١٩٠٩ ، وكأنما يقرأ المستقبل فى كتاب مفتوح أمامه:

«يقرأ المصرى كل يوم ما تنشره شركة القناة من التقارير الدالة على ما يجنى ملاكها من الغلات العظيمة ، والربح الزائد فى كل عام ، فيفكر فى نفسه : متى ؟ متى يعود ملك هذه القناة الى مصر ؟ متى ينقضى أمد امتياز هذه الشركة القابضة على مفتاح هذا الكنز حتى تتمكن من استرداد فيئها المسلوب ، مع ثرائها المنهوب ؟

متى يضاف الى مالية مصر من غلة هذه القناة عدة ملايين كل عام ، فتستطيع بذلك أن تقضى ديونها ، وتصلح من شئونها ، وتحقق مالا يزيدها أمام الأعداء قوة وبأساً ؟» .

واضطرت الحكومة تحت ضغط مقالات محمد فريد والشيخ جاويش ، وما تنشره جريدة اللواء لباحثين وقانونيين ورجال مال ، من مقالات ودراسات وإحصائيات ومقارنات ، أن تعرض المشروع الذى كان سراً على الجمعية العمومية ، وأعلنت التزامها بالقرار الذى يصدر من هذه الجمعية أياً كان منطوقه .

ولكن الحكومة أخذت ـ بعد أن أعلنت ذلك ـ تضغط على أعضاء الجمعية العمومية بالترغيب والترهيب ، حتى يصدر القرار فى مصلحتها ومع وجهة نظرها ، فأخذ عبد العزيز جاويش يبصر أعضاء الجمعية العمومية بواجبهم ، ويدعوهم الى الصمود والثبات ، وقال فيما قاله للأعضاء «إن بريطانيا كانت تبرر احتلالها لمصر بأن لها وراء قناة السويس أملاكاً ، وأن لها فى شركة قناة السويس أسهماً ، فاذا امتد أجل شركة القناة أربعين سنة بعد مدته المنصوص عليها فى العقد الأصلى فكأننا نطيل أمد الاحتلال» .

وكانت رياسة الجمعية معقودة لحسين كامل شقيق الخديو عباس ، فلما خرج عن واجب الحيدة الذى يجب على رئيس كل هيئة احترامه ، لم يتردد الشيخ جاويش فى تعنيفه ، ولم يرده عن ذلك مكانته ، ولا شدة قربه من الخديو ، إذ قال :

«كنا نرى فلتات ـ يظهر فيها بمظهر الهازى بواجب الحيدة ، الكاره لحرية الآراء ، الميال لتعضيد الحكومة ، وأخذت تلك الفلتات ، تزداد فى الأيام الأخيرة ، حتى بدا حسين كامل يظهر شيئاً فشيئاً بمظهره الحقيقى ، وجاءت مسألة قناة السويس ، فاذا به قد خرق أكبر صفة يتحلى بها رؤساء المجالس النيابية ، وهى التزام الحيدة» .

وتدور المعركة فى الجمعية العمومية ، ويقف سعد زغلول وزير المعارف آنذاك ليدافع عن امتياز القناة ، باذلا كل جهد ، منتفعاً بكل حجة ، مستعيناً بقدرته الخطابية ، ولكن الجمعية العمومية رفضت المشروع ، بما يشبه الاجماع ، إذ لم يشذ عن هذا الاجماع إلا عضو واحد هو المرحوم مرقص سميكة .

فتحي رضوان

رجل من الحيّ القديم

قصة بقلم : علي حمد إبراهيم



أستطيع أن أكتب بحرارة شديدة هذا المساء .. أنك تعرفين أننى أختار المساء دائما موعد الكتابة خطاباتى اليك .. ليل هذه المدينة يعطينى قوة لامتلاك قلمى ، ولغة الاسترسال المجنون . انها مدينة تعج بالأخبار والناس ، كأنها سوق كبيرة للحوم .. والبقول والخضروات . فى خطابك الأخير طلبت منى أن أكتب اليك أخبار المدينة الليلية والنهارية .. انه طلب تستحيل الاستجابة له بالكامل ، لأن الناس فى هذه المدينة يبتكرون كل لحظة أخباراً واشاعات كثيرة . لكن لابأس . ساحكى لك طرفاً مما يتحدثون به هذه الأيام .. ولكنى أبدأ بالحديث عن حينا القديم . أنك تذكرين أننى أتحدث كثيراً عن هذا الحى ، فهو ما زال بريئاً وساذجاً وغافلا .. أذكر أنك لم تكونى راضية أن يظل هذا الحى ساذجاً وغافلا الى الأبد ، ولكنك لم تفعلى شيئاً لتبديل هذه الحقيقة ، المهمّ أنه نفس الحى : بصقة القذى القديم على عينيه ما زالت ، وجفنه المشمول بالورم وظلامه الدامس وكلابه الكثيرة النباح رغم أنها لم تفلح حتى الآن فى أن تعض لصاً واحداً من لصوص الحى الكثيرين ، لقد أصبح اللصوص كثيرين جداً فى جميع الأحياء ، حتى أن عمّى قال أنهم يفكرون فى عمل نقابة لهم أسوة بجميع الناس . أن لصوص حينا بالذات أصبحوا لايخافون كلاب الحى أو غيرها من الكلاب ، لقد بطل الظن بأن تلك الكلاب يمكنها مكافحة اللصوص بصورة من الصور . لقد سرق هؤلاء اللصوص سحارة حاجة كلتومة وحذاءها الجميل الذى أهداه لها حاج الطاهر يوم أن قدم أول مرة من القرية .. تذكرين اللغط الذى ثار فى الحى حول تلك الهدية حتى أن حاج الطاهر اضطر الى نفى ذلك اللغط بعد صلاة الجمعة

فى الجامع ثم بكى حتى بانت اسنانه الصفراء من أثر السعوط .. لقد كنا نقول أن سحارة حاجة كلتومة كانت تمثل ممتلكاتها الثابتة بينما يمثل حذاؤها ممتلكاتها المنقولة .. لقد كنا **أولاداً أشقياء نضحك مع الدنيا بفرح عظيم .** لقد سرق اللصوص مع ما سرقوا من اشياء سحارة حاجة كلتومة وحذاءها الجميل وتركوا فى فمها طعم الملح الاجاج . لقد حزن الناس فى الحى لما رأوا حزنها وبكاءها وتبرعوا لها ببعض المال ولعنوا كلاب الحى التى لم تكافح اللصوص ، الا الولد الشقى (حامد تور الحلة)

لقد أطلق أشاعة بأن حاجة كلتومة باعت السحارة والحذاء ودفعت المال مهراً لحاج الطاهر .. الله يلعنه ذلك الولد دائماً تفكيره مخالف لتفكير الناس .. هذا ما كان من أمر الحى الذى مازالت بصقة القذى على عينيه ..

أما أهم خبر على نطاق المدينة ، فهو يتعلق **(بالضو ود ساكت) هل تذكرين (الضو ود** ساكت) لابد أنك تذكرين جيداً ، لقد كان الضو بائع الفحم الوحيد فى حينا ،، تذكرين ذلك .. جيداً .. حماره النحيف الطويل الأغبش وعمامته الصفراء وجلابيته الداكنة المجللة بلون الفحم والغبار وعينه اليمنى المشلوحة وشلخه اللولبى الخفيف **وفمه** الأهتم . ولكن كيف أحكى لك عن شخصية الضوود ساكت الجديدة دون أن أثير لديك الشك والفضول . أعرف اننا جميعاً نؤمن بالقضاء والقدر وبليلة القدر أيضاً . أنهم يقولون أن ليلة القدر تقع على العابدين المنقطعين للعبادة والذكر خصوصاً فى الجزء الأخير من رمضان .. ورغم أن أحداً لايعرف الى أى مدى يعتبر الضوود ساكت رجلا صالحا إلا أن كل الناس تقول أن ليلة القدر قد وقعت عليه فى العام الماضى خلال شهر رمضان ، وظلت تقع عليه **على مدار السنة وكل يوم صباحاً ومساء .. كل** المدينة تقول ذلك . وكذلك حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه .. وأيضاً حاج الخير مؤذن الجامع ، ولكن « فكى مرسال » أمام الجامع غير متأكد بصفة قاطعة .. « يمكن الراجل ده حرامى تموين . ياجماعة ليلة القدر دى أمرها عجيب ولا بتشبه الفحامى ده » ..

على أى حال . لقد أصبح الضوود ساكت واحداً من أغنى رجالات المدينة . المدينة كلها **تتحدث عن المليونير الفحامى ولكن لا تجد** احداً يحدثك كيف لمَّ هذا الرجل هذا المال وبهذه السرعة . أنهم يعطونك بعض المؤشرات العابرة ، مثلا يقولون انه صادق موظفاً كبيراً



يدير مرفقاً تجارياً . وأن هذا الموظف أستعمل الضو فى تجارة الليل .. ثم أصبح الضو شريكاً لذلك الموظف الكبير وبعد سنة واحدة شوهد الضو يتعلم السياقة فى طرقات المدينة .. قالوا صدم معزة وحمارة وكذلك الفكى مرسال أمام الجامع .. لقد أصبح الضوود ساكت حديث المدينة مرتين هذا الشهر .. مرة عندما أكمل بناء منزله بالدرجة الأولى . قالوا ان الرجل دعا كل المدينة وكذلك أهل حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه .. وكان زملاؤه القدامى مندهشين أكثر من أثرياء المدينة الذين زاد عددهم واحداً هو (الضوود ساكت) المليونير من منازلهم . يوسف الفحيل كان يفرك يد أبيد متعجباً من الدنيا التى « لاتدى حريف » **« يمين الضو ود كان خامل ساكت . والفحم بتاعوا نصو كان عيدان تقوم نلقاه بقى مليونير »** ـ كان ود الفحيل يدلى بتلك الملاحظات بصوت خفيض مراعاة لمصالحه الخاصة التى ينتظر أن يرعاها زميله القديم الضوود ساكت . وظل الناس فى المدينة وكذلك فى حينا الذى لم تزل بصقة القذى القديم على عينيه ـ ظلوا يتحدثون أياماً كثيرة عن منزل الضوود ساكت الجديد . العفش من ايطاليا الأبسطة من ايران . الطنافس من باريس وألمانيا . الستاير من بلجيكا وعدة الأكل من لندن . خارج من خارج الى آخر الأقاويل والأقاصيص حول الضوود ساكت الذى وقعت عليه ليلة القدر من السماء .

تعرفين هذه المدينة جيداً انها تخلق الأساطير والقصص لتملأ فراغها العريض . اذكر أنك كنت تقولين انها مدينة مثل كرش الفيل وعقلها « زى عقل السخلة » الضوود ساكت نفسه أيَّد هذا الرأى يوم احتفاله الكبير لقد سمعته يوم العزومة وقد تحلق حوله المنافقون واصحاب الحاجة وهو يحدثهم بصوته الأبح الأجش بنكات « بايخة » صنعها فى وقتها وهم يموتون من الضحك المغتصب « ناس المدينة دى زى بهايم الزريبة .. تسوقها الى المذبح تجعر .. تسوقها الى المرعى تجعر » وضحك الحاضرون من مستمعى الضوود ساكت حتى كادوا يموتون . أما أنا فقد تذكرت عالم الضو القديم .. عالم الفحم والزريبة وعرفت أن فى هذه المدينة يمكنك أن تصبح أى شىء وفى أى لحظة اذا صادفتك ليلة القدر ..

ولكن المدينة لاحقت الضوود ساكت فى الأسبوع الماضى أيضاً وأسقطت عليه المزيد من الأضواء .. انني أشعر بالحرج الشديد كيف أحكي لك على الورق ما يقال بالالسن عن الضوود ساكت فى هذه الأيام .

لقد ذهبنا جميعاً الى محكمة المدينة فى يوم الأثنين الماضى وجلسنا القرفصاء فى ساحة المحكمة ومعنا أصدقاء الضوود ساكت القدامى والجدد والمنتفعون وكذلك رابطة أصدقاء المحسن الكبير الضوود ساكت تلك الرابطة التى نشأت فى الجانب الشرقى من حينا القديم قريباً من كوشة الفحم العائدة للضو فى الأيام الخوالى . وعندما قرأ القاضى الحكم على الضو بان على وجوه أهل حينا القديم خجل شديد .. حقيقة لقد كان الأمر مخجلا . خصوصاً مناقشة المحامي وممثل الاتهام مع الصبى الصغير . لقد خرجنا من قاعة المحكمة على اختلاف تام حول قانونية الحكم الكبير .. أربعة عشر عاماً من السجن مع الأشغال الشاقة . كان بعضنا يرى أنه حكم قاس جداً وآخرون قالوا انه حكم عادل .. أما يوسف ود الفحيل فقد قال أن الضو كان خملة طول عمره ، ولما وجد المال أراد أن يجرب حظه فى حاجة جديدة . وضحك ود الفحيل حتى أصبح قصيراً رغم أنه كان عضواً فى رابطة أصدقاء المحسن الكبير الضو ود ساكت قبل سجنه . هذا أهم حدث فى المدينة فى هذا الشهر .

ملحوظة : تقولين فى خطابك الأخير اننى لا أهتم كثيراً بذكر التاريخ . لقد كدت أن أنسى مرة أخرى . لقد حدثت (كشة) الضو ود ساكت فى يوم الخميس أول رمضان ..

اتجاهات جديدة

في القصة السكندرية القصيرة المعاصرة

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

تطور مفهوم الفن وغايته تطوراً كبيراً فى العصر الحديث بتطور الانسان المعاصر نفسه الذى بلغ الذروة فى استكشاف أسرار العلوم الطبيعية ، ووصل إلى النهاية فى استخدام وسائل الترف المادية ، واستغل الطاقات الدفينة للعقل البشرى فى سبيل تحكم الانسان وسيطرته على قوى هائلة لم تكن تدين له ، أو لم يكن يعرفها .

ولكن هذا التقدم العلمى وتلك السيطرة المادية لم يوفرا للانسان المعاصر الاستقرار النفسى ، ولم يهيئا له السعادة التى كان يحلم بها منذ فجر البشرية ، بل أحدثا ـ على النقيض من ذلك ـ دماراً فى نفس الانسان وتركا فيها مساحات هائلة من التوتر والقلق والاحساس بالغربة والضياع .

وإذا كان المحللون النفسيون يستخرجون الأسباب والعلل التى كانت وراء هذا الدمار النفسى فى أوروبا وأمريكا ، أو بالأحرى فى العالم المتقدم علمياً وتكنولوجيا ، فان بعض الباحثين العرب يرون أن الانسان المعاصر فى العالم العربى يدعى وجود هذا الدمار الذى يعكسه فى فنونه وآدابه ، مضاهاة لانسان العالم المتقدم . وهذه فرية لا تصح عقلا ، فالمضاهاة لا تكون فى الدمار النفسى ، فان كانت فى ظواهر هذا الدمار ، فلنبحث فى أصوله ودوافعه ، ولن نحدم وجود دوافع أصيلة وراء دمار نفس الانسان العربى من واقع تمزقه السياسى ، ووقوعه فى دوامة الصراع من أجل البقاء أحياناً ، ومن أجل الكرامة الانسانية أحياناً أخرى ، ومن أجل الحد الأدنى للحياة الانسانية دائماً .

ويكفى لوجود هذا الدمار احساس الانسان العربى بالقهر السياسى بعد مأساة فلسطين ، والقهر الاجتماعى بوجود هذه الفجوة الواسعة بين العالم الغنى المعتمد على التكنولوجيا المتطورة ، وعالمه الفقير الذى تطحنه الصراعات والمجاعات ، والذى تجعله الدول الكبرى ميداناً لتجربة أسلحتها التقليدية والمتطورة .

وما من شك فى أن إلغاء الحواجز والمسافات بين الثقافات فى العالم قد أتاح للمثقفين العرب فرصة الاطلاع على الفلسفات المتشائمة فى أوروبا ، التى عبرت عن دمار نفس الانسان ، كالعبثية والوجودية اللتين كان لهما تأثير مباشر فى الآداب المعاصرة ، من حيث تعميق معنى الاحساس بالضياع والغربة والقلق والغثيان والاحباط .

تطور مفهوم الفن وغايته إذن بفعل هذه العوامل فلم يعد إمتاعاً وتسلية فى شكل قصيدة مباشرة المعنى ، تدغدغ العواطف والاحاسيس ، أو فى شكل أقصوصة تقدم نموذجاً لشخصية انسانية نمطية التفكير والاحساس ، أو تقدم حكاية للمسامرة ، تنقل القارىء على جناحها السحرى حدثاً وراء حدث ، حتى تبلغ به الذروة التى يحبس عندها أنفاسه ، ثم تضع بين يديه المفتاح للنهاية السعيدة أو المأساوية المترقبة . وكيف يمكن أن يبقى الفن كذلك ، والحياة من حولنا تضج بالثورة والعنف والتطور ، وتهزأ بالنمطية ، وتعلو على المنطق ، وتهب عليها رياح التغيير قوية عاتية ، بحيث أصبح الانسان المعاصر فى أى مكان ـ وبغض النظر عن انتمائه إلى العالم المتقدم أو المتأخر ـ كائنه من سلالة أخرى لا تنتمى لتاريخ البشرية الذى عرفته الأجيال الماضية .

ليس غريباً إذن أن تتطور الأقصوصة فى وقتنا الراهن تطوراً واضحاً فى الغاية والمفهوم والأداء ، وأن تحدث بها ثورة فى البناء والحرفية القصصية ، وأن تتجاوز مرحلة الحكاية والسرد والنموذج الانسانى العادى الذى يرتبط بزمان ثابت ومكان معين . ونزعات بشرية واضحة الدلالة والغايات .

لقد نشأ فن القصص فناً شعبياً يعتمد على تكديس الحوادث والمفاجآت والتصرفات الخارقة للأبطال ، ولكنه فى عصرنا الراهن ، وبعد التقدم العلمى الهائل تخلص من حيل الفن الشعبى ووسائله ، واكتسب الصفات التى تلائم الفكر العلمى القائم على التحليل والاكتشاف . وأصبحت العناصر الأساسية فى القصة ، بل فى أى عمل أدبى ، وخاصة عند النقاد الشكليين ، تعتمد أساساً على الكلمات والصور والرموز أكثر مما تعتمد على الشخصية والفكرة والحبكة (١) .

ولم يعد للاتجاه الموباسانى السطوة والنفوذ على كتاب الأقصوصة المعاصرة ، حتى الاتجاه التشيكوفى زالت عنه هالته وتأثيراته على الكتاب المعاصرين الذين يحيون فى أعماقهم الحياة بلا نظام ثابت ، وقد سادت أجزاءها الفوضى ، واختلط الواقع المرير بالرؤى والخيالات ، ووقع الانسان فريسة للصحة والمرض ، والشجاعة والجبن ، والسمو والحضيض ، وكل أنواع المتناقضات التى تضرب بأنيابها وهى تضغط عليه لاثبات تفاهته وخوائه ، بينما يحاول بعقله أن يثبت تفوقه وقدراته التى لا حدود لها .

يقول روبرت لويس ستيفنسون Robert Louis Stevenson (٢) :

« الحياة فظيعة رهيبة ، ومعدومة الحدود ، ولا منطقية ، وفظة ومؤلمة وموجعة ، أما العمل الفنى فهو بالقياس إليها شىء مرتب محدود ، ومحيط بذاته ، وعقلانى ومتدفق ومنقح . ان الحياة تفرض ذاتها بقوة غاشمة كالرعد الأرعن ، ولكن الفن ـ ممثلا فى لحن اصطنعه اصطناعاً موسيقي

حصيف ـ يستأثر بالاصغاء من الاذن فى غمرة الأصوات الأشد صخباً ، التى تحيط بتجربتنا الحياتية . إن القصة لا تحيا بفضل وجه شبهها بالحياة ، فهذه الأوجة مفروضة ومادية ، مثلها فى ذلك مثل الحذاء الذى يجب أن يظل من الجلد ، انما تعيش بفضل مالا يحصى من أوجه تباينها عن الحياة ، فهذا التباين مقصود وذو مغزى ، وهو في أن واحد منهج العمل الفني ومعناه» . وفى ضوء هذه العلاقة بين الاتجاه القصصى المعاصر والحياة ابتعدت القصة إلى حد كبير عن المذهب الكلاسيكى المعتمد على العقل والتسلسل المنطقى ، وعن المذهب الرومانتيكى ذى الاستغراق الذاتى وعن الواقعية التى ترتبط بالمجتمع فى قوانين حتمية ، وأصبحت فى اتجاهها الجديد لا تتحدث عن شئون واقعة ، بل عن لحظات شعورية ، وتصور ميلا باطنياً للتعبير عن خطرات التجربة العقلية ، وهو ما أطلق عليه فى بعض تسمياته (تيار الوعى) ، أو قصة الحوار الفردى الداخلى الصامت (٣)

وفى هذا النوع من القصص ينحّى المؤلف نفسه ويواجه القارىء بالتجربة العقلية لشخصيات قصصه . وقد استلزم ذلك تفسيراً هاماً فى طريقة السرد أو الحكاية ، كما استلزم تغييراً كلياً فى البناء الفنى للقصة ، فلم تعد لها بداية ووسط ونهاية ، ولم تعد لها ذروة وحبكة ، ولم يعد لها نظام ، وأصبح القارىء مطالباً باليقظة التامة وحدة الوعى ، ومحاولة إيجاد نظام من خلال فوضى الأفكار وتبعثرها .

يقول فى ذلك ويندهام لويس Wyndham Louis : « ان كاتب هذا النوع من القصص يجرد العمل الفنى من كل الخطوط والحدود التى تجعل له شكلا معيناً .. فالحياة الداخلية للشخصية ، بما فيها من حدود ، تستحيل إلى نسيج هلامي مختلط ، يخلو من كل العقد والمفاصل » (٤) أن هذا الاتجاه الجديد فى القصة ، الذى تجاوز الواقع لأنه لا يحاول تسجيله ، بل يحاول أن يبعث الحياة فيه من جديد ، يرفض نمطية التفكير والأداء ، ويسخر من السرد والحكاية ، ويستحب الخروج على المألوف ليحدث هزة عقلية فى الفكر ، وينسحب من الواقع إلى داخل النفس ليرصد كل خطراتها وأفكارها التى تجرى بلا نظام ، والتى تتبعثر مشرقة ومغربة ، دون أن تفقد الخيط الذى يربطها وهو الانسان ، البنية الحية فى المجتمع الصغير الذى يعيش فيه ، وفى المجتمع البشرى الكبير الذى تنعكس كل مشكلاته على الملايين الذين ينتمون إليه . وقد ارتبط الاتجاه الجديد فى القصة بمعطيات التحليل النفسى ، وبالمذهب الرمزى ، ارتباطاً وثيقاً ، فأصبحت القصة تعبر عن تداعيات الأفكار العابرة ، وتصور عالم التخيل الباطنى ، الزاخر بكل أنواع التجارب الحية ، والأحاسيس الانفعالية ، وأحلام اليقظة .

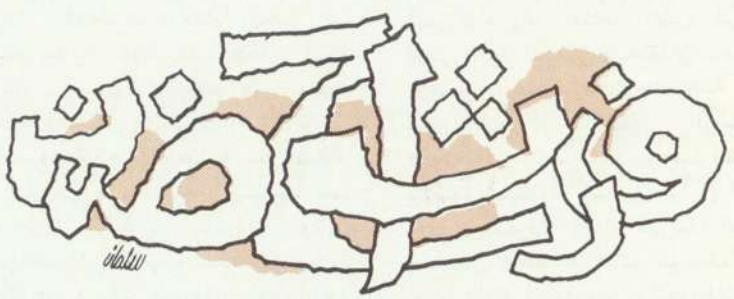
ولاشك فى أن نظرية « فرويد » فى الأحلام قد حطمت ذلك الحاجز الوهمى الذى يفصل بين اليقظة والحلم . ولهذا نجد القصة الحديثة تستخدم الصور والرموز فى استحضار التجربة ، طبقاً لما يؤمن به الرمزيون فى مجال الأدب خاصة ، ومن هنا أصبحت لهم لغة خاصة ، أو دلالات جديدة للغة ، مع تركيب أسلوبى جديد ، يعبر عما فى الذهن بصورة تجريدية .

وفى ذلك يقول إدموند ولسون Edmond Wilson « يتباين كل شعور وإحساس بعضه عن بعض ، وكذلك تتباين كل لحظة من لحظات الوعى ، وتبعاً لهذا فان من المستحيل أن نستطيع التعبير عن احاسيسنا كما نمر بها تماماً إذا حاولنا أن نصفها باللغة التقليدية الشائعة العادية . وإن لكل كاتب شخصيته الفريدة ، وإن كل لحظة من لحظاته تتميز بوقع خاص وتركيب عضوى مميز . ومن واجب الشاعر أن يوجد اللغة الخاصة القادرة على التعبير عن شخصيته وأحاسيسه » (٥) . وما يقوله هذا الناقد عن الشعر ينطبق تماماً على الاتجاه القصصى الجديد ، الذى يقترب من طبيعة الشعر وعناصره اقتراباً شديداً . وعلى الرغم من ظهور الاتجاه القصصى الجديد ذى النزعة السريالية ، المعتمد على تيار الوعى وإسقاط السرد والحكاية ونموذج الشخصية الانسانية ، والذى يستخدم عقل احدى الشخصيات ، أو عقول عدة شخصيات ، فى إنارة الموقف والشخصيات التى يعرضها ، والذى يتوسل فى تعبيره باستخدام اللغة بطريقة جديدة مشحونة بالرموز والدلالات منذ الربع الأول من القرن الحالى فى أوروبا ، فانه قد ظهر فى مصر على استحياء شديد فى فترة الأربعينيات ، ثم أكد وجوده بعد ذلك تباعاً ، حتى استقر الآن فى أيدى الشباب من كتاب القصة القصيرة فى الاسكندرية بوجه خاص ، وهم الذين سوف أحلل أعمالهم من خلال هذا الاتجاه فى هذا المقال . وقد برز فى هذا الاتجاه بروزاً واضحاً محمد حافظ رجب (٦) ، ومحمود عوض عبد العال (٧) ، وتعلق باطراف منه إدوار الخراط (٨) ، والسعيد الورقى (٩) ، وهناك غيرهم ممن لم يقع نتاجهم فى يدى .

وما من شك فى أن كل كاتب له أسلوبه الخاص ، وأداؤه المتميز ، الذى يفرق بينه وبين سواه من كتاب الاتجاه نفسه . كذلك نجد لكل كاتب عالمه وقضاياه وألوان معاناته وشخصيته وثقافته ، وان ظلت هناك صفات مشتركة تجمع بين ذوى الاتجاه الواحد .

شخصيات عالم القاع

وأول ما يطالعنا من العناصر الأساسية المشتركة بين الموغلين فى هذا التيار الجديد من القصاص السكندريين المعاصرين تقديمهم شخصيات تمثل اليأس والغربة والضياع والغثيان والملل والرفض للحياة الواقعية بكل ما فيها من معاناة وألم فشخصيات محمد حافظ رجب تشكو دائماً (الاستمرار البليد) (١٠) ، و (الوهم والملل والتذمر والغضب من طول الانتظار العقيم) (١١) ، والضياع كما يمثله (رأس صغير غارق فى أحلام العذاب ، ورأسان تائهان فى أكواخ غربال الصفيح) (١٢) ، والغربة والاحباط والاحساس بالأسر ، وكل هذه المعانى تحسها الشخصية التى يقدمها فى (عظام الجرن) ، (فالمعلم سجان الدكان يحبسه فى الرغيف ، والمرأة سجانة هذه اللحظة تحبسه تحت لحاف ليمونى أصفر) (١٣)



ومحمود عوض عبد العال يعكس فى قاصيصه ألوانا من المعاناة والحزن والقلق ، ويتمثل ذلك فى السؤال الذى تطرحه شخصية اقصوصة (جدول معلق) « كيف يغنى عصفور فى قفص فوقه مروحة وتحته مدفأة ؟ » (١٤) .

ونحس كل معانى الاحباط والألم فى (كلمات أسير) (١٥) ، والغربة والحزن فى شخصية (تكوين) أو الطير المهاجر الكئيب (١٦) . ونحس معانى الضياع فى (تكوينات) (١٧) و (المفتاح العمومى) (١٨) ، و (امتداد) (١٩) و (الفنان) (٢٠) وغيرها .

وشخصيات إدوار الخراط تحس دائما الفراغ والخواء والحزن والمعاناة (٢١) ، أما شخصيات السعيد الورقي فيحاصرها دائما الموت والملل والغثيان ، حتى فى عنوان المجموعة التى سماها (ايقاعات حزينة من زمن الموت) (٢٢) ، وفى إهدائه المجموعة (إلى الموت الحق والمطلق) . ونرى فى اقصوصة (معزوفة) الاحساس بالملل والغربة فى (مدينة الدمى) (٢٣) . ويتردد ذلك الاحساس فى (المحاصرة)(٢٤) وفى (محاولة) (٢٥) ، التى نحس فيها الغثيان أيضا . أما الرفض فيتمثل لنا فى (العودة) (٢٦) ، وفى (الوسام) ، حين يعلق البطل الوسام الذى منحه له المجتمع فى رقبة كلب أجرب (٢٧) .

وشخصيات محمد حافظ رجب ومحمود عوض عبد العال وإدوار الخراط أغلبها من قاع المجتمع ، (فمخلوقات) محمد حافظ رجب عامل جرن يتمنى أن يصبح عاملا فى مصنع بذرة قطن (٢٨) ، وماسح أحذية وقهوجى يوناني وبائعة يا نصيب وعويس القزم السارق (٢٩) ، وحربى الخادم الذى استشهد فى سبيل إحضار (البيرة) للمدام (٣٠) .

والجو الذى تتحرك فيه الشخصيات يتلاءم معها تماما ، فهى أحياء عالم القاع ، حيث (الخيش) و (أكواخ الصفيح) (٣١) .

وتتحرك شخصيات محمود عوض عبد العال فى بيئات فقيرة : سوق باكوس (٣٢) ، و « بضعة هلاهيل واقمشة وأخشاب قديمة واقفاص فى شكل مسكن محشو بالسكان » (٣٣) ، وهم فى الغالب من الطبقة العاملة ، وقد خص فى بعض قصصه مصنع النحاس (٣٤) .

أما شخصيات إدوار الخراط فهى من قاع القاع ، وهو يستغرق فى قصصه القصيرة الطويلة فى وصف حياتها الظاهرية ، ويهتم ـ على وجه الخصوص ـ بكل ما يراه من ظواهر الحياة المادية العفنة القديمة المهترئة فى تلك البيئات (٣٥) .

وتبعد شخصيات السعيد الورقى عن هذه الأجواء ، ولا تحس فيها الطابع السكندرى المحلى الذى تجده عند الثلاثة الآخرين ، وخاصة محمد حافظ رجب ، ومحمود عوض عبد العال ، والطابع المحلى ليس مستنكرا فى الاتجاه القصصى القديم أو الجديد ، فقد كان واضحا فى كتابات قصاص عالميين من أمثال كاترين مانسفيلد التى أبرزت موطنها نيوزيلندة (٣٦) ، وجيمس جويس الذى كتب مجموعة قصص قصيرة عن موطنه بعنوان « أهل دبلن » Dubliners

وليس هناك شخصية محورية دائما فى قاصيص هؤلاء الكتاب . ولم يحدث ـ كما يقول أوكونور بحق ـ أن كان للقصة القصيرة بطل واحد ، وإنما نجد بدلا من ذلك مجموعة من الناس المغمورين ، تختلف طبائعهم وصفاتهم من كاتب لآخر ، وان اشترك أفراد هذه المجموعات فى الفقر المادى والروحى ، وفى الاحساس الحاد بالغربة والضياع والملل (٣٧) . وعلى أية حال فالاتجاه الجديد فى الأقصوصة لا يعطى اهتماما كبيرا للشخصيات فيها ، وان كان ذلك لا يمنع من توجيه الاهتمام نحو شخصية بعينها ، يرى هنرى جيمس أن تكون ممتازة الوعى ، ولهذا يخرج من قاصيصه المغفلين ومحدودى الذكاء (٣٨) . وهذه فكرة مهمة ، إذ تكون الشخصية عندئذ قادرة على استخلاص عناصر رئيسية من التجربة والبناء عليها ، ولا تكون مجرد شريط لتسجيل الأحاسيس والأفكار . ونجد ذلك متحققا فى معظم شخصيات الكتاب السكندريين .

ولا نحس رغبة من القصاص فى الوصول إلى هدف اجتماعى ، أو حتى مجرد تصوير مجتمع القاع ، بل يتجلى ذلك من خلال الخواطر التى تنثال من عقول الشخصيات التى يحركونها . وهذا الحضور الاجتماعى ماثل تماما فى قاصيص محمود عوض عبد العال ، فنرى فى (كلمات أسير) التزاحم على اللحوم والدواجن والبيض والكبريت (٣٩) . ونرى فى الأقصوصة ذاتها الممرضة التى تسرق طعام المرضى ، والباعة الجائلين بين الأسرة فى المستشفيات الحكومية . ونرى فى (أوديب قابل أخته) المستشفى مهددا بالسقوط على المرضى بعد انهيار جزء منه ، ومازال ينتظر الانتقال إلى مبناه الذى بدأ العمل فى ترميمه منذ ثلاثين عاما ، وغرفة العمليات مفتوحة على الممر العمومى ، ودورات المياه لا تستر من بداخلها، وأجهزة التعقيم الخاصة بالعمليات في الحمام (٤٠) . ونرى فى « حس البيت » الكبريت الذى لا يشتعل ، والنور الذى ينقطع ، ونسمع أصوات الباعة الجائلين وعربات الكارو ، وصراخ أولاد الكرة الشراب (٤١) . كذلك نجد المخدرات شائعة بين أفراد قاع المجتمع . ويبدو ذلك فى أكثر من أقصوصة (٤٢) .

ويبلغ محمود عوض عبد العال فى المزج بين الواقع والخطرات المنسابة فى تيار الوعى ، أو بين الحقيقة والحلم . وهو فى هذا يتابع بدقة منهج جيمس جويس فى أقاصيصه التى كانت غالبا تمثل صراعا بين « دون كيشوت » و « هاملت » ، كما كانت تتميز بانها ملهاة البطولة الساخرة ، إذ يضعها فى صورة تقابل بين الأضداد ، وكذلك يفعل محمود عوض . وأبرز قاصيصه التى تمثل هذا الاتجاه (إعلانات مبوبة) ، وقد حصرها فى طلب وظائف ، وعطاءات ، وأشياء للبيع ، وتفاليس (٤٣) .

ونرى فى « علامة الرضا » طفلا فى الثامنة (يدخن سجائر مستوردة ، دفاعا عن مرض خبيث فى جسده) (٤٤) .

أسلوب تيار الوعى

ويختلف المدى بين هؤلاء الكتاب فى استخدامهم أسلوب تيار الوعى ، فبينما نجد محمود عوض عبد العال يستخدم كل عناصر تيار الوعى الممتزج بالاتجاه السريالى فى إدراك واقتدار ، ويسقط (الأحدوثة) تماما من أقاصيصه ، ويبتعد عن السرد وتقديم نماذج إنسانية نمطية ، ويستخدم الرمز والصور المجازية والأفكار المبعثرة ، نرى محمد حافظ رجب مبقيا على قدر من السردية والحكاية ، إلى جانب استخدامه تيار الوعى والعناصر السريالية . وإدوار الخراط والسعيد الورقى يكادان يبتعدان عن تخوم السريالية وعن عناصر كثيرة فى البناء الفنى لتيار الوعى ، ويعتمدان ـ فى معظم الأحيان ـ على الحدث والحكاية . ويهتم إدوار الخراط بالأسلوب الوصفى الفوتغرافى المدقق ، الذى يرسم الشخصية والبيئة بالطريقة المالوفة (٤٥) . ونحن نعلم أن تعرف الأماكن فى هذا النوع من القصص لا يتم عن طريق الوصف ، بل عن طريق إثارة الأحاسيس والعواطف .

وتعد أقصوصة (مريض) لمحمود

عوض عبد العال من النماذج الدالة على انسياب تيار الوعى ، وتناثر جزئيات الأفكار بأسلوب سريالى . يقول فيها « لا أعرف أبدا إلى أين أنا ذاهب على وجه التحديد .. آه .. التى تناولت كوب الماء المعطر .. عطشانة صحرائى .. هات يديك لأقرأ حظى حسب التقدير الفلكى وأسجد .. (تؤول الحياة فى مشاجرة عائلية إلى أمور لا معنى لها ..) . جذبت ياقة قميصى من تحت ثنية رقبتى على النقالة .. الخجل مر بيده على مكان .. مسح عرقه .. لم تهضم سوء نيتك ، ملابسك الصحراوية متربة .. الطيور المسافرة على صدره مجهدة .. فداؤك باق ، سحاب صحراء مقطوعة النور .. تاه على أرضها ، يحمل أحزان النفى والموت .. المطبات فى الطريق تدبر مؤامرة اغتيال مجانية .. على حافة النقالة يرجون رأسا .. سقوطا من نافذة الرحالة المنبوذين على رمل التية .. على مهلك .. لأمسك مطرقة .. تدلى أصواته .. ها هم مندفعون إلى المخابىء .. فى الزحام أمن .. كرهوا رائحة عرقهم .. عفن الريح من حجرة البيانات ، قعد وجه غريب مريض لم أتعوده .. أنت . من حيث بدأ يخطو ، حصد الخرس والملل فى بيت لا يكنس فيه عقب السيجارة .. وجهها محروق تحت قدمى تمثال نصفى .. نعاها فى صمت أول .. شارع وسلالم وصمت يفتح باباً موصداً فى وجه البحر » (٤٦) .

وهذا التقطيع الفكرى قد استطاع أن يعبر عنه التقطيع الأسلوبى مع تكثيف الصور المجازية والرموز . وقد لاحظ من قبل « ليون إيدل » أن بعض القصص الحديثة تبدو أشبه بسلسلة من الصور ، أكثر من كونها سلسلة الخواطر (٤٧) . ولاشك فى أن الصور المجازية أساس فى الأدب الرمزى. ومن البدهى أن القارىء يستخلص من الرموز الدلالات التى ترد فى التعابير الواعية للشخصية ، كما أن الكاتب لا يمكنه التعبير عن التجارب التى عاناها فى مخيلته إلا عن طريق استخدام الرمز ما دام منسابا فى تيار الوعى . وتجربة الكاتب وهو فى حالة شعورية تتسم بالتعقيد والغموض ، ولابد للقارىء أن يعانى تلك الحالة الشعورية للكاتب حتى يمكنه أن يحل معضلات رموزه التعبيرية .

والرمز عند كتاب الأقصوصة السكندريين يلعب دوراً مهماً فى بناء الأقصوصة عندهم ، وقد يكون رمزاً واضحاً كتلك الرموز الجنسية التى وردت فى أقصوصة (فى القطار) (٤٨) من أمثال « رحلة الحفر » و « الغصن يتأرجح من الاجهاد » لمحمود عوض عبد العال ، ومثل « السحب السوداء » و « السماء ينقطع ماؤها » فى أقصوصة (معزوفة) للسعيد الورقى ، (٤٩) واستخدم السعيد بعض الأساطير ، كسيزيف وعشتروت ، رمزاً فى الأقصوصة نفسها ، وهو رمز واضح بدلالة الأسطورة ذاتها . كذلك نجد من الرموز الواضحة الرموز الجنسية عند محمد حافظ رجب ، مثل (الجرح) الذى برزت من خلاله عيون مذعورة تقطر دماً ، ووجه غول ممزق فى الداخل ، وغير ذلك من الرموز التى تزخر بها أقصوصة « ذراع النشوة المقطوع » ، التى تصور النهم الجسدى ، والحب الفاشل والزوج المخدوع الذى يحب فى (طفولية) وكأن المرأة لعبة لا يستطيع أن يستغنى عنها (٥٠) كذلك نجد عنده الساعات رمزاً للسنين حين يتابعها بطريقة متوالية قفزاً ، وفى بعض السنوات يتوقف عند ظهيرة الساعة الخمسين ثم عند ليلها (٥١) .

وقد يكون الرمز مغرقاً فى الغموض والضبابية ، كما نتمثل فى اقاصيص كثيرة لمحمود عوض ، مثل (تكوينات) و (شاب يغنى) (٥٢) ، وفى مثل صوره المجازية الرمزية (الجرائد مليئة بالثقوب ، مريضة باللوزتين) (٥٣) ، وفى استخدامه لعبة الشطرنج رمزاً لقضايا إنسانية كما فى أقصوصة (مارش عسكرى غائب) (٥٤) .

د. محمد مصطفى هدارة

بقية البحث فى العدد القادم

هوامش البحث

(١) انظر القصة الحديثة فى ضوء المنهج الشكلى – تاليف وليم هاندى – ترجمة شفيع السيد – نشر مكتبة الشباب بالقاهرة .

(٢) انظر القصة السيكلوجية – دراسة فى علاقة علم النفس بفن القصة – تاليف ليون ايدل – ترجمة محمود السمرة – نشر المكتبة الأهلية – بيروت ١٩٥٩ : ٤٢ .

(٣) انظر المرجع نفسه : ٢٠

(٤) انظر المرجع نفسه : ٢٠٠ .

Axel's Castle by Edmond Wilson, Newyork, 1931 : 76

(٦) أصدر ثلاث مجموعات : الكرة وراس الرجل ، غرباء ، مخلوقات براد الشاى المغلى .

(٧) أصدر مجموعة «الذى مر على مدينة» ، ونشر قصصا قصيرة أخرى تطبع الآن فى مجموعة بعنوان «تحت جناحك الناعم» .

(٨) أصدر مجموعتين : الخيطان العالية ، وساعات الكبرياء

(٩) أصدر مجموعتين بعنوان : إيقاعات حزينة من زمن الموت .

(١٠) انظر أقصوصة (رجل معلق فى دوسيه) – مجموعة مخلوقات براد الشاى المغلى – نشر دار اتون – القاهرة ١٩٧٢ .

(١١) انظر أقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) – المجموعة نفسها .

(١٢) انظر أقصوصة (أصابع الشعر) – المجموعة نفسها . وغريال حى من الاحياء الشعبية بالاسكندرية .

(١٣) انظر أقصوصة (عظام فى الجرن) . المجموعة السابقة .

(١٤) من مجموعة (الذى مر على مدينة) – توزيع دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٧٤ .

(١٥) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(١٦) من المجموعة السابقة .

(١٧) من مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(١٨) من المجموعة السابقة .

(١٩) من المجموعة السابقة .

(٢٠) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٢١) انظر (تحت الجامع و (اخر السكة) و (جرح مفتوح) فى مجموعته «ساعات الكبرياء» نشر دار الآداب – بيروت – ١٩٧٢م .

(٢٢) طبع مطبعة الجيزة بالاسكندرية – ١٩٨١ .

(٢٣) من المجموعة السابقة .

(٢٤ – ٢٧) من المجموعة السابقة .

(٢٨) انظر أقصوصة «عظام فى الجرن» من مجموعة «مخلوقات براد الشاى المغلى» .

(٢٩) انظر أقصوصة «مخلوقات براد الشاى المغلى» للمجموعة نفسها .

(٣٠) انظر أقصوصة «أصابع الشعر» . المجموعة نفسها .

(٣١) انظر الأقصوصة السابقة .

(٣٢) انظر «زمن حدوث» مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٣٣) انظر «الفنان» مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٣٤) انظر «كلمات أسير» المجموعة السابقة .

(٣٥) انظر «تحت الجامع» ، «اخر السكة» ، «الأميرة والحصان» من مجموعة (ساعات الكبرياء) .

(٣٦) انظر

the Lonely Voiee by F. O.' Connor

ترجمة محمود الربيعى – نشر الهيئة العامة للتاليف والنشر – القاهرة – ١٩٦٩ .

(٣٧) المرجع نفسه : ٩ .

(٣٨) انظر القصة السيكلوجية : ١٠٥ .

(٣٩) من مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٤٠) المجموعة السابقة .

(٤١) المجموعة السابقة .

(٤٢) انظر (كلمات أسير ، و (امتداد) ، (الفنان) من للجموعة السابقة .

(٤٣) انظر مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٤٤) انظر مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

(٤٥) انظر بصفة خاصة (تحت الجامع) و (الأميرة والحصان) من مجموعته (ساعات الكبرياء) .

(٤٦) من مجموعة (الذى مر على مدينة) : ٦٤ .

(٤٧) انظر القصة السيكلوجية : ٦٤ .

(٤٨) مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٤٩) مجموعة (ايقاعات حزينة من زمن الموت) .

(٥٠) مجموعة (مخلوقات براد الشاى المغلى) .

(٥١) أقصوصة (مخلوقات براد الشاى المغلى) من للجموعة السابقة .

(٥٢) مجموعة (الذى مر على مدينة) .

(٥٣) أقصوصة (تكوينات) من المجموعة السابقة .

(٥٤) مجموعة (تحت جناحك الناعم) .

قصة من تاريخ العريش

الخواجة شمعون

بقلم: درويش مصطفى الفار

من المضحكات فى التاريخ ، أن البريطانيين ، أثناء احتلالهم لمصر ، بذلوا جهداً علمياً ممتازاً ، لاثبات أن حدود مصر الشرقية هى الخط الممتد بين رفح شمالا وراس خليج العقبة جنوبا ، وكان ذلك سنة ١٩٠٦ أثناء نزاعهم مع الدولة العلية إثر حادثة بير طابا التى افتعلوها آنذاك ، وأعلنوا للعالم أن شبه جزيرة سيناء كلها ، أرض مصرية منذ فجر التاريخ ، وكانت شبه الجزيرة قبل حفر قنال السويس سنة ١٨٦٩ وقبل الغزو البريطانى سنة ١٨٨٢ تنقسم الى ثلاثة اقسام أساسية ، فيطلق على جنوبها الوعر الشاهق الذرى اسم طور سيناء ، دون أى سند علمى محقق على أنها سيناء التوراة والانجيل والقران الكريم ، وكان أقصى شمالها يسمى أرض الجفار ، أى الآبار الواسعة غير العميقة ، وكان الجفار مشهوراً بنخيله ورمانه وأعنابه وأسماكه ، وبين طور سيناء والجفار كان ما يسمى بلاد التيه ، زعماً أن تيه أتباع موسى أربعين عاماً كان فيه ، دون حقائق علمية أيضاً يستند اليها ... واجتاح الاتراك مع حلفائهم الالمان شبه جزيرة سيناء منذ أوائل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) واتخذ القائد الالمانى كريسن فون كريسنشتاين مقر قيادته لدى بير المغارة وبير موبرب فى شمالى سيناء ، ولعبت الخيانة دورها العتيد ، على أيدى متعهدى التموين للجيش التركى الرابع ، فكان الماء والغذاء لا يصلان بالقدر الكافى ولا فى المواعيد المنتظمة ، فاستطاع البريطانيون أن يعيدوا سيناء الى قبضتهم إثر معارك الرمانى والمقضبة وبير الدويدار وانسحاب العثمانيين ، فافتى مفتى السياسة فى بريطانيا العظمى ، بأن سيناء أرض عدو حررها الانجليز بدماء الاستراليين والنيوزيلنديين والهنود والافارقة وغيرهم من عسكر الامبراطورية ، فهى إذن أرض (بريطانية) وليست أرضا مصرية !!! علماً بأن من هلك من المصريين ، بدواً وحضراً ، من سائقى (جمال السلطة) وعمال السكة الحديد ، كانوا أكثر ممن هلك من البريطانيين ... ومن منطلق أن سيناء المحررة من الأتراك تابعة للتاج البريطانى ، كان اختيار الميجر (الرائد) كلود سكودامور جارفس سنة ١٩٢٣ الذى كان أحد ضباط جيش اللنبى ، محافظاً لسيناء خلفاً للكولونيل الفرد باركر (بركل بك) ابن اخت اللورد كتشنر ...

كان جارفس رجلا قصير القامة ، تكسو سمعه مسحة من صمم ، حتى سموه فى سيناء (الأطرش) ، وكان يلبس فوق رأسه طربوشاً مصرياً أحمر يميله نحو أذنه اليمنى باعتبار أنه موظف فى حكومة جلالة ملك مصر ، بيد أنه كان يعتبر سيناء مملكة خاصة داخل المملكة المصرية يتصرف فيها كما يشاء ، على أساس أنه (مسنود) من الغرب بجيش الاحتلال البريطانى وفخامة المندوب السامى بقصر الدوبارة فى القاهرة ومن الشرق بحكومة الانتداب البريطانية صاحبة الحول والطول فى البادية والحاضرة بكل من فلسطين وشرقى الاردن ... وظل الاميرالاى جارفس بك محافظاً لسيناء حتى سنة ١٩٣٦ ، وألف عنها من الكتب ونشر من المقالات ، ما لم يكتبه محافظ قبله ، ولا بعده ، عن أية محافظة فى أى دولة فى العالم كله ...

وللحقيقة والتاريخ ، وباعتبار أن سيناء مملكته الخاصة ، فقد بذل الأطرش جهوداً ، لاتزال آثارها باقية ، (لتحديث) سيناء وتمدينها ، طبقاً لوجهة نظره كبريطانى فى المدنية ، فعبد الطرق ، ليسهل على السائحين ارتيادها واختراقها فى رحلاتهم بين مصر وفلسطين ، وأقام الجسور والسدود وأنشأ الاستراحات وأدخل رياضة الصيد برا وبحرا ، ومد اسلاك التليفونات والكهرباء ، وعين أول مجلس بلدى لمدينة العريش ورصف فيها أول طريق بالاسفلت ، واستورد من بريطانيا الآلات لضخ المياه من الآبار وتوزيعها عبر شبكة من المواسير (البريطانية الصنع طبعاً) فى أرجاء البلدة ...

وكان جارفس ، شأن أى خواجة يتولى حكم منطقة عربية ، يرى أن الاختلاط بالخواجات ضروري لتمدين وتحضير العرب ، ومن هنا سمح ليونانى يسمى (الخواجا توما) بانشاء (حانة) فى السوق الكبير ، ومنح إقامة دائمة لخياط مالطى وزوجته (كمريرا مدام مولكون) لتفصيل الملابس الافرنجية للموظفين ، ولمن يغريه اللباس الافرنجى من (الأفندية) من الأهالى ، وعاون قبرصياً يونانيا فى انشاء (ورشة) للنجارة ، اشتهرت سنوات فى العريش بورشة (الخواجا



هكذا كان يبدو الخواجة شمعون .



الميجور «جارفس» يتفقد طابور الشرف المصطف لاستقباله عند عودته من الاجازة .. الطابور من رجال سلاح الحدود المصرى الذى انشاه الانجليز عام ١٨٩٧

خريستو) واستجلب (المسيو ارتين) ليصبح فى العريش الساحر الاوحد فى صناعة الصور (الفوتغرافية) التى كان الناس يحملقون فيها مشدوهين مبهورين ..

وكان ، الذى نحن بصدده اليوم ، الخواجة شمعون ، يهوديا يمنيا ، يقيم فى فلسطين منذ الت حمايتها الى بريطانيا العظمى ... وكانت بريطانيا العظمى يعنيها لحاجات فى انفس ابناء يعقوب ، تيسير العوائق وتسهيل تنقل (رعاياها) بين مصر وفلسطين ، لأعمال التجارة والمعاش ، فى نفس الوقت الذى كانت فيه تجعل من قناة السويس ، عند القنطرة ، والشط ، الحدود العملية بين مصر وفلسطين ... فكان (الخواجة شمعون) ياتى الى العريش فى موسم معين لشراء كميات من سعف النخيل الذى يستخدم فى بعض الطقوس الدينية لدى اليهود والنصارى ، وكان جارفس قد اخترع إقامة معرض سنوى فى العريش تحت اسم (المعرض الزراعى الصناعى) ليتبارى فيه الناس فى عرض مزروعاتهم ومصنوعاتهم اليدوية ، فطرات لشمعون فكرة المشاركة فى هذا المعرض ببعض الأدوات التى تصنع من الخوص وجريد النخل ، ومليتقن بنو جلدته من يهود اليمن صـــناعته من الحلى الفضـــية المزركشة ، فتعرف عليه جارفس ، واغراه بالعيش فى العريش واقنع احد الأهالى بتاجير بيت له فى شارع (المصابحة) ...

استقر الخواجة شمعون فى العريش وافتتح دكانا فى بيته لبيع الأقمشة والصابون والعطور والحلى الذهبية والفضية ، واصبح بحسن التصرف واللباقة انسانا مشهورا لدى البدو والحضر على السواء ... وكان رجلا هادئا باسما ممتلىء الجسم ذا لحية رمادية كثة مسترسلة ، وكان يلبس قفطانا اسمر ويتمنطق بحزام ، ويضع على راسه طربوشا اسود لا بالطويل ولا بالقصير صيفا وشتاء ويسير برزانة متوكئا على عصا من فروع شجر اللوز واختلط بالناس ، فهو يقدم الهدايا فى الأفراح ، ويمشى للتعزية هو وزوجته (ام حاييم) فى المآتم ، ويمتنع عن الطعام والشراب فى نهار رمضان ، ويصبر على المديونين والمعذورين ، ويدفع عدا ونقدا أثمان ما يشتريه من سعف النخيل . وتمار الحنظل التى كان يرسلها على ظهور الابل لأحد المصانـــع الكيماويـــة فى فلسطين ...

وكان اليهود منذ ١٩٠٩ ، قد بدأوا فى بناء ضاحية لهم فى مشارف يافا ، اسموها (تل ـ ابيف) أى جبل الينبوع ، أو تحريف (تل عفيف) كما تقول إحدى الروايات ...

ولما كانت من خصائص اليهود الأزلية ، البحث والتحرى عن كل شىء ينفع فى التجارة ، فقد عثر الخواجة شمعون على كنز ثمين على شاطىء البحر الأبيض غرب العريش .. إذ من المعروف ان براكين جنوب اوروبا وخاصة فى صقلية وجزر الأرخبيل حول اليونان ، قذفت بملايين الأطنان من الرماد البركانى الذى يعرف بحجر الخفاف او (الخفاف) كما يسميه اهل العريش ، حيث تستخدمه النساء فى الحمامات لازالة القشف وتطرية الجلد ... وتحمل الأمواج ذلك الخفاف عائما على سطح الماء الى الساحل الجنوبى للبحر المتوسط حتى يصل كم هائل منه الى ساحل سيناء الشمالى ، ويستقر هناك تحت طلب العارفين ... فلما شرع بنو شمعون فى بناء العمارات بالأسمنت المسلح ، بحثوا عن مصدر لمادة خفيفة الوزن تخلط بالأسمنت بدل الحصى الثقيل وتقوم مقامه من حيث التحمل والمتانة ، فوجدوا ضالتهم من دفتر المعلومات عند الخواجة شمعون بالعريش

وشهدت الثلاثينات قبل الحرب العالمية الثانية قوافل الابل المحملة بالخفاف تاخذ طريقها ، الدرب السلطانى ، بين ساحل سيناء الشمالى وتل ابيب تسير بلا اناة ، لتفرغ احمالها هناك ، وتعود محملة بخيرات فلسطين من البرتقال والزبيب وزيت الزيتون والصابون ...

وفجاة اختفى الخواجة شمعون ...

وقام العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ...

وفوجىء احد سكان شارع المصابحة يوما ما ، بضابط اسرائيلى يطرق بابه ، ويعرف نفسه قائلا :

انا حاييم ابن الخواجه شمعون !!!

لقد ولدت فى هذا البيت ، الذى لم يستطع أبي أن يشتريه منكم وكان يتمنى ذلك ليقضى بقية عمره فيه ، بعيدا عن ذلك الجحيم الذى اوقعتنا فيه نظريات الهوس العنصرى الصهيونية ، التى ساعدتموها انتم معشر العرب ، وانتم لا تشعرون .....

مدريد تستعيد وجهها العربي القديم

في أسبانيا

احتفل العالم بالذكرى العاشرة

لعميد الأدب العربي

بقلم : فتحي سعيد

مدريد عربية !

نعم .. استعادت مدريد وجهها العربى القديم عبر ستة أيام فى الشهر الماضى، بعد أن عاشت به ثمانية قرون كاملة ، تزهو على العالم من خلال نافذة الحضارة القديمة التى تطل على أوربا ، وافريقيا ، والبحر الأبيض ..

تالق وجه طه حسين عميد الأدب العربى تحت سماء اسبانيا وربوع الأندلس وكأنما يحمل معه فى ذكراه العاشرة ريحاً عربية تفوح بعطر الشرق وتعانق مهدها العربى القديم .. وتغتسل بأمطار مدريد الربيعية ..



د. طه حسين الذى احتفل العالم بذكراه العاشرة فى اسبانيا

لم يمنع تساقط المطر المنهمر ، وموجات البرد المفاجئة من توافد الكثيرين للمشاركة فى الاحتفال بالذكرى العاشرة لطه حسين فى قاعته الكبرى المسماة باسمه فى قلب المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، الذى انشاه طه حسين فى نوفمبر عام ١٩٥٠ ، ليكون منارة اشعاع اخرى تضاف لآثارنا العربية التى تملأ ربوع اسبانيا ، ولينشر الثقافة العربية عبر الأسبان من خلال الدراسات والحلقات والمكتبة العربية النادرة (٢٥ الف كتاب) والمهداة من الاسكوريال ..

فى قلب قاعة طه حسين الكبرى افتتح مهرجان الذكرى فى الخامس والعشرين من شهر ابريل المنصرم .

ولم ينفرد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية بالاحتفال بهذه الذكرى ، ولكن شارك فيها المعهد الاسبانى العربى للثقافة وجامعة مدريد المستقلة ، وجامعة غرناطة .

اشترك فى المهرجان الكبير وفود من مختلف بلاد العالم .. وقد مثل وفد مصر من الادباء ورجال الجامعة : الدكتور ابراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية ، والأديب يحيى حقي ، والدكتور عز الدين اسماعيل امين المجلس الاعلى للثقافة ، والدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم والدكتور رمضان عبد التواب عميد آداب عين شمس ، والدكتور محمود علي مكي رئيس قسم اللغة العربية بكلية آداب القاهرة والدكتور عبد الحميد ابراهيم .. جامعة المنيا ، والدكتورة هدى وصفى الأستاذة بآداب القاهرة ، والدكتور جابر عصفور الأستاذ بآداب القاهرة ، والدكتور صلاح فضل المستشار الثقافي لمصر فى مدريد وعميد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية والدكتور محمد حسن الزيات وحرمه عن أسرة طه حسين .

ظاهرة تاريخية

افتتحت الندوة الدولية فى السادسة مساء بكلمة صلاح خليفة سفير مصر فى



اشترك فى الاحتفالات وفد مصرى من الادباء واساتذة الجامعة وهم من اليمين الى اليسار : د. محمد حسن الزيات ، يحيى حقى ، صلاح خليفة ، ود. بيومى مدكور ، ود. عز الدين اسماعيل .

مدريد ، رحب فيها بالسفراء العرب الذين حضروا الافتتاح ، وقال ان هذا المعهد ثمرة من ثمرات طه حسين لذلك فهو انسب مكان للاحتفال به .

ثم افتتح الندوة المستشار الثقافى لمصر د . صلاح فضل بكلمة نوه فيها بدور طه حسين فى الأدب العربى وبالذكرى العاشرة التى يحتشد لها هذا الحفل من كل فج لتكون هذه المناسبة العاطرة فى قلب القاعة التى تحمل اسم العميد تكريما له واعترافا بفضله فى إنشاء هذا المعهد الذى كافح طه حسين طويلا ليكون منارة اسلامية فى قلب اوربا ..

تم راس الجلسة د . ابراهيم مدكور رئيس المجمع اللغوى ، وتحدث عن معاصرته لطه حسين وصلته الفكرية ، والتى استمرت خمسين عاما ، عمل خلالها معه استاذا . وكان طه حسين عميدا للآداب حيث انضم لمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ ، ولحق به الدكتور مدكور عام ١٩٤٦ وطالت الصحبة بينهما فى أروقة مجمع الخالدين .

وتحدث الدكتور مدكور عن حفاوة طه حسين بالتراث العربى واهتمامه ببعثه واحيائه وكيف صدر كتاب ابن سينا « الشفاء » ثم كتاب مجهول هو « المغنى للقاضى عبد الجبار » « وكتاب الدين للشيبانى » ، ثم المعجم الكبير الذى اضطلع بعبء إخراجه وابى ان يشاركه أحد رغم قيامه باعباء الوزارة واستغرق هذا العبء عشر سنوات .

وتحدث الدكتور مدكور عن امنية طه حسين فى أن يكون للمجمع اللغوى دار مستقلة لائقة ، وكان يشبهه بقوله : « إن مجمع اللغة العربية اشبه برجال البادية ينتقلون من نجع إلى نجع فهل يكون لهم دار » .

وتم بناء الدار ولكن بعد رحيل العميد ولو كان حيا لافتتحها اليوم . !

واحة فى قلب المعترك

وتحدث الاديب يحيى حقي فقال :

« من عالم ممزق تملؤه الحروب والتلوث لا فى الغبار والهواء فحسب بل تلوث هذا السيل من الأسلحة الفتاكة حتى ترى الزنجى مريضا فى الغابة وبقرته مريضة بجواره ويحمل بين يديه سلاحا فتاكا بدلا من ان يحمل فأسا او غصنا .

فى هذا المعترك .. نلوذ بهذه الندوة كانها الواحة فى ظل طه حسين الذى وهب حياته لبلاده حبا وعملا ليحقق الصلة بين حضارة مصر وحضارة البحر الأبيض . لقد وضع طه حسين امامه سؤالا واحدا : ماذا ناخذ من الحضارة وماذا نترك ؟ ذلك بان نقتبس المنهج العلمى السليم الذى قفزت به أوربا قفزة حضارية واسعة واؤكد لكم ان القضايا الفكرية التى نعيشها اليوم عام ١٩٨٣ هى نفس القضايا التى اهتم بها طه حسين .. ولان المستنقع كان كبيرا فكان لابد أن يلقى طه حسين حجرا كبيرا ليحرك هذا الركود ويبعث الحياة فى أوصال الادب والنقد الحر .. ولقد هوجم كثيرا واغلظوا له القول .. ورد على مهاجميه فلم يذكر كلمة نابية واحدة او لفظا فاحشا بينما المحوا هم إلى عاهته وعماه . ! » .

واختتم يحيى حقى كلمته بقوله : « إن طه حسين صاحب جوانب كثيرة ومعارك اكثر .. الجامعة وكيف نشات على يد لطفى السيد ويديه .. فى الصحافة الادبية .. فى المسرح .. فى الترجمات من ادب اليونان والفرنسيين .. الاهتمام بالفرقة القومية .. احترامه للفصحى وكم سحرنا بصوته العذب واثبت اللغة فى آذان المستمع . ومازلت اذكر فى إحدى زياراتى له .. حين وجدته جالسا على مقعد كبير فى ركن الحجرة وقلت لنفسى هذا الرجل القادم من الصعيد يجلس ويبدو كفارس من فرسان العصور الوسطى لمهابته وفرط جلاله وترنمت بهذا البيت :

يغضي حيـــاء ويغضي من مهابتـــه
فلا يـــكلم إلا حين يبتســـــم

كيـــان كامل

والقى الدكتور عز الدين اسماعيل امين المجلس الأعلى للثقافة كلمة قال فيها :

« كان طه حسين ظاهرة تاريخية تحمل مسئولية تجديد الأدب العربى فى العصر الحديث ، ومهمة تمحيص الأدب الجاهلى وإجلاء صورته فى الأذهان لم تكن اقل خطرا من الأدب الحديث . وادرك طه حسين ببصيرته النفاذة ان الحياة الأدبية لكى تنهض لابد لها ان تنفتح على الحضارة الغربية بدءا من تراثها الاغريقى حتى المعاصر ، فانشا قسما للدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب وهيا مناخ التفاعل بين الأدب العربى وغيره من الآداب .

ومن الهموم التى حملها طه حسين فى قلبه وعقله إعادة صياغة تاريخ البعثة المحمدية وما اعقبها من احداث فى « هامش السيرة ـ الفتنة الكبرى ـ الوعد الحق » .

واقتحم فن الرواية والسيرة الذاتية فابدع « الايام » ـ « دعاء الكـــروان » و « المعذبون فى الأرض » و « شـــجرة البؤس » .. وهو ابداع أدبى استطاع ان يشق له لغة خاصة تنم عليه وتظل نموذجا يحتذى فى تماسك بنائها وموسيقاها .

كل هذا يجعل من طه حسين ظاهرة تاريخية وليس شخصية ادبية فلا يمكن حصره فى تلك الدروب فتتحدث عنه كاتبا روائيا واديبا ومنظرا ثقافيا .. لانه لم يكن واحدا من هؤلاء ولا مجموع هؤلاء ..

ولكنه كان كيانا كاملا سطع فى حياتنا

في أسبانيا
احتفل العالم بالذكرى العاشرة لعميد الأدب العربي



جانب من الندوة التى احتشدت فيها مجموعة من مفكرى وادباء العالم .

منذ كان ذلك الفتى الضرير الفقير القادم من احدى قرى الصعيد ليكون ذلك العلم الرفراف فى سماء حياتنا الأدبية » ..

هذا المعهد الاسلامى

وتحدث دكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر السابق وزوج السيدة امينة طه حسين التى صحبته فى الندوة الدولية لذكرى والدها .. فقال :

« إن هذا المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد .. كان حلماً من احلام طه حسين منذ ان زار غرناطة والأندلس .. فحلم ان ينشىء هذا المعهد ليكون منارة إشعاع عربى واسلامي .. فى مهد عريق اثراه العرب طوال ثمانية قرون وها نحن نتحدث فى ذكراه من قلب هذا المعهد بعد ان صار حقيقة ومن قاعته الكبرى المسماة باسمه رمزاً للوفاء .

واذكر فى الأربعينيات ان جامعة اكسفورد اخرجت كتاباً للعالم الكبير (إديلا اوف باف) الذى ضاق بالدراسة فى جامعة اكسفورد فى منتصف القرن الخامس عشر وهاجر إلى باريس فضاق بجامعتها واساتذتها ايضا فتركها إلى اسبانيا حيث اقام فى جامعة طليطلة ، وكان العرب هم الأساتذة والطلاب ، فتعلم العربية وترجم امهات الكتب القديمة ، واخذ يبعث برسائل إلى اصدقائه فى جامعة اكسفورد يقول فيها : « إن العلم هو علم العرب » .

اذكر اننى عرضت فصولا من هذا الكتاب على الدكتور طه حسين فاختار لها عنوانا (قابس النار) ورأى ان المؤلف قبس نار العرب ليشعل عصر النهضة فى اوربا ، وترجمها طه حسين ، ونشرها فى الاهرام تحت هذا العنوان » .

وختم الدكتور الزيات كلمته بشكر المعهد المصرى وعميده والمحتفين والوفود العربية والأجنبية ، وردد قول طه حسين المأثور : « بارك الله هذا الثمر الكريم فى هذا الغرس الكريم » .

معرض الكتاب

وانتهت كلمات الافتتاح للندوة الدولية فى ذكرى طه حسين العاشرة . حيث قام السيد / صلاح خليفة سفير مصر فى مدريد ، بافتتاح معرض الكتاب وكان قد القى كلمة رحب فيها بالوفود وبالسفراء العرب الذين حضروا الافتتاح وبالأساتذة المتحدثين قائلا :

« إن هذا المعهد كان ثمرة طيبة من ثمرات طه حسين ، ولهذا فان قاعات هذا المعهد هى انسب مكان للاحتفال بعميد الأدب العربى » .

وقد ضم معرض الكتاب الذى اقامته هيئة الكتاب ، ودار المعارف ، والأهرام العديد من مؤلفات طه حسين فى طبعات مختلفة والعديد من الدراسات التى كتبت عنه .

وسام الفنون

وتتابعت ايام المهرجان على مدى الأسبوع بين مدريد وغرناطة فتحدث فى اليوم الثانى د . عبد الله الطيب مدير جامعة الخرطوم السابق عن «طه حسين فى نقد الشعر » .. مركزاً حديثه على كتاب « حديث الأربعاء » خاصة ، وما حفل من عرض منهجى لشعراء الجاهلية والاسلام .

واعقبه د . شارل فيال من فرنسا ، فتحدث عن « طه حسين الروائى » عبر اعماله الروائية وسيرته الذاتية .

وتحدث دكتور رمضان عبد التواب عميد آداب عين شمس عن « طه حسين فى مجمع الخالدين » فالتقط الجانب الآخر فى طه حسين .. وهو جانب عضو المجمع اللغوى ودوره فيه وإسهامه فى بعث التراث وتوطيد اللغة العربية ..

وتحدث الدكتور انور لوقا « سويسرا » عن الأيام والغرب من رفاعة الطهطاوى الى طه حسين . وكان مسك الختام حديث الدكتور العلامة محمود علي مكي (جامعة القاهرة) وهو احد القلائل العرب الذين ترجموا الأدب الأسبانى الى العربية عبر ثلاثين عاماً من الدراسة والاقامة فى اسبانيا .. وهو احد القلائل ايضا الذين عينوا عضواً بالجمعية الملكية الأسبانية ، والذين حصلوا مؤخراً على وسام الدولة الأسبانية فى العلوم والفنون وهو صاحب كتاب « مدريد عربية » « ولوركا » وعشرات الدراسات عن الشعر الأسبانى .. والمسرحيات الأسبانية ..

وقد تحدث الدكتور محمود مكي عن « طه حسين والمتنبي » من خلال كتاب العميد « مع المتنبي » .

وتوالت عبر أيام الأسبوع كلمات الوفود فتحدث الشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى عن التاثير الفكرى لطه حسين على حركة الشعر الحديث .

وتحدث كورنو لويس نيهلاند « هولندا » عن « دعاء الكروان رواية ذات رسالة » .

والقى الدكاترة عبد السلام المسدى « تونس » وهدى وصفى « مصر » بحثين عن طه حسين ومقولة الاجناس الادبية نموذج السيرة الذاتية و « اوديب بين اسطورة سوفو كليس وواقع طه حسين » .

وتحدث د . عبد الحميد ابراهيم «جامعة المنيا» عن الشكل القصصي عند العميد واختلاف تجربته من خلال اعماله شهرزاد ، واوديب ، وشجرة البؤس .

شيخ المثقفين العرب

وفى مقر المعهد الاسبانى العربى للثقافة .. وهو مبنى عتيق من الطراز العربى الاصيل الذى تفوح من قاعاته الرحبة رائحة الشرق .. وتنتشر على جدرانه وسقوفه ونوافذه الرسوم والخطوط العربية القديمة بالوانها الزاهية اللامعة حتى اليوم ..

وفى قاعة المحاضرات الكبرى .. القى الدكتور بدرو مارتينث المستشرق الاسبانى العلامة الذى ترجم كثيراً من امهات الكتب العربية إلى اللغة الاسبانية ويقوم حالياً بترجمة مختارات من الشعر العربى الحديث .. القى بحثاً مطولا عن طه حسين كشخصية رائدة واساسية فى تاريخ الفكر العربى المعاصر واعتبره شيخاً للمثقفين العرب المعاصرين وشاهدا على عصره ، عاصر اهم فترات بناء مصر الحديثة ليس فقط فى المجال النظرى والفكرى ، ولكن فى الحياة اليومية ، مؤكداً ان الحضارة المصرية والعربية هى التى انجبت طه حسين .

وفى صباح الخميس الثامن والعشرين من ابريل .. عقدت ندوة كبرى فى جامعة مدريد المستقلة ادارها د . بدرو ، واشترك فيها الدكاترة : محمود علي مكي ، وماركوس مارين ، وصلاح فضل عميد المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، وكارمن رويث من جامعة مدريد .

وفى مساء نفس اليوم .. واصلت الندوة احتفالاتها فتحدث دكتور محمد برادة « المغرب » عن مفهوم الحداثة عند طه حسين ، حيث عرض لهذا المفهوم من خلال كتابين هما « حافظ وشوقى » و « حديث الأربعاء » باعتبار ان الحداثة عنصر اساسي فى إشكالية النهضة العربية منذ بدايتها حتى الآن .

اما الدكتور كمال ابو ديب « الأردن » ، والدكتور جابر عصفور « القاهرة » فقد القيا بحثين جديدين اثارا كثيراً من اللغط بين المحتفلين . حيث تحدث ابو ديب عن « شعريات للسمع » شارحاً الفرق بين التاليف البصرى الذى يعتمد على المشاهدة والتاليف السمعي الذى يعتمد على السماع ، وطبق ذلك على نتاج طه حسين الأدبى .

وتحدث جابر عصفور عن طه حسين والمرايا المتجاورة ومدى انعكاس الصور الأدبية فى عالمه الخيالى .

والقي د . محمود صبح « فلسطين » بحثاً عن طه حسين وثقافة البحر الابيض المتوسط باعتبار ان هذا البحر ضفاف عربية حملت إلى الغرب ثقافة العرب كما حملت إلى العرب ثقافة الغرب .

غرناطة مملكة القرنفلة

وفى اليوم الخامس للندوة الدولية .. سافرت الوفود المشتركة إلى غرناطة بدعوة من جامعتها .. حيث قامت بزيارة قصر الحمراء ، تحفة العرب الخالدة الشماء التى تطل على ميدان البيازين الشهير ، والذى تنتشر على جدرانه العالية آيات القرآن الكريم ، وابيات من الشعر لابن الخطيب وغيره من شعراء الأندلس ..

وغرناطة .. مهد لوركا .. شاعر اسبانيا الكبير .. ومعناها القرنفلة ، وهى رمز هذه المدينة التى تفوح فى اجوائها رائحة الخضرة والزهور النادرة .. وتحتضنها من كل جانب القلاع والحصون العربية الرابضة كانها أطلال العرب الخالدة مع العصور .. والتى اوحت لجمالها وطبيعتها الخلابة لكثير من الشعراء باروع القصائد التى يجرى فى عروقها الدم العربى امثال « مانويل » الذى يقول معترفاً بذلك :

.. انا من جنس عربى .
جنس كان صديقاً قديماً للشمس .
وروحى هى روح الزنابق العربيـــة الاسبانية .

وفود المؤتمر

- الدكتور عبد الله الطيب : مدير جامعة الخرطوم .
- الدكتور انور لوقا : جامعة جنيف .
- الدكتور والمستشرق الاسبانى بدرو مار تينث : اسبانيا
- عبد الوهاب البياتى : المستشـــار الثقافى لحكومة العراق فى مدريد .
- كورنو لويس نيهلاند : عن جامعة امستردام بهولندا
- عبد السلام المسدى : جامعة تونس
- د . كمال ابو ديب : جامعة اليرموك بالأردن
- د . محمد برادة : جامعة المغرب
- د. محمود صبح : فلسطين
- دكتور انطونيو جاييجو : مدير جامعة غرناطة .
- الدكتور الآب داريو كابانيلاس رئيس قسم اللغة العربية بجامعة غرناطة .

ومثل جارسيا لوركا .. ابن احدى قرى غرناطة « فونتى فاكيروس » والذى يقول واصفاً موطنه غرناطة : « اما غرناطة فتقوم على جبلها وحيدة منفردة منعزلة لا منفذ لها تطل منه على العالم إلا من اعلى من قبل السماء والنجوم » .

وتحت رذاذ المطر المتواصل والسماء الملبدة بالسحب وقطرات البرد .. اقيم اليوم الختامى السادس لندوة طه حسين الدولية حيث اقيم الاحتفال فى مبنى المدرسة العربية العتيقة الملحق بجامعة غرناطة فالقى الدكتور انطونيو جاييجو مدير الجامعة كلمة ترحيب بالوفد وبصاحب الذكرى ، واعلن منح جامعة غرناطة الدكتوراه الفخرية لطه حسين التى تم التوقيع عليها اليوم احتفالا بهذه الذكرى الغالية .

والقى الدكتور صلاح فضل المستشار الثقافى المصرى فى مدريد رسالة الدكتور جارثيا جومث تلميذ طه حسين وصديقه الذى تحدث عن هذه الصداقة فى كلية الآداب بالقاهرة ، حيث تعلم من طه حسين الكثير ، وكم تمنى لو حضر العميد منذ سنوات ليتسلم بنفسه الدكتوراه الفخرية ، ومن شروطها حضور صاحبها ليتسلمها بنفسه ، ولكن الجامعة اعفت طه حسين من هذا الشرط الاساسى واعلنته بذلك .

وفى الختام القى الدكتور احمد هيكل عميد كلية دار العلوم كلمة جامعة القاهرة فتحدث عن « جانب الجامعية » عند طه حسين .. وكيف كان جامعياً بمعنى الكلمة يحرص على كرامة الجامعة وكرامة أستاذها ، ويحرص على حرية الطلاب .. ولا يخضع لغير إرادته ومصلحة الجامعة العليا ..

● ●

واخيراً .. انتهت الندوة الدولية لذكرى طه حسين العاشرة بعد ستة ايام متوالية ، تحت سماء مدريد ، وغرناطة وقد تالق وجه عميد الأدب العربى عبر الأفق .. يرى كيف يحتفل الغرب بذكراه وفضله .. وكان روحه تحلق عبر الربوع العربية العريقة يدور حول الديار ويتنسم عبير الماضى وهو يردد بيت الاحوص الاثير لديه :

ادور ولولا ان ارى ام جعفـــر
بابياتكم مـــادرت حيث ادور !

فتحي سعيد ـ مدريد

بعض العظماء وصلوا إلى القمّة بعد السبعين

الشيخوخة ليست نهاية الشباب!

بقلم : د. عزالدين فراج

أعمار الناس لا تقاس بالسنوات ، فهذه الصفحات التى نقطعها من مفكرة الحائط كل صباح بأسمائها وأرقامها لا تعنى سوى مجرد نظام صنعناه نحن بأيدينا ، نحدد بها حياتنا وعلاقتنا بهذا الكون الواسع وكل ما يحدث فيه . قالوا ان العمر ساعات وان للحياة مقاييس زمنية . وكل هذا صنعناه بأنفسنا .. صنعناه لنحدد حياتنا بالدقائق والساعات التى حولت الحياة البسيطة الى آلة معقدة .

نسينا أن عمر الانسان هو ما يشعر به من حيوية ونشاط يدفعه الى الاقبال على الحركة والعمل وما يشعر به الانسان على قدرته على التركيز والتفكير .

وللشيخوخة مظهران ، مظهر بدنى يتعلق بحالة الجسم وشكله ، ومظهر نفسانى يتعلق بالمشاعر وحالة النفس ، ومن المظاهر الجسمانية، فالجلد يبدأ فى الجفاف منذراً بتكوين التجاعيد ، والشعر يصير رمادياً وفى معظم الأحيان رفيعاً . أما العين فتأخذ عدستها فى التعتم كما يفقد الجهاز السمعى بعض كفاءته. وبالاضافة الى ذلك يميل الجسم إلى السمنة في حين تنكمش العضلات وتتيبس المفاصل وربما تتورم .

وبخلاف ما تقدم فان الأجهزة الداخلية فى الجسم يصيبها ضعف القلب وضعف كفاءته تدريجياً وتصبح الأوعية الدموية أقل ليونة ، ويضعف نشاط الرئتين والكليتين .



مجموعة من العباقرة الذين بلغوا أوج مجدهم فى الشيخوخة وهم من اليمين الى اليسار : اسحاق نيوتن الذى بلغ من العمر (٨٩ عاما) ، فولتير (٨٤ عاما) ، وليو تولستوى (٨٢ عاما) ، ومايكل انجلو (٨٩ عاما) ، والموسيقار جوزيف فردى (٨٨ عاما) وريتشارد فاجنر (٧٠ عاما) .

وليت الأمر يقتصر على ذلك بل تضعف مقاومة الجسم للأمراض المعدية ويصبح لقمة سائغة لها ، فضلا عما يتربص له من أمراض كتصلب الأوعية الدموية والسكر والسرطان .

ويرى بعض الاخصائيين أن الشيوخ عرضة للاصابة بالاضطرابات العاطفية وضعف الذاكرة والشعور بالضعف العام والميل الى العزلة . وتعتبر هذه الأمراض من الأمور العادية ولا تحتاج لعناية خاصة وإن كان بعض الأطباء يخالف هذا الرأى. وفى اعتقاده أن الرعاية الطبية لهؤلاء الشيوخ قد تمنع تدهورهم .

إطالة العمر

والانسان يشيخ بسبب ضعف جهازه المناعى . فالأجسام المضادة وبعض كريات الدم البيضاء التى ينتجها الجهاز المناعى قد أودع فيها المولى قدرة التعرف على البكتريا والفيروسات التى تغزو الجسم ومهاجمتها . ويعتقد بعض الباحثين أنها تقوم أيضاً بمعرفة وتدمير الخلايا السرطانية الأولية عند ظهورها فى الجسم . ولكن عندما يتقدم الانسان فى العمر فان هذا الجهاز المناعى يفقد القدرة على التفرقة بين ما هو عدو وما هو صديق . ويقرر الدكتور « روى ولفورد » أن انتاج الأجسام المضادة لا يضعف مع تقدم السن فحسب بل ان الأجسام المضادة الذاتية – التى تهاجم أنسجة الجسم نفسه – تأخذ فى الزيادة .

لذلك لا غرابة أن تجرى الأبحاث بهدف اعادة هذا الجهاز المناعى الى حالته الطبيعية . من ذلك ما قام به الدكتـــور ماكينودان من تعريض صغار الفئران للعدوى بالميكروبات لحثهم على انتاج خلايا ليمفاوية . وعندما حقن هذه الخلايا فى فئران كبيرة وجد أنها اكتسبت مناعة ضد جرعات مميتة من البكتريا لمدة أشهر ويرى هذا الطبيب انه يمكن للانسان تخزين بعض الخلايا الليمفاوية وهو شاب فى حالة تجمد والاستفادة بها عندما يكبر فى تنشيط جهازه المناعى .

كما يقول أن الفيتامين دال – وهو عامل ضد الأكسدة قد يطيل الأعمار .

الحرارة والانسان

وقد لا يقل أهمية عن الغذاء ما شاهده الدكتور « الكسندر ليف » بطب هارفارد – وقد قضى سنتين بين سكان تلك المناطق – عن وضع المعمرين بين السكان . لقد أوضح فى تقريره أن هؤلاء المعمرين يتمتعون بمكانة اجتماعية محترمة بين السكان وأنهم مع تجاوزهم المائة عام مازالوا يمارسون بعض الأعمال ولا يعترفون بما يسمى (بالاحالة إلى المعاش) وهؤلاء المسنون يقدرون أهمية الحياة الهادئة الخالية من كل ما يكدرها .. ويقرر الدكتور « ليف » أن الناس هناك يأملون أن تكون حياتهم أطول من ذلك . وأن من يعيش حتى المائة عام يعتبر فى نظرهم شيئاً عادياً .

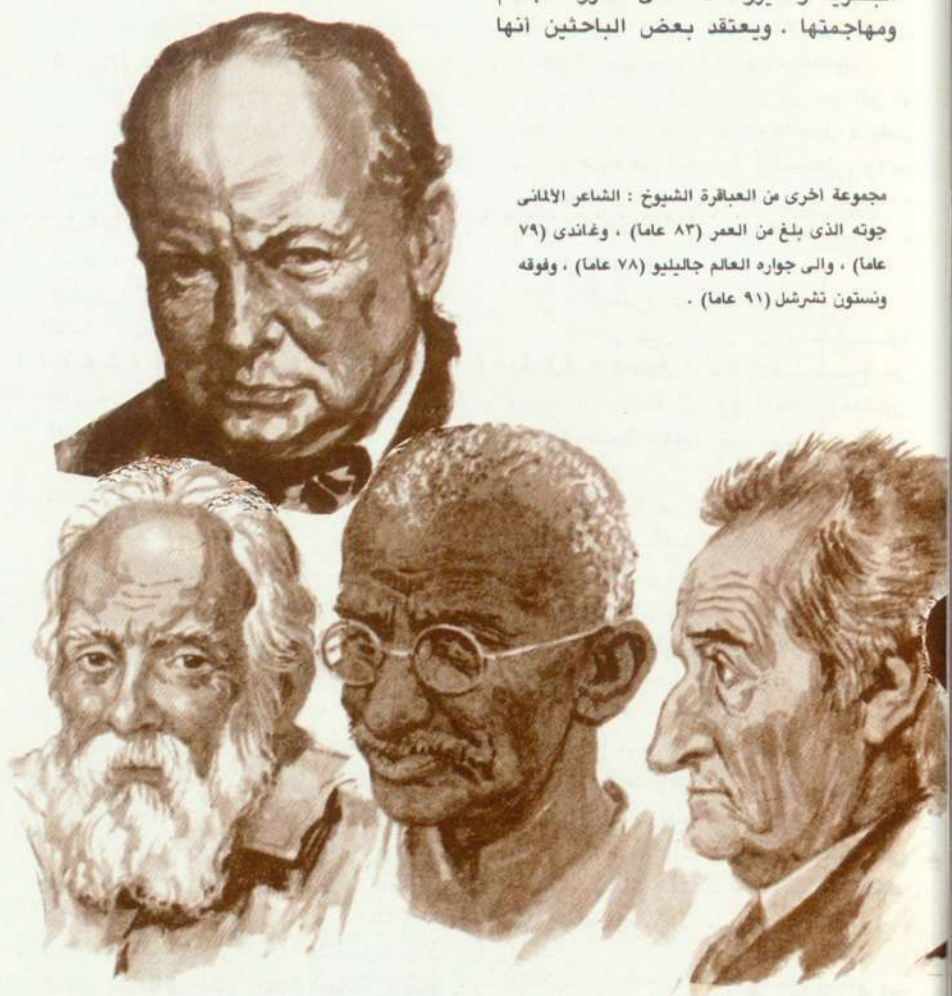
ومن العوامل البيئية المعروفة منذ زمن والتى تطيل العمر – على الأقل فى حيوانات الدم البارد – خفض درجة حرارة الجسم . وقد تمكن أحد الباحثين من مضاعفة عمر بعض الأسماك عندما خفض درجة حرارة الوسط الذى تعيش فيـه بمقدار ٥ – ٦ درجات . وعلى هذا الاساس يرى الدكتور « سترهلر » أن تخفيض درجة حرارة جسم الانسان بمقدار درجة أو درجتين– ربما بالعقاقير – قد يضيف الى عمره من ٢٥ – ٣٠ سنة .

هوايات التقاعد

وثمة شىء آخر : عليك منذ حداثتك أن « تضع عينيك » على هواية تستمتع بها بعد التقاعد ، فلا يخطرن ببالك أنك ستسعد فى تقاعدك بقضاء السنوات فى لف أحد ابهاميك حول الآخر ، أو فى عد حبات المسبحة ، وأنت تحملق فى السماء أو فى المـــاء .

ومن الهوايات الجميـــلة القـراءة ، والموسيقى ، وصنع السجاد ، والرسم ، وجمع طوابع البريد ، وعلم الحشرات ، وما الى ذلك .

وهناك خطأ شائع جداً ، هو أن التقاعد يقصر العمر ، ويذكرون مثلا لذلك حالات



مجموعة أخرى من العباقرة الشيوخ : الشاعر الالمانى جوته الذى بلغ من العمر (٨٣ عاما) ، وغاندى (٧٩ عاما) ، والى جواره العالم جاليليو (٧٨ عاما) ، وفوقه ونستون تشرشل (٩١ عاما) .

الشيخوخة
ليست نهاية الشباب!

رجال كانوا باتم صحة وهم يعملون ، فلما تقاعدوا لم يمهلوا طويلا حتى ماتوا .

وتعليل ذلك عندى يسير : فان طول مدة العمل تضعف المقاومة ، فاذا توقف الانسان مرة واحدة عن العمل ولم يكن عنده ما يشغله اطلاقا ـ كالهوايات التى ذكرت آنفا ـ كان ذلك أشبه بنزول الشخص من القطار وهو يجرى باقصى سرعته . ذلك أن اجهزته كلها معقودة على روتين مجهود معين بسرعة معينة . فايقافه فجاة يحدث هزة شديدة ، هى التى تسبب ذلك الانطفاء السريع بالوفاة ، أو بالعته .

احذر الغضب

من بين هذه الميادين ، التحـــذير من السلوك العصبى باعتباره إحـــدى الطرق المؤدية الى الشيخوخة المبكرة للوجه ولكل أعضاء الجسم تقريبا . فالانسان العاجز عن مواجهة مشاكل الحياة بهدوء وتعقل ، يخسر مع كل انفعال بعض قدرات قلبه وأعصابه .. والأجهزة الطبية خير شاهد على هذه الحقيقة .. فالغضب يرفع ضغط الدم فى الحال .. ولا يعود الى حالتـــه الطبيعية ، إلا عندما يعود الهدوء الى العقل والجسم .. وتلك ظاهرة تؤدى مع تكرارها ، الى نتائج خطيرة تهدد القلب وشرايينه .. وافضل السبل للوقاية من شيخوخة القلب والشرايين ، تكمن فى التدريب على تحمل مشاكل الحياة دون ثورات عطبية متلاحقة .. ومقاومة اغراء الطعام الحافل بالمواد الدهنية .. والاقتناع بان النصيحة القديمة المتعلقة بضرورة اعطاء الجسم حقه من الحركة والنشاط ، حتى لو تم ذلك عن طريق (المشى) داخل الشقة التى نعيش فيها .

وممارسة الرياضة البدنية تكسب الانسان صحة وتساعد الشيوخ على التخلص من زيادة الوزن . فضلا عن الفوائد الأخرى العديدة .. من ذلك زيادة قدرة الانسان على أخـــذ كميات كبيرة من الاكسجين ـ هذا أدق مقياس لحيوية الجسم ـ ورفع كفاءة الدورة الدموية من قلب وأوعيـــة وتجنب الاضطـــرابات العصبية .

ومن الالعاب الرياضية التى تناسب الشيوخ المشي والسباحة وغيرها . على أن يكون لها خطة مرسومة تلائم قـــدرة الشخص .

مخاوف الشيخوخة

وعلى الشيوخ أن يستشيروا أطباءهم بصفة منتظمة لاكتشاف الأمراض في أولها وقبل استفحالها لان أجسامهم لا تقوى على تحمل وطاة الأمراض كاجسام الشباب .

ويبدو أن أسعد الشيوخ حظا وربما أطولهم عمرا من خططوا لشيخوختهم مسبقا ، بحيث يظلون محتفظين بنشاطهم ممارسين لهوايتهم .. وتبقى الصلة باهلهم واقاربهم وأصدقائهم .

والتدخين وتناول الخمور ، وفضلا عن علاقة التدخين بسرطان الرئة والاصـــابة بالامراض القلبية،فان له دوراً فى تقصير العمر . وتشير الدلائل الحديثة الى أن كثرة التدخين تساعد على ظهور التجاعيد الجلدية قبل أوانها وخاصة حول العين ويعزى ذلك إلى عدم وصول الدم بكميات كافية لانقباض الشعيرات الدموية بفعل النيكوتين . وقد يؤدى نفس السبب إلى خلل فى الدورة الدموية بالاطراف وظهور آلام بها .

والخوف الذى يعسر على الطبيب أو الفيلسوف علاجه هو الخوف من الشيخوخة ذاتها برغم أن الكثير من الأعمال النافعة فى هذه الدنيا يقوم بها رجال ونساء أوغلوا فى العمر . ونحن نرى كثيرين حولنا جاوزوا السبعين بل والثمانين ، يعيشون أصحاء ســـعداء راضين .

والخوف من الشيخوخة خوف مركب يتضمن الخوف من العجز البـــدنى أو الاضطراب الذهنى أو الاحساس بالوحدة . ولكن هذه المخاوف يمكن التغلب عليها بقوة الخلق والايمان . وفوق مكتب الجنرال ماك آرثر ، لافتة كتب عليها : « الشباب ليس حقبة من العمر .. إنه حالة من حالات العقل .. فانت شاب بقدر ايمانك وشيخ بقدر شكك ، شاب بقدر ثقتك بنفسك ، وشيخ بقدر خوفك ، وشاب بقدر رجائك ، وشيخ بقدر يأسك » . وهذا صحيح إلى حد كبير .

احفظ شبابك فى وقت الشباب . احتفظ به إنه ذخر الكهولة وزاد الشيخوخة ، واقتصد بما تنفقه من شبابك ، ولا تحسبه ينبوعاً دائماً . إنه ينبع إلى حين ، فاذا انقضى، تطلبه فلا تجده فتندم .

القواعد الذهبية

ولكى تحفظ شبابك وحيويتك وتؤخـــر شيخوختك فعليك بالقواعد الذهبية التالية

١) العمل على طرد المشاغل المحزنة والاكثار من المرح والسرور .

٢) أخذ القسط الواقى من النوم والراحة البدنية . والنوم العميق لا يتاتى الا بطرد الأفكار المقلقة وعلاج عسر الهضم

٣) التغذية الصحية بلا اسراف أو تقتير .

٤) الرياضة البدنية ، واجبة وأهمها السير على الأقدام ، وخاصة فى الاماكن الخلوية التى يسودها الهواء العليل .

٥) الاشتغال فى الأعمال فى غير قلق أو ضجر أو ارهاق فوق الطاقة فالعمل لا يقتل بل هو يزيد من الحيوية والنشاط ، ولابد للمتقاعد عن الأعمال أن تكون له هواية ، يشغل بها نفسه ، ويجدد بها نشاطه ، فالحياة بغير عمل كالماء الراكد .

٦) الامتناع عن التدخين .

٧) على كبار السن أن يختلطـــوا بالشباب والأطفال ، فقد اتضـــح من احصاءات علمية أن ذوى الأطفال يعيشون بصحة جيدة أطول ممن ليس لـــديهم أطفال .

٨) انس الماضى ، وانظر إلى الحاضر ، وتطلع إلى المستقبل في أمل ورجاء .

ويهتم دكتـــور « ليزل جـــريز » الخبير النفسانى العالمى بالحالة النفسية للمسنين فيرى ان المسن لا يجب أن يشعر بان نهايته هى الموت ، بل يجب أن يعمل ولا يعتبر كبر السن مرضاً .

وأخيراً تذرع بالايمان بالله .. واقبل الحياة بحلوها ومرها .. وتذكر دائما أن الورد الجميل به شوك ، فلا ورد بلا شوك ، ولا حياة بلا شوك .. بهذا كله تحافظ على صحتك وشبابك ونفسك ومشاعرك وراحتك أطول مدة من حياتك .

د . عز الدين فراج



بقلم : الدكتور محمد البهي

أداء الواجبات

يقول القرآن الكريم : «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها» .

صدق الله العظيم

المقصود بأداء الأمانات هنا : هو أداء الواجبات التى يسأل عن أدائها كل مؤمن أمام الله أولا وبالذات . فالعامل مسئول عن أداء الأمانة لديه . وهى أداء واجبه فى العمل ، كما ، وكيفا .

ورب العمل مسئول عن أداء الأمانة لديه . وهى أداء واجبه فى الأجر على العمل حسبما اتفق عليه ، أو حسبما يجب .

والزوجة مسئولة عن أداء الأمانة لديها ، وهى واجبها نحو زوجها ، وأسرتها وأولادها .

والزوج مسئول عن أداء الأمانة لديه وهى واجبه فى الانفاق ، والرعاية والوقاية لزوجته وأولاده وأسرته .

والموظف مسئول عن أداء الأمانة لديه . وهى واجبه فى توصيل الخدمات لأصحابها ، فى غير بطء أو اهمال .

والوالى على اختلاف درجاته مسئول عن أداء الأمانة . وهى واجبه فى وظيفته . وهكذا .

والأمر بأداء الأمانات الى أهلها مبدأ يتميز به الاسلام عن نظم الحكم المعاصرة . إذ هو يرى : البداية والمنطلق لكل مؤمن يؤمن بالله ليس فى تحصيل الحق الذى له عند الغير . وإنما فى أداء الواجب الذى هو عليه لغيره . وبأداء الواجب يصل الحق الى صاحبه . فالواجب ، والحق اعتباران ، أو وجهان لشىء واحد . فالأجر على العمل حق للعامل ، وفى الوقت نفسه واجب على رب العمل . والعمل حق لصاحب العمل ، وفى الوقت ذاته واجب على العامل . فاذا أدى العامل العمل وهو واجبه ، وصل هذا العمل الى صاحبه ، وهو حقه . واذا دفع صاحب العمل أجر العمل وصل حق العامل عن العمل الذى أداه وهو حقه ايضا .

فالمطالبة فى الاسلام بأداء الأمانات أو الواجبات هو المنطق الطبيعى فى ارتباط الناس بعضهم ببعض ، وفى قيام المجتمع ، وفى استمرار بقائه .

أما المطالبة بالحقوق أولا فهى عكس هذا المنطق . لأنها تشعر بأن ما يسمى بالحقوق أمور مفروغ منها . مع أنها أمور مرهونة بأداء المقابل لها . ثم فى الوقت نفسه تحمل على التراخى فى أداء هذا المقابل .

ولكن المطالبة بأداء الواجب : توجه كل نفس مسئولة الى مباشرة الأداء أولا لهذا الواجب ، على أنه واجب يؤدى ، وأنه لا مفر من المسئولية عن أدائه ، وأمام الله أولا ، قبل أن يكون أمام الضمير ، أو أمام الرقيب عليه .

وبأداء الأمانات جميعها وهى الواجبات تصل الحقوق الى أهلها بدون تراخ .. لأنها هى ذاتها حقوق ، باعتبار أن للآخرين حقا متعلقا بها .

والمسئوليات عن أداء الواجبات هى مسئوليات مضاعفة :

مسئولية أمام الله ،

ومسئولية أمام ضمير المؤدى لواجبه

ومسئولية أخيرة أمام الرقابة الخارجية المباشرة .

وكل هذه المسئوليات الثلاث تؤرق من لديه أمانة ، ولا يؤديها الى أهلها فى وقتها المناسب .

والأخذ بنظام الاسلام فى الحكم يبعد ما درج الناس على تسميته بالتسيب ، أو الاهمال ، أو التواكل .

ولكن الأخذ بنظام الاسلام ليس مواد تصاغ فى تشريعات تصدر . وإنما هو تربية وصياغة للانسان المؤمن ، بحيث تتكفل ذاته بالايمان وبالالتزام ، وبأداء الواجب الذى نيط به . فالمؤمن ديمومة من الحركة الموجهة للبر والتقوى ، لنفسه وللأمة كلها .

حتى لا ننسى :

المخطط الإسرائيلي في قلب البحيرة المغلقة

نبيل خالد الأغا

تمثل هذه اللوحة البانورامية الخلابة جانباً من شاطىء البحر الميت ساعة شروق الشمس ، وانتشارها على ربوع وطننا الفلسطيني السليب .

والبحر الميت ليس «بحراً» بمعناه العلمي الدقيق ، إنما هو «بحيرة» مغلقة تقع على الحدود بين الأردن شرقاً وفلسطين غرباً . وتعرف المنطقة الممتدة من البحر الميت حتى خليج العقبة جنوباً باسم وادى عربة ، بينما تعرف المنطقة الممتدة منه حتى بحيرة طبرية شمالا باسم وادى الأردن .

وقد قامت بالمنطقة المحيطة به مجتمعات بشرية عديدة فى فترات زمنية سحيقة . ولعل أوضحها فى الذاكرة الانسانية مجتمعات المعصية فى مدينتى الاثم والمنكر سدوم وعمورة ، حيث غرق أهلهما فى مستنقع الخطيئة التى لم يسبقهما اليها أحد من العالمين . ولما لم يستطع سيدنا «لوط» هدايتهم واصلاحهم انتقم الله منهم «فأخذتهم الصيحة مشرقين ، فجعلنا عاليها سافلها ، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل» . ويقال بان الأرض تحولت بعدئذ الى ملح اجاج ماتت فيه الحياة .. ومن هنا أطلق عليه الاغريق «البحر الميت» ، وأسماه اليهود «بحر الملح» ، ودعاه الرومان «بحر الاسفلت» ، بينما عرفه العرب بـ «بحيرة لوط» .

والبحر الميت مستطيل الشكل تقريباً ، ويبلغ طوله ٧٦ كم ، وعرضه ١٦ كم ، ويصل عمقه الى ٣٠٠ م ، ويبعد عن القدس مسافة ٢٤ كم ، وحوالى ١٤ كم عن مدينة أريحا .

ويمتاز البحر الميت بعدة ميزات خاصة ، فهو أكثر نقاط الكرة الأرضية انخفاضا ، حيث يصل عمقه الى ما يزيد عن ٣٩٠ متراً عن مستوى سطح البحر الأبيض المتوسط .

اضافة الى ذلك فان حرارة الطقس فى المنطقة مرتفعة جداً يصل حدها الأقصى الى ٥١ درجة مئوية صيفاً ، وبسبب ذلك فان المرء يلاحظ بعينه المجردة تشكل طبقات ضبابية كثيفة على سطحه نظراً لتبخر مياه الطبقة العليا من البحر .

ويعتبر نهر الأردن المصدر الأساسى لتغذية البحر الميت بالماء العذب ، اضافة الى أربعة جداول صغيرة . تبلغ كمية المياه الاجمالية حوالى ١٩٠٠ مليون قدم مكعب تصب كلها سنوياً فى البحر الميت ، غير أن شدة حرارة المنطقة سرعان ما تتولى تبخير الكم الأعظم منها .

ونتيجة لهذا التبخر الكثيف فقد تخلفت فيه كميات كبيرة من الأملاح المعدنية التى لا تسمح لأى كائن حي بالحياة فيها باستثناء بعض أنواع البكتيريا !

أما بشأن الأسماك التى يسوقها الحظ العاثر ، وتنجرف مع تيار نهر الأردن فسرعان ما تختنق بعد لحظات من ملامستها مياه البحر الميت ، ومن ثم تتحول الى طعام شهي للطيور الحائمة على السطح .

وإذا أجرى المرء دراسة مقارنة لنسبة الأملاح التى يحتويها ماؤه ، فسيثبت لديه بأن نسبة ملوحة البحر الميت تصل الى ٥٥ بالمائة ، وهى الأكثر فى عالم الماء ، أى تزيد تسعة أضعاف عن ملوحة المحيطات التى تبلغ ٦ بالمائة فقط !

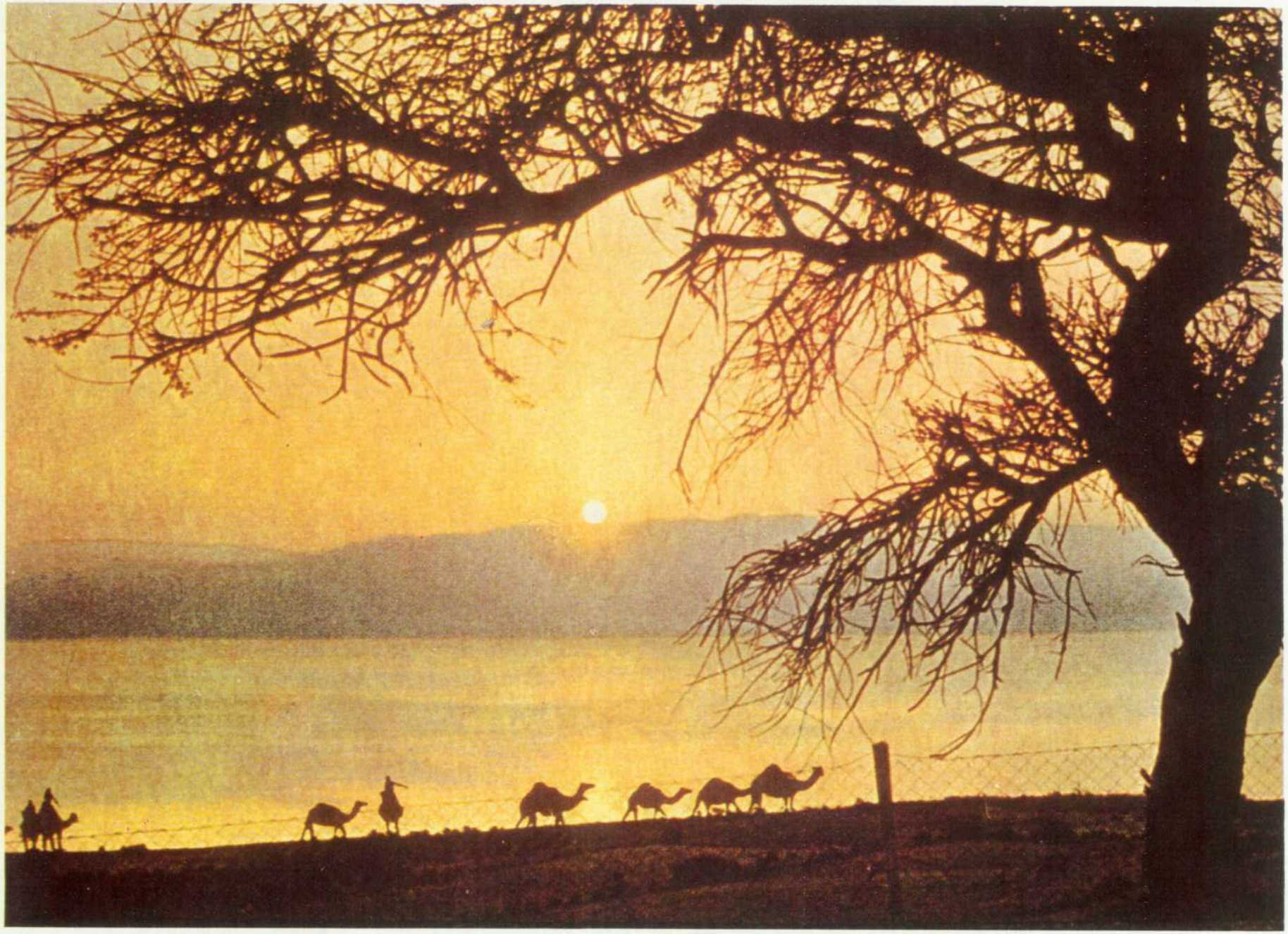
والذى يريد السباحة فى البحر الميت فانه يستطيع براحة تامة أن يقرأ صحيفته وهو مستلق على ظهره فوق سطح الماء ، لكنه لو أراد أن يمارس فن العوم فلن يستطيع أن ينزل كتفه بسهولة تحت الماء ، لأن المياه الثقيلة تعاكسه وتدفع جسمه الى السطح بصورة تلقائية .

أما بشأن الثروات المذهلة فيه فحدث عنها ولا حرج ، فقد قدرها المختصون بأنها تفوق ثروة الولايات المتحدة الأمريكية ، ففيه كميات هائلة من كلوريد البوتاسيوم ، وبروميـــد المغنيســـيوم ، وكلوريدات الصوديوم ، والمغنيسيوم ، والكالسيوم ، إضافة الى أنواع أخرى وفيرة من المعادن والعناصر .

وكعادة اسرائيل ، فهى تسعى دوماً لانتهاز الفرص المتاحة لها ، وتثبيت دعائم وجودها فى فلسطيننا العربية المحتلة ، وقد عمدت من جانبها الى استغلال طبيعة البحر الميت حيث أنشأت عدة مصانع على الضفة الغربية منه ، ، وتعمل الآن بمثابرة وجدية على إحياء مشروع صهيونى قديم لشق قناة ضخمة تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الميت تعود عليها بفوائد عظيمة ، وعلى الأردن وفلسطين بمصائب عظيمة أيضاً .

والقناة المقترحة ستبدأ من ـ شاطىء ـ قطاع غزة المحتل غرباً ، وتمر بجنوب بئر السبع لتصل الى البحر الميت ، حيث يبلغ طولهـــا ١١٠ كم . وحين يكتمـل المشروع (لا قدر الله) فستستفيد اسرائيل من ثمرات مشروع هيدروكهربائى ضخم ، وفى تبريد محطات الطاقة الكهربائية والنووية ، اضافة الى انشاء بحيرة صناعية كبيرة ، وزيادة الدخل السياحى ومكتسبات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها . لكنها تبقى فى النهاية مؤشراً خطيراً على تثبيت الوجود الصهيونى الدخيل فى منطقتنا العربية ، وحافزاً أيضاً لكل العرب والمسلمين من أجل العمل الجاد لتقويض المخططات اليهودية الاجرامية ...

نبيل خالد الأغا



لوحة خلابة تمثل جانبا من شاطىء البحر الميت ساعة شروق الشمس



المسجد الأقصى

رحلة تاريخية بين البطولة والمحنة

بقلم : حسني شحادة

في مثل هذا الشهر منذ ستة عشرة عاماً أحتل العدو الصيهوني مدينة القدس ... ومنذ ذلك التاريخ الحالك السواد ومدينة السلام تواجه هذه الطغمة الظالمة التي أصبحت تسيطر على كل شبر في المدينة الخالدة ، بما في ذلك المسجد الأقصى الذي يرنو إلى صلاح الدين الأيوبي متطلعاً إلى منقذ يعيد إليه الحرية التي حاصرتها فلول الغزاة !

قبة الصخرة المشرفة وجبل الزيتون في قلب مدينة القدس التي مازالت أسيرة الاحتلال الصهيوني



المسجد الأقصى



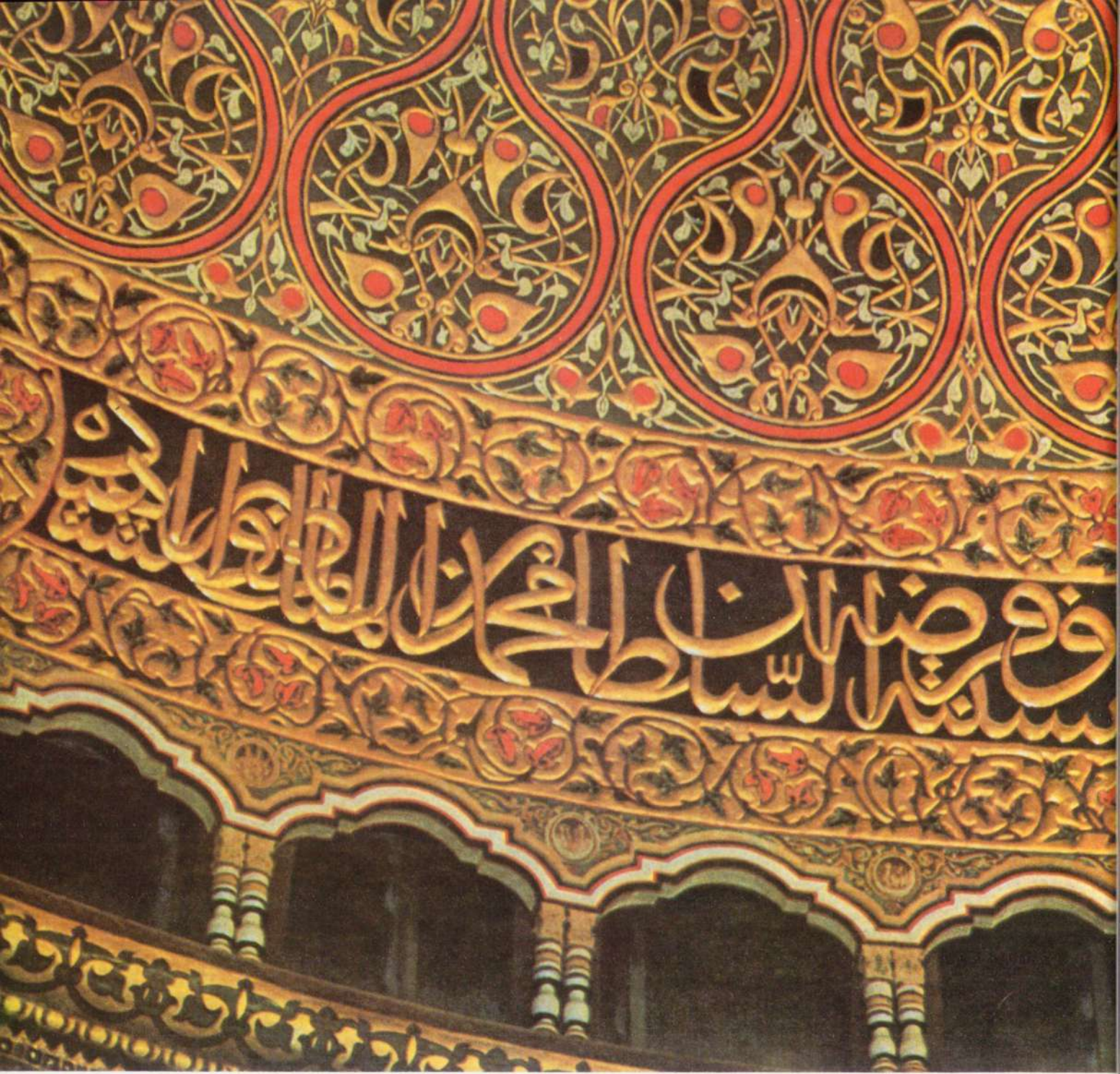
شارع فى القدس القديمة بعد احتلالها عام ١٩٦٧ .. وإلى اليسار لقطة لجزء من قبة الصخرة محلى بالخطوط والزخارف الاسلامية

فى بيت المقدس الشهداء وحدهم الأبطال ، والدماء دوماً هى الأغلى ، والشهداء هم الاعلون ، لذلك كانت القدس جدة التاريخ ، تحكى للأبناء قصة الأرض المقدسة . جبالها عالية باباء ، ووديانها سحيقة ، وماؤها عذب ، وهواؤها نسيم عليل ، وعواصف هوج ، واهلها قوم جبارون ، ينطلق منها الفداء مجاهداً ، فيتراجع الظلم وينهزم الاعداء وتنفلت من الاسر ، فتطارد الذين خذلوها ، وتضرب طاعنيها وتنتصر .

القدس مدينة تاريخية ، من أقدم المدن التى عرفها التاريخ ، انها ليست بنت قرن من القرون ، أو وليدة عصر من العصور ، وانما هى بنت الأجيال المنصرمة كلها ، ورفيقة العصور الماضية جميعها ... من اليوم الذى سطر التاريخ فيه صحائفة الأولى الى يومنا هذا ...

إنه لتاريخ مجيد ، تاريخها ، ذلك لأنها صمدت لنوائب الزمان بجميع انواعها ، وطوارىء الحدثان بجميع الوانها ، حتى انه لم يبق فاتح من الفاتحين ، أو غاز من الغزاة المتقدمين والمتاخرين إلا ونازلته ... وظلت قائمة على هذا الوجود ... وظل اسمها مذكوراً فى طليعة المدن ، لأنها بيت بنته الانبياء ، وعمّره المؤمنون ، ففى كل شبر فى بيت المقدس مسجد نبى ، فهى مدينة تحن اليها الجنة ، واهلوها دوماً ينشدون : ياريح الجنة هبى .. وبانصر الله اقترب .

القدس سجل يضم واقعاً امتزجت فيه القرون ، فكانت ولا تزال ملحمة جهاد امتدت فى اعماق التاريخ الانسانى ولاتزال تمتد فى آفاق المستقبل ، فحجارة القدس القديمة تحكى قصة الانسان مذ كان ، فمنها انبلج فجر معارفه ، ومن آفاقها امتلأت سماء الدنيا بالايمان ، فكانت ملتقى الاديان السماوية الثلاثة ، لذلك كانت مطمع الباغين منذ أقدم العصور ،



جـــاؤوا اليهـــا جحافل تترى ... اربعون مرة تنتقل من يد الى يد ، استهدفت لكل ضروب التدمير ولكنها لم تقل قاسيت من ظلم الزمن ، لان قلبها الطافح بالعزم ، تخطى كل صعب وانتصر .

المسجد الاقصى

اطلق اسم (١) المسجد الأقصى فيما مضى على الحرم القدسى كله وقد اقتبسه المسلمون من حادثة الاسراء ، يوم اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وفى ذلك نزلت الآية الكريمة ، وهى الآية الأولى من سورة الاسراء :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله ، لنريه من اياتنا إنه هو السميع البصير » (٢) .

فصار هذا المسجد مقدسا لدى جميع المسلمين ، فهو أولى القبلتين ، إذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يولى وجهه ، وهو يصلى شطر الأقصى ، حتى نزلت الآية الكريمة :

« ... وماجعلنا القِبْلَةَ التى كنْتَ عليها إلا لنعلَمَ مَنْ يتّبِع الرسولَ مِمَّن ينقلبُ على عقبَيْه وإن كانت لكبيرةً إلا على الذين هَدَى اللهُ وما كان اللهُ ليُضِيعَ ايمانَكُم إن الله بالناسِ لرؤوفٌ رحيمٌ » (٣) .

« قد نرى تقلُّبَ وَجْهِك فى السماءِ فلنولِّينَّك قِبْلةً ترضاهَا فولِّ وجهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيث ماكنتم فولّوا وجوهَكُم شَطْرَه وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » . (٤) .

والمسجد الأقصى هو ثالث الحرمين الشريفين ، اللذين خصهما الله بالشرف والتعظيم : المسجد الحرام بمكة المكرمة ،



منبر صلاح الدين فى المسجد الاقصى المبارك الذي احرقه الصهاينة عام ١٩٦٩

المسجد الأقصى

والمسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وقد جاء فى الحديث الشريف :

« لاتشد الرحال إلا لثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الاقصى »

كيف تم البناء ؟

عندما حاصر ابو عبيدة عامر بن الجراح القدس لمدةاربعة شهور رأى أهلها التسليم الى القائد مستامنين ، يتقدمهم قائدهم «صفرونيوس» حاملا على صدره الصليب ، وعلى جانبيه القسس والرهبان ، وطلبوا الصلح . فتلقاهم ابو عبيدة بالترحيب ، ولكنهم اشترطوا الا يسلموا مدينة «إيليا» القدس ، إلا لشخص امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكتب أبو عبيدة الى أمير المؤمنين ، فسار عمر الى بيت المقدس ، وفى ذلك يقول زياد بن حنظله :

سما عمـــر لمـــا أتتـــه رســـائل
كاصيد يحمـــى صرمة الحـــي اغيدا
وقد عضلت بالشام أرض بأهلها
تريد من الأقوام من كان انجـــدا

فكان أول ما قام به عمر بن الخطاب بعد فتحه بيت المقدس ، أن زار كنيسة القيامة ، ولما كان داخل الكنيسة حان وقت الصلاة فاشار عليه البطريرك «صفرونيوس» أن يصلى داخل الكنيسة قائلا : «مكانك صل» ، ولكن عمر أبى ، وخرج من الكنيسة ، وصلى فى مكان قريب منها لجهة الجنوب ، وبعد أن أتم صلاته قال للبطريرك :

«إئذن لي أيها الشيخ .. إننى لو اقمت الصلاة فى كنيسة القيامة ، لوضع المسلمون عليها الأيدى من بعدى ، فى حجة إقامة الصلاة فيها ، وإنى ابى أمهد السبيل لحرمانكم منها ،وانتم لها أحق واولى» .

يقول الأستاذ محمد الخضرى صاحب كتاب «تاريخ الأمم الاسلامية» فى بحث نشره بمجلة المقتطف فى الصفحة ١٩٦ من المجلد ٦١ لسنة ١٩٢٢ ما يلى :

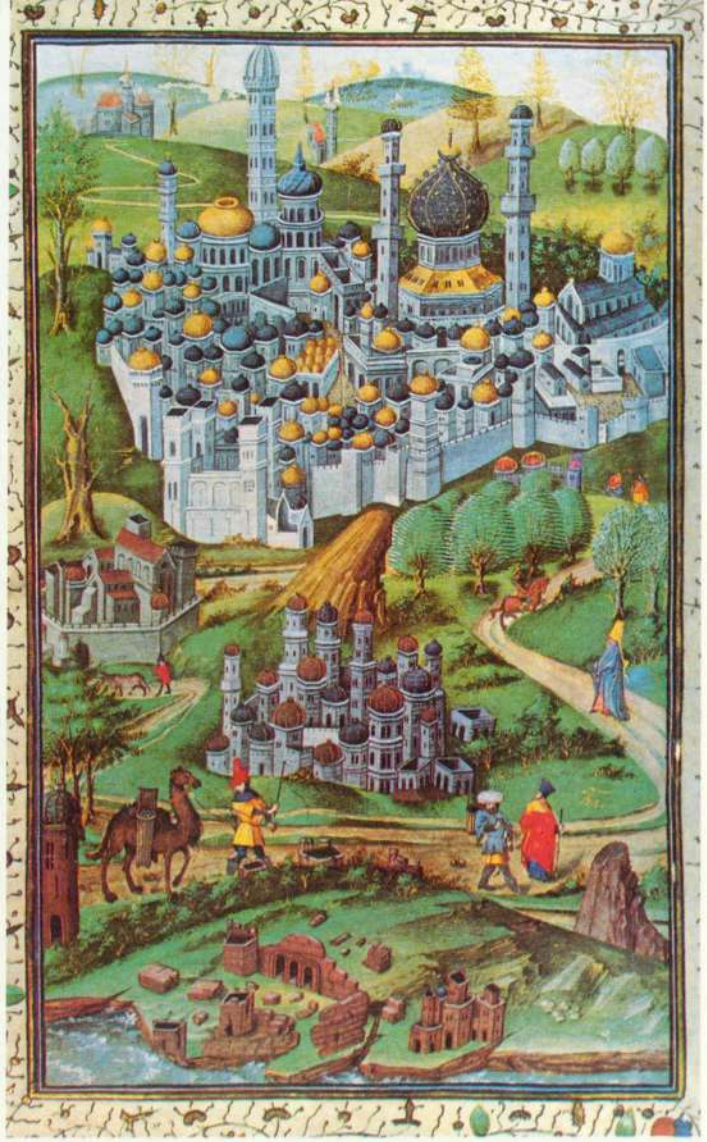
«قال سيدنا عمر بن الخطاب للبترك : أرنى موضعاً ابنى فيه مسجداً ، فقال : على الصخرة ، فوجد عليها ردما كثيرا ، فشرع فى إزالته ، وتناوله بيده برقعة فى ثوبه ، واقتدى به المسلمون كافة ، فزال لحينه ، وأمر ببناء مسجد (٥) » .

ويقول مجير الدين فى كتابه «الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل» الذى روى فى وصفه للمسجد الاقصى كما كان فى عهده :

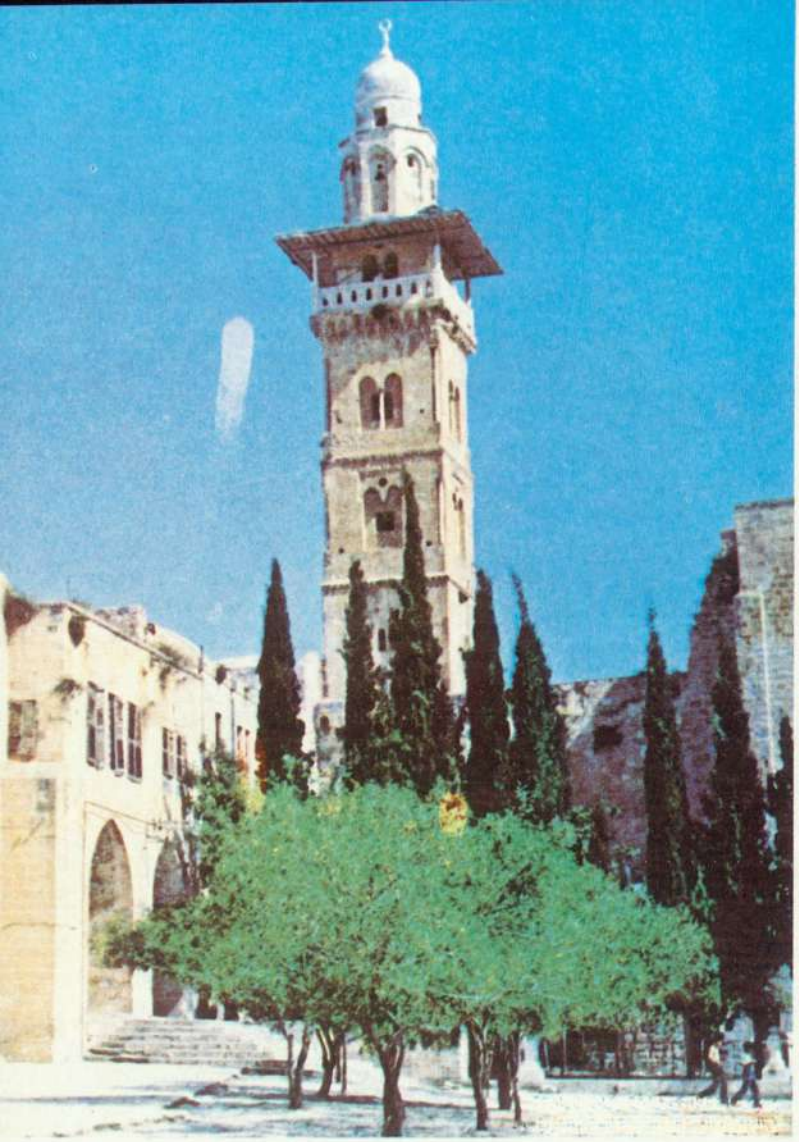
«وبداخل هذا الجامع ، وفى صدره من جهة الشرق ، مجمع معقود بالحجر والشيد ، به محراب ، ويقال لهذا المجمع «جامع عمر» وتسميته بجامع عمر ، لأن هذا البناء هو بقية بناء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الذى كان قد جعله عند الفتح (٦) » .

ويقول مجير الدين فى موضع اخر من كتاب «الانس الجليل» :

«وبظاهر الجامع من جهة الغرب ، فى صحن المسجد ، مكان معقود يعرف بجامع المغاربة ، يظهر انه من بناء سيدنا عمر بن



لوحة نادرة للقدس فى العصر العثمانى (القرن الخامس عشر) ونرى قبة الصخرة بين المارتين



مئذنة جامع الغوانمة ومدرسة المماليك فى الزاوية الشمالية الغربية للحرم القدسى الشريف

الخطاب ، لما روى عن شداد ، أن عمر لما دخل المسجد الأقصى مضى الى مقدمه مما يلى الغرب ، فجثـا فى ثوبه من التراب ، وجثونا معه فى ثيابنا ، ومضى ومضينا حتى الفيناه فى الوادى ، الذى يقال له «وادى جهنم» ثم عاد وعدنا بمثلها حتى صلينا فيه» .

قال «البكرى» «وابن حبيش» ، إن عمر بنى مسجده أمام الصخرة المشرفـة ، بعد أن رفع الركام الذى كان قد تراكم فوقها مع الزمن ، وكذلك قال «المقريزى» فى خططه ، وجمال الدين أحمد فى كتابه«مثير الغرام ».

هذا بعض ما ذكر عن المسجد الأقصى الأول كما أطلق عليه الأستاذ «عارف العارف» رئيس بلدية القدس الأسبق ، وصاحب كتاب «تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك» .

أما المسجد الأقصى الحالى ، فيطلق على المسجد القائم من الناحية القبلية من الحرم ، وعلى بعد خمسمائة متر بوجه التقريب من مسجد الصخرة الى الجنوب .

أما من بنى هذا المسجد الأقصى ، فيجمع عدد كبير من المؤرخين أن عبد الملك بن مروان هو الذى بناه عام ٧٤ هـ ـ ٦٩٣ م ، أما «المقدسى» والسيوطى فيقولان إنه بناه سنة ٧٢ هـ ـ ٦٩١ م ، ومهما كان التاريخ الذى بنى فيه ، فانه مما لاشك فيه ، أن عبد الملك بن مروان هو الذى بناه ، وقد أيد هذا القول «المقدسى» فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ، وأيده فى قوله أكثر المؤرخين.

أما «محمد كرد علي» فى كتابه «خطط الشام» ، فقد قال بان الوليد هو الذى غشى قبة الأقصى بالنحاس ، ويقول «العمرى» فى كتابه «التعريف» بأن الوليـــد أتى بالفسيفساء ـ أى الترابيع الزجاجية المطلية بالذهب ـ من القسطنطينية ، ليزين بها مساجد الشام ومكة والمدينة والقدس . ولم يبق منها مع تقادم العهد سوى النـذر اليسير فى «قبة الصخرة» .

المسجد والعهود الاسلامية

لم يبق المسجد الأقصى على حاله القديم بل طرأت عليه تغييرات كبيرة ، بسبب المؤثرات الطبيعية والزمنية . وهذا سنراه فى العهود الآتية :

● فى عهد بنى أمية :

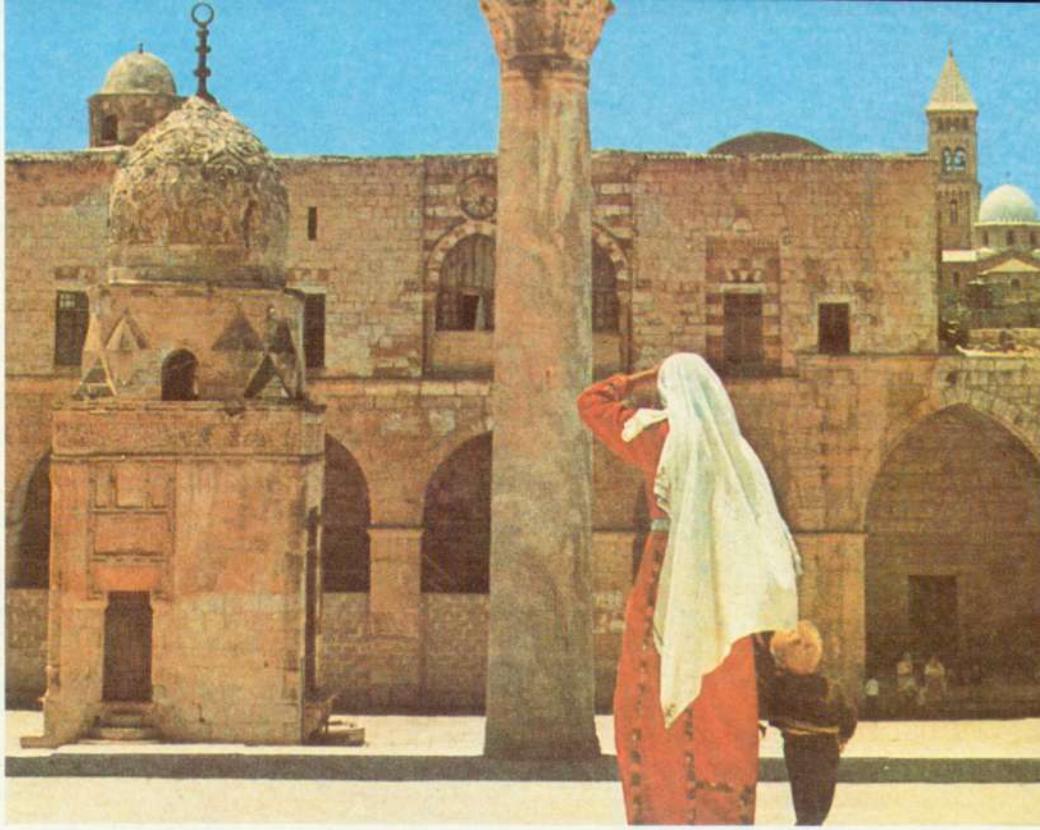
كان المسجد فى أوائل العهد الأموى ، أوسع مما هو عليه الآن ، من الناحية الشرقية ، وأضيق من الناحية الشمالية ، وكانت أرضه مرصوفة بالرخام ، وكانت أرضية المسجد أقل انخفاضاً من أرضه الحالية ، ونرى حتى اليوم ، فى الـرواق الكائن شرقى القبة ، بعض الأعمدة التى ترجع الى العصر الأموى .

وجاء فى «مثير الغرام» عن عبد الرحمن ابن محمد بن منصور بن ثابت عن أبيه عن جده ، أن أبواب المسجد كلها كانت فى خلافة عبد الملك بن مروان ، ملبسة بصفائح الذهب والفضة .

وفى أواخر العهد الأموى ، حدث زلزال سنة ١٣٠ هـ ـ ٧٤٦ م وسقط بسببه شرقى المسجد وغربه .

● فى العهد العباسى :

لما قدم «أبو جعفر المنصور» ، ثانى الخلفاء العباسيين ، أمر باعمار المسجد الأقصى ، فقلعت الصفائح الذهبية



ام من سكان مدينة القدس مع طفلها الذى يعيش مع الاف الاطفال العرب حياة قاسية تحت وطأة الاحتلال

المسجد الأقصى

والفضية التى كانت على الأبواب ، وضربت دنانير ودراهم ، وانفقت على إعماره حتى فرغت سنة ١٥٤ هـ ـ ٧٧١ م .

وفى عام ١٥٨ هـ ـ ٧٧٤ م ، حدث زلزال اخر ، فوقع البناء الذى عمره المنصور ، وقيل ان الجزء الأعظم من المسجد قد هدم يومئذ ، خلا القسم الذى حول المحراب .

ولما قدم المهدى ، كان المسجد خراباً ، فامر ببنائه ، وقد وصف «المقدسى» فى كتابه «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ص ١٦٨ :

«أعيد إعمار المسجد ، فاصبح يتكون من رواق أوسط كبير ، يقوم على أعمدة من الرخام ، ويمتد من الشمال الى الجنوب ، يغطيه جملون عظيم ، وينتهى من الجنوب بقبة عظيمة ، وتكتنف الرواق الأوسط من كل من جانبيه سبعة أروقة موازية له ، واقل ارتفاعاً منه ، محمولة جميعها على أعمدة اسطوانية ... وكان للمسجد يومئذ ستة وعشرون باباً ... ويعتبر هذا الاعمار الرابع للمسجد الذى قام به الخليفة المهدى . (٧) .

● فى العهد الفاطمى :

فى الخامس عشر من شهر محرم سنة ٤٢٥ هـ ـ ١٠٣٣ م ، حدث زلزال خرب المسجد الأقصى الذى عمره المهدى خراباً ظاهراً ، فعمره الخليفة الفاطمى «الظاهر لاعزاز دين الله» فى السنة التالية ٤٢٦ هـ ، مبقياً ما أمكن ابقاؤه من البناء السابق ، ولم يغير فى تخطيطه العباسى ، سوى تضييقه من الشرق والغرب ، بحذف أربعة أروقة من كل جانب .

وظل الكثير من بناء الظاهر قائماً الى ما قبل التعميرات التى تمت مؤخراً ، مثل العقود التى تحمل القبة ، والفسيفساء الذهبية التى لازالت موجودة حتى الآن والرواق الأوسط بأعمدته .

وفى سنة ٤٥٨ هـ ـ ١٠٦٦ م ، أمر الخليفة الفاطمى المستنصر بالله ، تجديد الواجهة الشمالية ، وسجل هذا التجديد فى كتابة كوفية حفرت على الواجهة المذكورة للرواق الأوسط .

● الأقصى فى قبضة الصليبيين :

عندما احتل الصليبيون بيت المقدس ٤٩٢ هـ ـ ١٠٩٩ م . بقيادة «غو دفرى دو بويون» ، استعملوا المسجد الأقصى لأغراضهم ، فاتخذوا جانباً منه سكناً لفرسان الهيكل ، والجانب الآخر مستودعاً ، وغيروا معالم المسجد كثيراً ، وأضافوا الى المسجد من الناحية الغربية ، وعلى طول حائط الحرم القبلى صفاً مزدوجاً من القناطر المعقودة ، واتخذوها مخازن للأسلحة .

● فى العهد الأيوبى :

استرد البطل المؤمن صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس من الصليبيين ، وأعاده الى حظيرة الاسلام سنة ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م ، فامر باصلاح المسجد الأقصى ، فاعيد البناء الى حاله الصحيح . وبذل كل ما فى وسعه لتحسينه وتدقيق نقوشه ، فاحضر من الرخام ما لا يوجد مثله ، ومن الفص المذهب القسطنطينى مما ادخر على طول السنين ، ومحا كل ما فيه من الصور .

لقد جدد صلاح الدين محراب المسجد ، وزينه بالفسيفساء ، وهناك كتابة بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب ، تشير الى ما فعله صلاح الدين ، وهى :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس ، وعمارة المسجد الأقصى ، الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين ، عندما فتحه الله على يديه سنة ٥٨٣ هـ ، وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة ، وإجزال حظه من المغفرة والرحمة» .

وأتى صلاح الدين بالمنبر الجميل المصنوع من الخشب من أرز لبنان والمنقور المرصع بالعاج والصدف ، وهو من أجمل المنابر الأثرية وأدقها .

ولقد أحرقته الأيدى الصهيونية الآثمة بعد الاحتلال الصهيونى للقدس فى حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

ومن ملوك بنى أيوب الذين لهم آثار بالمسجد الأقصى ، الملك العادل سيف الدين بكر أخو صلاح الدين ، والملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ، والملك الأفضل نور الدين علي ، والملك العزيز عثمان ، والملك المعظم عيسى ، وكان هؤلاء ينظفونه ويغسلونه بماء الورد ، ويصرفون الأموال الطائلة على الفقراء .

وفى سنة ٦١٤ هـ ـ ١٢١٧ م أمر الملك عيسى بانشاء الرواق الذى يكون الواجهة الشمالية لهذا المسجد ، وهو يشتمل على سبعة أقواس ، ويقابل كل منها باب من أبواب المسجد السبعة ، وهذا الرواق تغطيه سبعة أقبية ، وقد ثبتت على واجهة الرواق الأوسط بلاطة من الرخام كتب عليها :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، انشأ هذه الأروقة سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم أبو العزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبى بكر بن أيوب خلد الله ملكه وذلك سنة ٦١٤هـ» .

● فى عهد المماليك :

توالت بعد ذلك أعمال التعمير والاصلاح بالمسجد الأقصى فى عهد المماليك ، وتدل الكتابات التى عثر عليها فى جنبات هذا



نقوش متنوعة من تصميمات «السيراميك» على الجدران الخارجية ومكتوب في وسطها : الله الباقي

المسجد على ما كان للمماليك من فضل فى إعماره .

فالملك المنصور سيف الدين قلاوون ، هو الذي عمر سقف المسجد الأقصى من ناحية القبلة ، عند جامع الأنبياء ، وكان ذلك سنة ٦٨٦ هـ ـ ١٢٨٧ م .

وفى زمن ولده الملك الناصر محمد أمين الملك المنصور قلاوون ، جددت قبة المسجد الأقصى ، وقيل ان الملك الناصر لم يجدد القبة نفسها ، وإنما جدد تذهيبها سنة ٧٢٨ هـ ـ ١٣٢٧ م وكذلك أمر الملك الناصر بوضع الرخام على صدر المسجد سنة ٧٢٩ هـ وقد تم ذلك بمعرفة الأمير ناظر الحرمين فى القدس والخليل .

وجددت أبواب المسجد الأقصى الخشبية فى عهد أولاد الملك الناصر ، السلطان شعبان والسلطان حسن ، وفى زمن الملك إينال عمرت أجزاء من المسجد .

وجرت إصلاحات فى عهد الملك الأشرف «قايتباى» وقد ذكر ذلك مجير الدين فقال : «جدد عمل الرصاص على ظاهر المسجد الأقصى» .

وهناك تعمير آخر جرى أيام الملك قانصوه الغورى .

● فى عهد العثمانيين :

اهتم العثمانيون بالمسجد الأقصى ، فمن سلاطينهم الذين تولوا ترميم هذا المسجد :

السلطان سليم القانونى ، السلطان محمود الثانى ، السلطان عبد المجيد ، والسلطان عبد العزيز ، والسلطان عبد الحميد الثانى.

فقد جدد السلطان محمود ترميم القبة الشريفة ، أما السلطان عبد العزيز فاليه يعزى الفضل فى تركيب الزجاج الملون الموجود فى الشبابيك ، وقد بعث السلطان عبد الحميد الثانى بالشطر الأكبر من السجاد العجمى المفروش على أرض المسجد والذى يصلى عليه المصلون .

● فى عهد المجلس الاسلامى الأعلى :

طرأ على المسجد الأقصى مع طول العهد وتقادم الزمن ، وهن ، فضعفت الأسس . وقد اكتشف ذلك المجلس الاسلامى الأعلى الذى انتخبه المسلمون بفلسطين سنة ١٩٢٢ ، والذى يرأسه المرحوم سماحة الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين ، فسارع الى القيام بمشروع واسع من أجل اعماره ، وقد ساهمت الدول العربية والاسلامية وشعوبها بالتبرع ، وباشرت عمليات الاعمار سنة ١٩٢٥ ، فقوت الأقواس والعقود ، واستبدلت الأعمدة القديمة البالية التى تقوم عليها القبة باعمدة جديدة ، وهدم سقف الجناح الغربى الذى كان على وشك الانهيار ، واستبدل بسقف آخر ، وعمر السقف الخشبى لجناح القبة الشرقى ، وزخرفت واجهة الممرات ، ورممت القبة وأنشىء تحت الأقواس القديمة أقواس جديدة للتقوية .

إن من يقف أمام محراب الأقصى . يرى فوق المحراب بين القبة والجدار ، عبارة تقول :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، جدد قبة هذا المسجد الأقصى المبارك ، وأزال ما طرأ عليها من خطر فى نقوشها ونوافذها وزخارفها ، المجلس الشرعى الاسلامى الأعلى سنة ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م .

وما كاد هذا التعمير يتم ، حتى حدث زلزال سنة ١٩٢٧ م ، تضرر المسجد بسببه ولكن آثاره لم تظهر إلا فى سنة ١٩٣٦ ، فقام المجلس الشرعى الاسلامى الأعلى باصلاحات واسعة المدى ، واضيء بالكهرباء عام ١٩٤٥ م .

المسجد الأقصى وحرب فلسطين

لم يسلم المسجد الأقصى من أذى اليهود فى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، فكان اليهود يصوبون نيران مدافعهم على المسجد ، وأغاروا عليه فى السادس عشر من تموز ١٩٤٨ . وقصفوه بالمدافع التى أصابت قذائفها بعض المصلين .

ولما وقف القتال ، وسيطر الجيش العربى الأردنى على المنطقة أمر جلالة الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية باصلاح ما دمرته القنابل الصهيونية وكان ذلك عام ١٩٥٢ .

وفى الخامس من حزيران ، سقط المسجد الأقصى أسيراً فى يد العدو الصهيونى بسقوط القدس . وباشر العدو باجراء الحفريات حوله أنا وبانتهاك حرماته أنا . حتى محاولة إحراقه عندما دبرت سلطان العدو المحتل عملية احراقه فى الحادى والعشرين من شهر أغسطس ١٩٦٩ ، فثارت ثائرة الشعوب الاسلامية ، وعقد مؤتمر القمة الاسلامى الأول فى مدينة الرباط فى شهر سبتمبر فى عام ١٩٦٩ م وانبثقت عن المؤتمر «منظمة المؤتمر الاسلامى» ، وأنيط بها متابعة موضوع القدس والمسجد الأقصى . (٨)

ولازالت المحاولات الصهيونية جارية لتغيير معالم المسجد الأقصى ، من اعتداء على المصلين ، ومحاولة احراقه مرة أخرى

ولكن مواكب الزمن ، التى عزفت لبيت المقدس نشيد النصر ،ستعيد للمجد ذكرى البطولات لشعبها ، الذى ما تخلى يوماً عن ميراث الشهادة

حسنى شحاده

هوامش

(١)القران الكريم

(٢) تاريخ قبة الصخرة المشرفة ـ عارف العارف ص ١٤٩ .

(٣) سورة الاسراء ـ اية رقم (١) .

(٤) سورة البقرة ـ اية رقم (١٤٣) .

(٥) المقتطف مجلد ٦١ لسنة ١٩٢٢ ص ١٩٦ .

(٦) تاريخ قبه الصخرة المشرفة ص ١٥١ .

(٧) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١٦٨ .

(٨) موقف العالم الاسلامى من قضية فلسطين ص ١٤ .



كتاب الشهر

ديوان الخط العربي

قصة الحضارة العربية في حروف جميلة

رسالة المغرب من : مجدي نصيف



هذه اللوحة البديعة التي نرى فيها مجموع حركة الخط العربي ومايتولد عنها من اشعاع شاعري ، كتبها في القرن السادس عشر الخطاط صالح محمود النيسابوري

هذا كتاب جديد عن فن مرتبط بحضارتنا ولغتنا العربية ، فن لابد من الاحتفاء به ، حتى لا تقضى عليه التكنولوجيا والآلات الحديثة وصناعة «الليتراسيت» وعالمه الرحب الذى يتسع باستمرار .

الكتاب هو «ديوان الخط العربى» من المغرب العربى .

والمؤلفان أستاذان مغربيان هما : عبد الكبير الخطيبى الأستاذ الباحث فى جامعة الرباط ، وهو كاتب ومؤلف لمجموعة من الكتب فى الفكر والأدب . والدكتور محمد السجلماسى ، الدكتور فى طب الأطفال ومؤلف لكتابين حـــول الفنـون الشعبية والفنون التشكيلية فى المغرب ، ويساهم الدكتور عبد الغنى العانى فى انتاج هذا الكتاب ـ فى طبعته العربية ـ بكتابة بعض الصفحات الخطية ، وهو دكتور فى القانون ، وأستاذ للخط العربى .

لقد ألف هذا الكتاب باللغة الفرنسية ونشر كذلك بتلك اللغة ، وترجم ونشر باللغتين الانجليزية والألمانية ، وسينشر خلال أشهر باللغة اليابانية .

كذلك فان الذى قام بترجمته الى اللغة العربية هو الكاتب المغربى محمد برادة .

ومن الواضح إذن من تخصصات المؤلفين انهما من عشاق فن الخط العربى ، لذا فهما يكتبان فى تمهيدهما للكتاب :« انه يحتفل بفن الخط العربى احتفال عاشق مشدود الى المسالة الأولية المتصلة بخيال العنصر الأبدى للفن فى الاسلام » .

وهما يعرفان الكتابة العربية بقولهما : «انها تمتد على خط افقى تتموضع وتتحرك فوقه وتحته ، إشارات تصويتية وتنقيطية .. وهذه التشكيلة تؤسس حقلا خطيا لا محدوداً ، يجعل البصر يرتعش فوق صفحة ، او جـدار مكتوب ، وكل ما يمكن ان يزيّنه الخط العربى» .

«إن مجموع حركة الخط ، وما يتولد عنها من إشعاع موسيقى مطابق لشاعرية



الخط المغربي المعروف باسم « المجوهر »

مرتعشة ساعية نحو اللامرئى ، كل ذلك يحدد ايقاع النص بالنسبة ليد الخطاط الراقصة» .

ويعرف المؤلفان فن الخط العربى بانه «زخرفة ، أى انه نص فى مرآة يعكس الحلم الخالص بانتزاع اللغة من حقيقتها البشرية ، وتقديمها في شكل فني . وبشكل اكثر تحديداً فان فن الخط هو الفن الذى يعتبر نفسه متوفراً على هذه الصفة ، وقائماً على بنية متميزة ، وقواعد هندسية وزخرفية . وعندما نقول فن قائم الذات ، فاننا نعنى انه يستتبع فى تخطيطه نظرية فى اللغة وفى الكتابة . وقبل كل شىء ، فان هذا الفن يدخل فى نطاق البنية اللسنية ، ويشكل معجماً ثانياً للرموز ، منحدراً من اللغة ، إلا انه يلعب بها ، ويضاعفها عن طريق حركة مرئية» . ومن ثم «فنحن نستبعد جميع التعريفات العائمة التى تطلق فن الخط على كل رسم تلقائى او تجريدى يذكرنا بالكتابة بدون ان يخضع لمصطلحاتها . ذلك أن فن الخط لا تكون له اهمية حاسمة ، إلا إذا اقترن باللغة . ورغم ان فن الرسم يلتقى أحياناً بمنطلقات فن الخط ، فان هذين الفنين يختلفان فى طريقة إبراز الاشارة المستمدة من الحروف ، وكذلك فى طريقة إضفاء الحياة عليها» .

فالخط ، «فن للكتابة ، بدون شك ، إلا انه ليس عملا كونيا . ذلك ان كثيرا من الشعوب لا توليه عناية خاصة ، لكن بعضها يعتبره فنا ساميا . فالبابانيون ، مثلا ، إذا أرادوا أن يصفوا شخصاً بالجمال والرقة ، قالوا إن له خطا جميلا . ويعتقد الخطاطون العرب ، ان فنهم هندسة للروح يتلفظها جسد الحرف وفقاً للمتعة التى يوحى بها» .

ثم يضيف المؤلفان : «إن الخط العربى المقنن ، يفترض ابتكاراً شكلياً (للتنقيط والتصويت) تم وضعه شيئاً فشيئاً قبل ظهور الاسلام وبعده . وارتبط بالتدوين الشاق . الا ان الخط كان عملا تضطلع به طائفة من الخطاطين استهدفت ان تطبع المجتمع بنظام سياسى. وكان ابن مقلة هو الذى جدد معجم رموز الخط العربى . انه رجل تقلد الوزارة ثلاث مرات ، وخاض الجهاد ثلاث مرات ، ودفن ثلاث مرات : الاولى فى السجن حيث مات بالفعل ، والثانية فى منزله ، والثالثة فى المقبرة . وكان الخليفة الراضى بالله قد قطع يده اليمنى» .

ملاحظات

ويسجل المؤلفان بعض الملاحظات فى تمهيد الكتاب :

اولا : ان العرب وبعض الشعوب الاسلامية التي استعملت الكتابة العربية ، بذلوا جهوداً ملحوظة لجعل هذا الفن كونياً لكن الهدف هو صوغ مسالة الخط صياغة متحررة من كل الاحكام المسبقة .

ثانيا : لما كانت الوثائق غزيرة ، فقد اضطر المؤلفان الى إغفال كثير من الأساليب المتلائلة والصفحات الجميلة . لذلك فان جميع الاقطار العربية والاسلامية ليست ممثلة بطريقة استقصائية .

ثالثا : النماذج التي ادرجت في الكتابه لا تمثل إلا الخط المكتوب ، ونحيت جانباً ابداعات خطية اخرى لاتقل روعة ، مثل الخطوط المنقوشة على جدران المعمار .

رابعاً : انجز المؤلفان جميع صور الكتاب بانفسهما ، ويضم الكتاب ٢٢٨ صورة ، ٥٤ صورة بالالوان ، ١٧٤ صورة بالابيض والاسود . وقد اخذها المؤلفان من مخطوطات لم يسبق نشرها ، توجد موزعة في ارجاء العالم الاسلامي .

إشكالية علم الخط

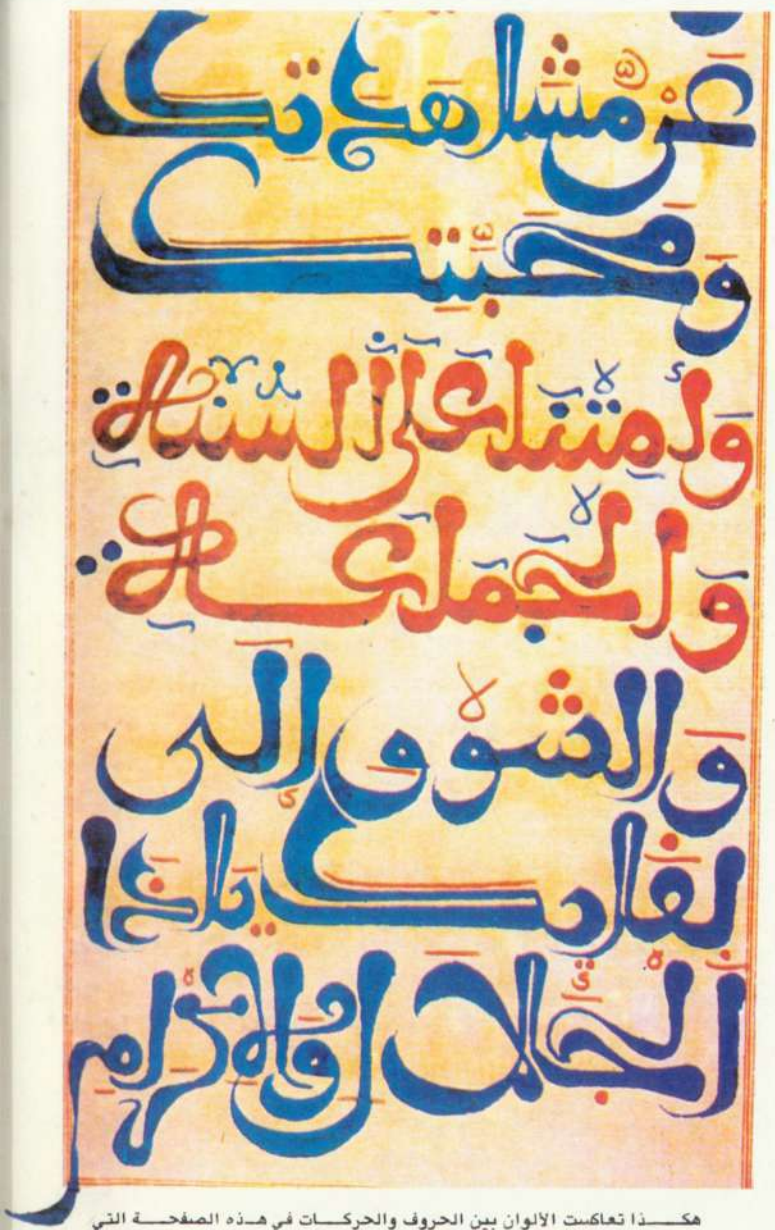
« لم يتم تدوين القران بكيفية منهجية إلا في عهد الخليفة عثمان بن عفان فيما بين سنة ٢٣ ، ٣٥ هجرية . ويمكن ان نقول إن فن الخط ـ غير المتوفر على قواعد ـ قد



الخط المغربي المتعدد الالوان حيث نرى التمـائل الهندسي القوي وهو يكسبـه شكـلا لا يمكن تقييده



لوحة زخرفية جميلة ، احتوت على « منمنمات » زخرفية مورقة ، وفي وسطها خطوط عربية متداخلة في تناسق بديع



هكذا تعاكست الألوان بين الحروف والحركات في هذه الصفحة التي كتبها « القندوسي » بالخط المغربي القديم

ولد في هذه الفترة ، ليربط القرآن بجذوره المعجزة » .

ونجد أن ما كان يشغل ابن خلدون في مسألة أصل اللغة ، هو ايجابية الأحداث : « ... فالقول أن أهل الحجاز انما لقنوها في الحيرة ، ولقنها الحيرة في التبابعة وحمير هو الأليق في الأقوال . وكان لحمير كتابة تسمى المسند ، حروفها منفصلة ، وكانوا يمنعون في تعلمها إلا بأذنهم » .

إن فرضية ابن خلدون ، تدعم أقوال معظم المؤرخين . ولكن ما يتصل بحديثنا هو فرضية الاصل السرياني للكتابة التي يلخصها البلاذوري فيقول : « كان هناك ثلاثة اشخاص اجتمعوا في بقعة وانشأوا الأبجدية العربية على الطريقة السريانية .

ومن هناك ، نزحت تلك الأبجدية الى الانبار ثم الى الحيرة ثم الى مكة وهكذا دواليك . »

ليس هناك ما يبعث على الاستغراب في هذا اللقاء بين علم الخط العربي والمعرفة الاسلامية ، ذلك لأن علم الخط يحاول أن يرجع مختلف الكتابات الى اصل ومنبع مشتركين . كيف إذن نستطيع أن نعيد تركيب اثار تلك اللغات ؟

يتحتم على الانسان في هذا الحال ، ان يكون متجولا متوحدا ، يربطه حنين جارف الى الأصل الميتافيزيقي . كيف يتسنى إعادة تركيب الآثار المكتشفه هنا وهناك ، واعادة النطق بتلك الجمل التي نصادفها مكتوبة على شواهد القبور ؟

وكما استشهد الفيلسوف النظام ، فالخط كالنحلة المحمولة بقوة روحية ، قد تعلم منذ ولادته الطفرة . وفي حالتنا ، ستكون الطفرة أقل خطرا ، لأن الأبجدية العربية الحديثة ، حديثة العهد . فأقدم وثيقة بها تعود الى عام ٣٢٨ ميلادية .

نعود بعد كل هذا الى تحليل مسألة الكتابة وأصلها .

الشيء الأول المفروغ منه ، هو أن الكتابة السامية المرتبطة بالفينيقية هي كتابة تتميز أساسا بالاعتماد على الصوامت ، وبالتوفيق المنهجي بين الجذور ، وكتابة الرسم الخطي من اليمين الى اليسار .

والشيء الثاني : نقوش النحارة . وحجر زبد ، وحران ، وأم الجمال ، ورق انكادي . وتسمى هذه النقوش الأربعة إجمالا باسم



طريقة خط الثلث في القلب ، وهي
طريقة تقرأ فيها السطور عكسا وطردا

المجال السوري ـ الفلسطيني

النحارة : نقش على القبور .

حجر الزبد : نقش مزدوج اللغة .

حران : مكتوب بلغات ثلاثية (يونانية وسريانية وعربية)

وأم الجمال : التاريخ المحتمل ما بين ٢٥٠ الى ٢٧١ ميلادية .

ويمكن الرجوع الى تنقيح لهذه النقوش في الكتاب الهام بعنوان : سجل تاريخي للنقوش العربية .

إن أصل الكتابة العربية نبطي . فهي كتابة متفرعة عن الكتابة الآرامية التي تفرعت بدورها عن الفينيقية .

فهل الكتابة « النبطية » العربية هي ما يسميه العرب بـ « الخط المسند » ؟

عمد الباحث «ب . موريتز» بصفته احد المدافعين بحرارة عن الفرضية « النبطية » الى عقد مقارنة بين الحروف النبطية القديمة ، والحروف العربية القديمة .

واستخلص من هذه المقارنة عدم وجود خط القاعدة الأفقية . وهو يعتقد أن إدخال النقط على الحروف قد تم قبل الاسلام .

ويبرر الباحث ج . سورديل ، هشاشة هذه الفرضية ، فيقول :

ـ « إذا حكمنا اعتماداً على اسم العلم وعلى بعض الآثار ، فان النبطيين كانوا يتكلمون لهجة عربية ، إلا انهم كانوا يستعملون اللغة الآرامية كلغة مكتوبة ، باعتبارها اللغة التجارية في الشرق القديم . وبعد انحطاط المملكة النبطية ، في القرن الميلادي الأول ، اضطرت العربية الى أن تتخذ مأوى لها في اللغة ـ الجد .

إلا أن البروفيسور « ج . فيقربى » وضع خصائص مميزة للغة العربية القديمة :

ـ الأبجدية النبطية مكونة من ٢٢ وحدة ، أما الأبجدية العربية فهي مكـونة من ٢٨ حرفا ، وقد تكيفت اللغة العربية بواسطة حركات الشكل .

ـ استخدام حركات الشكل والتنقيط كان موجودا قبل الاسلام .

ـ ورثت الكتابة العربية عن النبطية الخطوط الرابطة بين الحروف .

ويقول « ستاركى » الذي يبرز الفرضية العربية ، ما معناه: ان الكتابة العربية ذات التجانس النسبي ، تنحدر كلها من السريانية ، وباعتبار الكتابة العربية موضوعة على السطر ، فبذلك تكون مثلها مثل الكتابة السريانية . بينما تكون تتمة الحروف النبطية معلقة فوق نفس السطر .

ويدور الحديث في النصوص العربية أحيانا ، حول المسند ، وأحيانا حول الجزم، **ويعتقـد** « ناجي زين الدين » ان الجزم مشتق من المسند ، والمسند حسب علم الخط ، هو « الكتابة الأولية للعربية » ، وهي كتابة متنوعة ، أشهرها الصوفية والتمودية واللحيانية .

لكن جميـــع هــذه الفروق والأطروحات تحمل داخلها ، تناقضات تكوينية .

لقد أثبتنا بعض الأحداث ، مع ايراد نقد **أوّلى لهـــا، ولاشـــك ان علمى الخط** والنصوص القديمة يتحركان وفقاً لمحور ميتافيزيقي قطري . فانهما لم يفلتا في فكر محدود متصل بالأصل .

القواعد الهندسية

ويقول المؤلفان إن الخط العربى يقـوم على قواعد هندسية وزخرفية ، وبالتالي فان « قياسة الحروف ، تدخل لعبة الوجوه الخطية » ويشبهانه بالايقاع الموسيقي الذي يمعضل انغام الموسيقى .

ويقولان بان « القواعد الهندسية هذه ، اخترعها وابتكرها ابن مقلة » .

ولكن ليس أبدع مما كتبه المؤلفان عن الخط العربي ، سوى اللوحات التي جمعاها من متاحف العالم أجمع . انه جهد عظيم لا يقوم به سوى أناس يحبون الخط العربي مثل **المؤلفين** .

مجدي نصيف



شكل (١) بطيخ .. باذنجان .. بازلاء .. طماطم .. ذرة .. فى نبات واحد ؟ ! .. والصورة لاشك خيالية ، أو هو تصور ممعن فى الخيال ، لكنه يعكس بعض الجهود التى بدأ العلماء ممارستها الآن فى مجال جديد اسمه هندسة الوراثة) لمزيد من التفاصيل راجع المقال) .

إنهم يتلاعبون بهندسة الوراثة

بقلم : د. عبد المحسن صالح

كل شيء يتطور حولنا بسرعة مذهلة ، ودون أن ندري ، أو ندري .. لست ادري ! لكن الذي ندريه حقا أن هذا التطور يتم على مراحل ، ولكل مرحلة - بطبيعة الحال - عصرها ، وبحيث تحجب كل مرحلة لاحقة ، ما سبقها من مراحل سابقة ، فعاش السابقون مثلا في عصر البخار ، ثم تلاها عصر الكهرباء ، ثم عصر الطاقة النووية ، ولازلنا نعيش الآن في عصر العقول الالكترونية ، والسفن الفضائية ، وقطع الغيار البشرية ، والقلوب والكلاوي والرئات الصناعية ، وبحيث يبدو لنا أن طموح الانسان في التغيير أو التطوير لا تحده حدود .

الأساطير القديمة

لكن بدون فلسفة أو لف أو دوران ، كان علينا ان نستدرك ونقول : بطيخ ذرة طماطم بازلاء باذنجان ، واضف الى ذلك ما تشاء .. وقد يبدو ان كلامنا هذا هراء في هراء .. وقد يعلق عليه البعض ويقولون : هل هذا كلام عقلاء ؟

ليس ذلك حقا كذلك ، لكن ما حيلتنا في التمهيد لموضوعنا الغريب والمثير ، الا أن نقدمه بهذه الصورة الخيالية التي في صدر هذا المقال ، (شكل ١) .

فكأنما هذه الصورة التي نشرتها مجلة «مختارات العلم» مؤخراً ، تعيد الى اذهاننا بعض التصورات الرديئة التي سيطرت على عقول الناس في العصور القديمة ، فتخيلوا وجود مخلوقات لها رأس انسان وجسم اسد وذيل حية ، او قد تأتي برأس اسد وجسم ماعز وذيل تنين ، او بجسم طائر وسيقان حصان ووجه افعى .. الى آخر هذه التصورات التي ذكرتها الأساطير .

وعلى الوتيرة ذاتها يذهب الخيال في عصرنا الحديث الى شطحات قد تكون اكثر رداءة من شطحات الاقدمين ، فياتي نبات ليعطي ثمارا من باذنجان وبطيخ وذرة وفاصوليا و .. و .. الخ !

لكن .. ما الذي دعانا حقا الى تناول مثل هذه الصور الخرافية في لب موضوع علمي له احترامه ومعناه ؟ .. ثم أو ليس ذلك نكسة في الفكر ، ورجوعا الى خزعبلات .. دعنا نرى !

بين الحقيقة والخيال

لاشك ان مجيء نبات أصله واحد ، وعليه ثمرات مختلفات هو تصور فج في وقتنا الحاضر ، أو حتى لاجيال قادمة ، لكن هذا التصور انعكاس لما يجري في معامل العلماء الآن من بحوث غريبة على عقولنا وزماننا ، ذلك أن العلماء يلعبون الآن لعبة خطيرة ابسط ما نعبر عنها انها بمثابة القنبلة البيولوجية في علم الوراثة ، تلك العلوم التي بدأت بسيطة ، ثم تطورت وتقدمت بصورة مذهلة ، بحيث نستطيع ان نقول اننا نعيش الآن في عصر جديد سوف تكون له في المستقبل آثار ونتائج قد تبدو اغرب من الخيال ، ولقد بدأ هذا العصر يحقق بعض الانجازات التي لم يكن يحلم بها العلماء القدامى - مجرد حلم ، ولهذا سمي بعصر هندسة الوراثة ، بمعنى انه بالامكان اجراء تعديلات في صفات الكائنات ، او نقل صفة او صفات من كائن الى كائن اخر ، لتصبح جزءا من جهازه الوراثي .

الصفات الوراثية

لكن قبل أن نبدأ حديثنا عن تلك الكائنات « المعدلة » أي التي اكتسبت صفة جديدة لم تعرفها أسلافها ، دعنا أولا نمهد لهذا الموضوع المثير والغريب ، رغم اننا قد مهدنا له بثلاث او اربع مقالات سابقة على صفحات هذه المجلة ، وفيها تناولنا التكوين الدقيق للخلية الحية .. اية خلية تشاء ، من اي كائن تريد ، ذلك ان الخلايا جميعها تشترك في وحدات متشابهة ، اهمها على الاطلاق اشرطة وراثية سجلت عليها صفات الكائنات .

لهذا خذ خلية من انسان او نبات أو حيوان ، وافحصها فحصا جيدا باحدى وسائل العلم الحديثة ممثلة في الميكروسكوبات الضوئية او الاليكترونية ، او من خلال التحليلات الفيزيائية والكيميائية ، تجدها جميعا تحتوي على غشاء أو سور يحدد لها شكلها ومعالمها .

وفي داخل الخلية توجد مادة الحياة التي تنتشر فيها مرافق شتى تدير بها عملياتها الحيوية ، والادارة ممثلة في نواه ، والنواة تحتوي على كروموسومات ، وعلى الكروموسومات تتراص جينات أو مورثات ، وكل مورثة مكونة من شريط وراثي دقيق غاية الدقة ، والشريط ذاته يتكون من مركبات كيميائية اربعة هي : أدينين وثايمين وجوانين وسيتوزين ، أو أ ، ث ، ج س (شكل ٢) .. أخذنا الحرف الأول من كل كلمة من باب الاختصار ليس إلا ، وفي هذه المركبات أو الحروف الأربعة تشترك كل الكائنات ، وبحيث اذا نظرت الى الشريط الوراثي تحت الميكروسكوبات الاليكترونية فلن تستطيع أن تحدد أن كان هذا الشريط قد جاء من خلية من خلايا القرد أو الحمار أو الفاصوليا والبطيخ والباذنجان .. الخ ، فجميعها متشابهة تماما ، مثلها في ذلك كمثل أشرطة التسجيل ، فانت لا تستطيع أن تميز بين شريط وشريط ، الا اذا وضعته في آلة التسجيل ، وعندما تسمع ، تستطيع أن تعرف وتحدد !

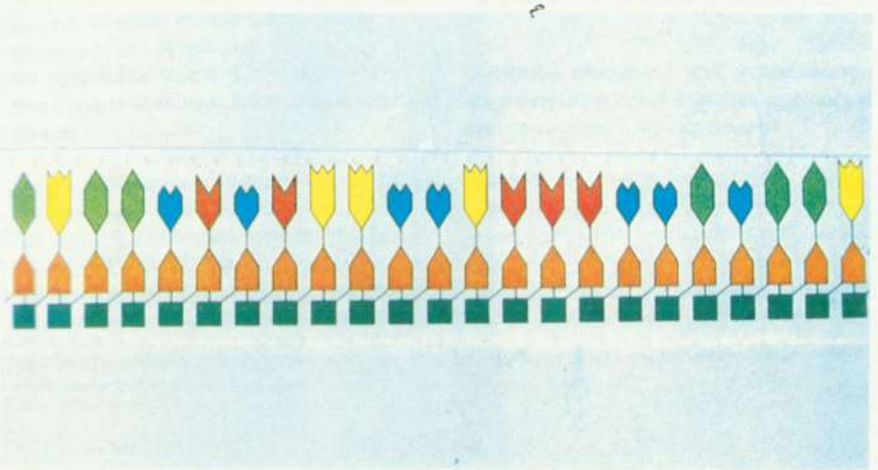
كذلك الحال مع أشرطة المخلوقات .. انها في الظاهر متشابهة ، لكن التباديل والتوافيق بين حروفنا الأربعة مختلفة ، ومن هذا الاختلاف ، تختلف صور الكائنات ، وعندما تدير الخلية أشرطتها بوسائلها الخاصة ، وتترجم شفراتها المسجلة عليها ، فان الترجمة تتحول الى خطة عمل .. الى صفات وراثية تميز كل كائن عن أي كائن آخر .

نقل الاشرطة وزراعتها !

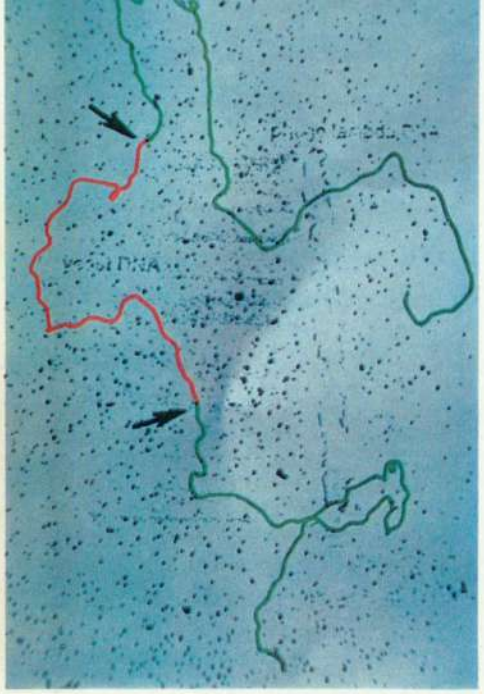
وكالمريض الذي يزرع له الجراحون قلبا طبيعيا أو صناعيا ، اذا ما فسد قلبه ، أو اخر فشلت كليته ، فتزرع له كلية سليمة من شخص آخر ، أو كبداية السيطرة على عمليات الاخصاب في الأنابيب أو الأطباق ،

ثم تزرع بدايات الأجنة بعد ذلك في الأرحام لتواصل فيها نموها حتى تولد أطفالا سوية، كذلك بدأ العلماء في الدخول الى ميدان جديد ومثير ، وبه بدأوا زراعة الجينات في خلية من خلية أخرى لا تمت لها بادنى صلة ، وحققوا في ذلك بعض النجاح . رغم أن البدايات في هذا المجال متواضعة ، الا أن السنوات القادمة سوف تتمخض عن انجازات مذهلة ، وبها ستتحقق ثورة في العلوم البيولوجية ، بحيث تضعنا على أعتاب عصر جديد يفوق في خطورته عصور

إنهم يتلاعبون بهندسة الوراثة



شكل (٢) نموذج مبسط لجزء ضئيل جداً من الشريط الوراثي ، وعليه تتراص الشفرات الكيميائية الأربعة أ ، ث ، ج ، س (وهي التي تظهر في النموذج بالوانها الحمراء والصفراء والخضراء والزرقاء من بلب التبسيط ليس إلا) .. وكل الكائنات الأرضية تشترك في هذه الشفرات التي تنتظم في أشرطة .



شكل (٣) (أ) جزء من شريط وراثي كما يظهر مكبراً عشرات الالوف من المرات وبهذا الجزء أمكن وصل جزء اخر من شريط وراثي (المحصور بين سهمين)

الطاقة النووية ، أو العقول الاليكترونية ، أو السفن الفضائية ... الخ .

ولاشك اننا ننظر الى الانسجة والأعضاء . بشيء من الدهشة والاكبار ، لكن ذلك يعتبر انجازاً متواضعاً ، لأنه محدود بحياة انسان تلف منه عضو ، فاستبدله الجراحون بعضو آخر ، لكن الغرض من نقل الجينات أو وحدات الوراثة وزراعتها على مستوى الخلايا ، له أهداف أخرى أعظم وأخطر وانفع من زراعة الأعضاء ، إذ أن ذلك قد يحقق للبشرية ثروات هائلة في الزرع والضرع ، أو في السيطرة على بعض الأمراض الوراثية ، أو في استخدام الخلايا « المعدلة » في عمليات صناعية نجني من ورائها خيراً كثيراً .

ولن نستبق الأحداث هنا ، بل علينا أولا أن نوضح ماذا نعني بخلايا معدلة ، انها الخلايا التي وضع لها العلماء في بروجرامها الوراثي جزءاً من بروجرام خلية أخرى ، فتظهر فيها صفة وراثية جديدة ، تؤدي الى خطة عمل محددة ، تتمخض عن عملية كيميائية لم تكن موجودة في أسلافها أما كيف يحدث ذلك ، فشرحه يطول ، لكن علينا أن نبسط ذلك بمثال من واقع حياتنا ، وليكن هذا في شريط من أشرطة التسجيل التي نعرفها تمام المعرفة ، فمن الميسور مثلا أن نصل قطعة من شريط في شريط اخر ، وعندما ندير الشريط الموصول ، نسمع فيه ما أوصلناه بالشريط الأصلي ، فان كان فيه موسيقى أو اغنية ، واقحمنا فيه زقزقة عصفور ، أو نهيق حمار ، أو أزيز طائرة .. الخ ، فلاشك ان هذه الأصوات الغريبة سوف تعبر عن نفسها عند مرورها في جهاز التسجيل !

أو لنفرض أن هناك مصنعاً آلياً يقوم بتصنيع سيارة حسب بروجرام محدد على خطوط التشغيل أو التجميع ، ثم أريد ادخال تعديل على التصميم ، عندئذ لابد من اضافة هذا التعديل في بروجرام التصنيع ، ليدخل على خطوط التشغيل ، فيخرج « الموديل المعدل » الى الاسواق .. وبنفس هذه الفكرة يتلاعب العلماء بالأشرطة الوراثية ، فهي أيضاً بمثابة بروجرامات ، تترجم الى تصنيع بروتينات على خطوط التشغيل في الخلية ، وبالبروتينات تدير الخلية شئون ملكوتها الدقيق .

اذن .. ما على العلماء إلا أن يختاروا جينة من خلية ليزرعوها في خلية أخرى ، وبطرق لن نتعرض هنا لتفاصيلها ، حتى لا تباعد بيننا وبين موضوعنا ، المهم أن الخلية تتقبل الجينة المزروعة ، وتقوم هي بعد ذلك بتنفيذ الخطة ، اي عليها أن تصل الشريط الوراثي للجينة الغريبة باشرطتها الوراثية ، وتكتسب بذلك صفة جديدة ، أو خطة معدلة (شكل ٣) .

ومن حسن الحظ أن الخلايا لها أدواتها « الجراحية » الدقيقة التي تستخدمها في قص الاشرطة ثم حياكتها من أطرافها المتحررة ، لتصبح متكاملة ، والواقع أن هذه الادوات التي تستخدمها الخلايا في اجراء عملياتها الجراحية على مستوى الأشرطة الوراثية ، قد أمكن عزلها والتعرف عليها ، وما هذه الأدوات إلا أنزيمات أو خمائر تستطيع أن تبتر وتحيك وتضمد ما تهلهل منها ، أو ما دخل فيها من أشرطة غريبة (شكل ٤) .

أول الغيث قطرة !

وبدون الدخول في التفاصيل نقول : ان العلماء قد حققوا في هذا المجال نتائج رائعة ، رغم أنها لازالت متواضعة ، من ذلك مثلا انه أمكن تحويل ميكروب مسالم الى ميكروب « شرير » يصنع السموم ، ويسبب المرض ، وقد يجلب الموت ، وذلك بنقل جينة أو عدة جينات من الميكروب المرض الى الميكروب المسالم ، فاصبحت من صفاته العدوانية والغزو والتدمير في انسجة العائل الذي يدخله غازياً ، هذا رغم ان اترابه من المسالمين !

وطبيعي أن بحوث العلماء في هذا المجال ليست للتدمير ، لكن ليس ببعيد أن يستغل هذا السلاح في انتاج نمط من ميكروبات معدلة يحمل كل الصفات السيئة التي تتسبب في احداث أمراض بالجملة ، وبحيث لا ينفع معها طب الأطباء ، ولا قوائم الدواء ، وعندئذ تنتشر كوباء لا يبقى في البشر ولا يذر .. أي أنه قد يستخدم كسلاح بيولوجي أقوى فتكاً من القنابل النووية أو النيوترونية !

نعود لنقول أن بحوث العلماء موجهة في الوقت الحاضر لفائدة البشرية ، بمعنى أن الهدف هو انتقاء أحسن الجينات أو المورثات ذات الصفات المرغوبة وزراعتها



شكل (٣) (ب) صورة توضح زراعة جزء من شريط وراثى فى شريط دائرى لميكروب (الجزء المزروع موضح بلون احمر) .



شكل (٤) للخلايا ادواتها «الجراحية» ممثلة فى انزيماتها التى تقطع بها الاشرطة الوراثية او توصلها ، او تعيد بناء ما يعطب منها .. الخ ، والنموذج يبين خطوات اربعة تتم فى الشريط الوراثى الذى حدث فيه خطا .

فى الخلايا ،

او يمكن استخدام هذه الخلايا المعدلة لانتاج مركبات أو أدوية أو هرمونات اجسام مضادة (بروتينات المناعة) .. الخ ، يصعب الحصول عليها فى الوقت الحاضر بكميات كبيرة .

ولكى نوضح معنى ذلك ، دعنا نضرب له مثلا ومثلا .. ولنفرض هنا اننا اردنا انتاج نوع من البطيخ يجمع بين الحلاوة والرائحة والمذاق ، عندئذ كان لابد من اقحام مورثات أوجينات أخرى فى خلايا البطيخ تجمع هذه الصفات ، فمن أراد بطيخاً بطعم الفراولة أو التفاح أو الخوخ ، فما عليه الا أن يعزل الجينة أو الجينات المسئولة عن انتاج المادة الكيميائية المرغوبة من خلايا هذه النباتات ، ثم يقوم بزراعتها فى خلايا البطيخ ، ثم السيطرة على هذه الخلايا ودفعها لتنتج نباتات البطيخ ، بدلا من الاعتماد على زراعة هذا النبات بواسطة الطرق التقليدية ، أى باستخدام البذور .

وهل يمكن حقاً ان تنتج الخلايا المعدلة نباتات كاملة ذات جذور وسيقان وأوراق وزهور وثمرات ، خاصة وان ذلك حيود عن الطريق الطبيعى الذى عرفه الانسان من قديم الزمن ؟

نعم .. فلقد تحقق هذا الهدف فى وقتنا الحاضر .. اى امكن انتاج نباتات سوية بطريق الخلايا دون البذور ، لكن ذلك موضوع آخر مثير سوف نتعرض له فى دراسة قادمة ، لنعرف المفاجات الغريبة التى يمكن أن تتحقق فى المستقبل .

أو لنفرض اننا اردنا انتاج نوع من ثمار الطماطم يحمل طعم الفلفل والبقدونس والنعناع ، فما علينا الا ان نحصل من الفلفل على الجينات التى تعطيه طعمه ، ومن البقدونس والنعناع على جيناتهما التى تحدد مذاقهما ، ونزرع ذلك كله فى خلايا نبات الطماطم ، عندئذ تعبر هذه الجينات بصفاتها فى خلايا نبات الطماطم المعدلة ، ثم نبدأ زراعتها ورعايتها لتعطينا ثمرات طماطم مفلفلة ومنعنعة ولها أيضاً مذاق البقدونس أو الكمون أو أى نوع من البهارات المستملحة !

الخيال يتحقق !

وقد يبدو أن ذلك من شطحات الخيال ، أو هو أقرب الى فكرة النبات الذى يحمل بطيخا وباذنجانا وطماطم .. الخ ، وهو الذى عرضنا له صورة خيالية فى صدر هذا المقال ، لكن ذلك ليس خيالا محضاً ، بل أمكن تحقيقه فى نقل جينات من خلايا أرقى مخلوق الى خلايا أضال مخلوق ، أى بين انسان وميكروب ، ولقد بدأ العلماء بتحقيق هذا الهدف لأهمية ذلك فى علاج مرض السكر الذى يعانى منه فى عالمنا المعاصر عشرات الملايين .

إن حرق السكر فى خلايانا وخلايا الحيوان يحتاج الى هرمون الانسولين ، والانسولين تنتجه خلايا خاصة فى البنكرياس ، ولانتاجه خطة ، والخطة موجودة على جينة أو جزء من الشريط الوراثى ، ومن الممكن فى وقتنا الحاضر عزل هذه الجينة ، أو حتى تخليقها فى المعامل ، ثم يمكن نقلها وزرعها فى خلايا بكتيرية ، وبالتحديد فى نوع خاص من البكتيريا التى تسكن فى امعائنا الغليظة (البكتيريا القولونية) ، ولقد تقبل هذا النوع جينة انسولين الانسان ، واصبحت جزءاً من جهازه الوراثى ، وبحيث تتكاثر معه اذا تكاثر الميكروب ، وتنتقل الى ذريته واجياله القادمة ، وكانما هذا الشريط الوراثى الذى يحمل خطة تكوين هرمون الانسولين ، قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من الجهاز الوراثى للبكتيريا ، ليس هذا فحسب ، بل أمكن لهذه البكتريا ان تجعله جزءاً من بروجرامها ، ووضعته فى خطة التشغيل لحسابها ، وبالاختصار ، فقد أنتجت البكتيريا هرمون الانسولين ، وهى لا تحتاجه فى قليل أو كثير ، ومن ثم فقد أمكن استخلاصه منها بحالة نقية ، وجرب هذا الانسولين على مرضى السكر ، فاشتغل فيهم بنفس الكفاءة التى يشتغل بها الانسولين البشرى فى البشر ، ذلك انه صورة طبق الأصل منه ، وكان ذلك فى حد ذاته انتصاراً عظيماً شجع معاهد البحوث والجامعات وشركات الأدوية على الدخول الى ميدان جديد ، أدى الى تنافس شديد ، وسار فى شتى الاتجاهات ، لأن ذلك سوف يدر عليها أموالا طائلة .

ثم تحقق بعد ذلك انتصار آخر كبير ، فالمعروف أن اجسامنا تستطيع ان تنتج مادة بروتينية اسمها « انترفيرون » ،

والانتاج لا يتم الا اذا غزت الفيروسات اجسامنا ، لكن لولا وجود هذا الانترفيرون ، لما كانت لها مقاومة تذكر ، ذلك ان تلك المادة تصنع وتفرز بكميات ضئيلة غاية الضالة من الخلايا المصابة بالفيروسات ، ثم ينتشر منها الانترفيرون الى ما حولها من خلايا سليمة ، وينذرها بأن البلاء قادم ، وبطريقة لسنا ندرى كل تفاصيلها بعد ، تقوم الخلايا بتغيير بعض خططها الحيوية ، بعد ان تكون قد استجابت لهذا الانذار الانترفيرونى ، فاذا جاءتها الفيروسات غازية ، وجدت الاستحكامات الخلوية قائمة ، والأبواب موصدة ، فلا تستطيع دخولا ولا غزواً ، وبهذا ينجو الانسان ، وتندحر الفيروسات ، لكن ليس ذلك فى كل الأحوال ، اذ تختلف استجابة الخلايا لهذه الانذارات الكيميائية ، ومن يستجب لها أسرع ، تكون فرصة النجاة أكبر !

ولاشك أن هذا الانترفيرون سلاح جبار بين أيدى العلماء والأطباء ، اذ به يمكن اكساب الأجسام مقاومة ضد غزو الفيروسات ، بداية من الانفلونزا وشلل الاطفال والتهاب الكبد الفيروسي والسعار (داء الكلب) وغير ذلك من أمراض فيروسية ، وانتهاء بكثير من أنواع داء السرطان ، خاصة تلك الأورام التى يقال أنها تنشأ من غزو فيروسى .

لكن المشكلة العويصة تتركز فى عدم امكان عزل هذا الانترفيرون بكميات تسمح باستخدامه فى العلاج ، لأن الخلايا تفرزه ـ كما سبق ان المحنا ـ بكميات ضئيلة غاية الضالة ، كما أن الانترفيرون المعزول من الحيوان لا ينفع مع الانسان ، وكل ما حصل عليه العلماء يكفى فقط للتجارب العلمية ، والقليل جداً قد استخدم فى علاج بعض حالات السرطان ، لكن الجرعات الضئيلة التى يتقبلها المريض الواحد تصل تكلفتها الى حوالى ٤٠ الف دولار !

وأخيراً ظهر الأمل فى هندسة الوراثة ، وأمكن زرع الشريط الوراثى المسئول عن انتاج الانترفيرون فى الانسان فى ميكروب ، وتقبله قبولا حسناً ، فاصبح بذلك ميكروباً معدلا لانتاج الانترفيرون البشرى .. صحيح أن الانتاج لا يزال متواضعاً ، لكنها بداية موفقة على أية حال ، فاول الغيث قطرة ـ كما يقولون ، لكن مما لاشك فيه ان كل شىء يتطور الى الأحسن ، وبمزيد من الادراك والفهم لأسرار الحياة ، يمكن السيطرة على هذه العمليات ، فتمنحنا من خيراتها باليمين وباليسار ، لتنقذ البشرية من آلامها وأمراضها .

أهداف أخرى تتحقق

ان المبدأ العام الذى يرتكز عليه علماء هندسة الوراثة الآن أنه بالامكان نقل أية صفة وراثية من أى نوع من الكائنات الى اى نوع آخر ، والصفة او الصفات ذاتها مسجلة على أشرطة ، والأشرطة موحدة فى الفكرة ، وموحدة فى الشفرة ، لكن الاختلاف بين صفة وصفة ، أو بين نوع من الكائنات ونوع آخر ، يرجع الى التباديل والتوافيق التى تتم فى تنظيم الشفرة على الأشرطة ، كما انه قد أصبح متاحاً الآن تبادل شفرات الوراثة بين المخلوقات ، أو التحام شريط من كائن فى شريط كائن آخر ، ليعطيه صفة من صفاته ، ولا يهم بعد ذلك ان كانت هذه الصفة أو الصفات المكتسبة متبادلة بين انسان وميكروب ، او بين حيوان ونبات ، أو حيوان وحيوان ، أو نبات ونبات .. المهم ان نحدد أولا الصفة الوراثية المرغوب نقلها وزرعها ، ثم نعزل شريطها ونقحمه على الجهاز الوراثى فى خلية أى كائن آخر ، لتقوم الخلية باجراء عملية « جراحية » على أدق المستويات ، فتقطع وتوصل وتضمد ، وبهذا يصبح الشريط المزروع جزءاً منها لا يتجزأ ، فيكسبها صفة جديدة لم تعرفها اسلافها .

لكن العلماء يركزون على الأهم

ثم المهم ، فاهم ما تحتاجه البشرية الآن أدوية تشفى امراضها ، أو تخفف آلامها ، او تنقذ ضحايا شلل الأطفال والسرطان وكثير من الأمراض الوراثية وعلى رأسها انماط التخلف العقلى المختلفة .. الخ ، والأمل معقود على هندسة الوراثة ، أى نقل خطط التشغيل الوراثية التى أصابها العطب فى الانسان ، لادارتها فى الميكروبات ، ثم ارجاع انتاجها الى الانسان المعطوب ، فلعلها تعوضه عما فقد !

لقد أصبحنا نسمع الآن عن شركات ومؤسسات أسماء غريبة تدل على أننا مقبلون على عصور غريبة لم تكن تراود أحلام العلماء منذ حوالى عشرين عاماً فقط .. من ذلك مؤسسات مثل « جينتك » و « جينـــكس » و « بيـــوجين » .. الخ (Genetec, Genex, Biogen) تحمل فى مضمونها كلمة « جين » ـ أى وحدة الوراثة ، فكأنما نحن امام شركات قد تخصصت فى نقل وزراعة وحدات الوراثة ، لتتمخض عن تكنولوجيا الوراثة .. أى تشغيل الخطط الوراثية المزروعة على خطوط تشغيل الخلايا ، أسوة بما يحدث فى خطوط تشغيل الآلات التى تديرها عقول اليكترونية .

وعلى الجانب الآخر انشئت شركات ومؤسسات لانتاج خلايا نباتية معدلة ، تتمخض عن نباتات معدلة ، وبسيطرة العقول البشرية الخلاقة ، منها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة كالجين ، وسنجين وفيتوجين Calgene, Sungene, Phytogene .. وكلها تشترك فى تكنولوجيـــا الجين النباتى ، أو هندسة الوراثة النباتية ، وعلى هذا يعلق البروفيسور روبرت شيبرد استاذ علم أمراض النبات بجامعة كاليفورنيا ، فيقول « ان أصول الزراعة فى غضون الخمسين سنة القادمة سوف تختلف اختلافاً جذرياً عما هى عليه الآن ، اذ سيكون لدينا أنواع كثيرة من نباتات محاصيل جديدة » .. ويعنى هذا أننا فى الطريق الى احداث ثورة خضراء قد يصعب التنبؤ بأبعادها .

بقى ان نذكر أن انتاج الخلايا المعدلة ، وبمواصفات وراثية محددة ، والسيطرة عليها بطرق معقدة ، قد أدى الى انتاج عقاقير وهرمونات وبروتينات وانزيمات ولقاحات .. الخ ، وأن بعض هذه المركبات قد جاءت من أشرطة وراثية فى خلايا مخ الانسان نفسه ، لكنها اشتغلت فى الميكروب ، لتعطى ما عجز المخ عن انتاجه ، نتيجة لخطأ عارض أو وراثى حل فى بعض جيناته ، وبهذا يقوم أدنى المخلوقات بمساعدة أعلى المخلوقات ، ومن وراء ذلك بحوث ناجحة ، وعلوم نافعة ، وتطبيقات مثمرة .

د . عبد المحسن صالح

الذي سقط سهواً من السعدني!

بقلم: الدكتور علاء عباس الأسواني

في العدد الصادر في ابريل الماضي ، كتب الأستاذ محمود السعدني مقالا تحت عنوان « المأساة الأسوانية » ، تحدث فيه عن صديق عمره الكاتب المرحوم عباس الأسواني .
وقد وصلتنا رسالتان للرد على بعض ما ورد في مقال السعدني . أحدهما من الأستاذ صلاح الأسواني المحامي . والثانية من د . علاء الأسواني ، نجل عباس الأسواني ، ونكتفي هنا بنشر رسالة الدكتور علاء الأسواني تعقيباً على مقال السعدني :

عزيزي الأستاذ محمود السعدني ....

قرات لك مقالا فى « الدوحة » عن عباس الأسواني .. اخترت له انت عنوان « المأساة الأسوانية » .وبالرغم من الحب الذي تخلل عباراتك عن الكـاتب الراحـل - الذي هو ابي - إلا ان مقالك قد جاء حافلا باخطاء ... هي مدهشة حقا ... !

وليس المدهش انك اخطات .. فسبحان المعصوم ، ولكن العجيب انك غفلت - اقول غفلت - عن حقائق ووقائع كنت اظنك تعرفها .. جيداً ..

وبما أن عباس الأسواني - الراحل - لا يملك الآن دفاعاً عن نفسه .. فلتسمح لي ياأستاذ سعدني أن أبين انا ما خفي في مقالك ... من الحقائق :

اولا : ذكرت في مقالك أن عباس الأسواني كان مرتبطاً بطبقة الباشوات الذين كانوا اصحاب الفضل في تعليمه .. ولهذا كان يكره ثورة يوليو ووقف ضدها .

ووجه الحقيقة أن الأستاذ عباس الأسواني تعلم في كلية الحقوق حتى حصل على الليسانس ، ولم يدفع - هو أو غيره - مليماً من المصاريف . اذ كان - رحمه الله - حاصلا على المجانية لتفوقه في البكالوريا ... ! أما ارتباطه بالباشوات فقد ذكرت بنفسك - في نفس المقال . أن عباس الأسواني اعتقل عام ٥٢ وكاد أن يحكم عليه بالاعدام .. بسبب انتمائه لحزب مصر الفتاة .. فكيف يتفق ان يقتنع المرء بمبادىء حزب مصر الفتاة ، وحكم الباشوات في آن واحد .. ؟ !

سؤال اترك إجابته لثقافة الأستاذ السعدني .. التي اثق فيها كثيراً .

ثانياً : تعجبت فى مقالك وقلت إنك لم تفهم لماذا عادى عباس الأسواني حكم عبد الناصر .. وهو العهد الذي لمع خلاله ككاتب وفنان .. ثم رحب بعد ذلك ببداية عهد السادات بالرغم من انه - الأسواني - قد خرج من مولد الانفتاح بلا حمص - كما قلت .

ويكفي عباس الأسواني انه فعل ما لم تفهمه انت - للأسف - إذ لم يكن الرجل يحسب موقفه من أي عهد بقدر ما يأخذه أو يمنع منه .. كما أن مصدر رزقه الرئيسي كان من المحاماة - مهنته الأولى - وأظنك عرفته محامياً بارعاً في قضاياك الكثيرة .. يا أستاذ سعدني ..!!

وقد اختلف عباس الأسواني مع عبد الناصر وثورة يوليو حول نقطة واحدة .. لم تلتفت إليها الثورة .. وكانت حجر الزاوية في فكر الأسواني . كان الخلاف حول الديمقراطية والحريات العامة .. ولعلك يا أستاذ سعدني لو رجعت إلى محاضر اللجنة المركزية « جلسات مارس ١٩٦٨ » ، لقرأت فيها كيف أن عبد الناصر نفسه استشعر فداحة المنع الديمقراطي في مصر واعتبره سبباً هاماً من أسباب الهزيمة ..

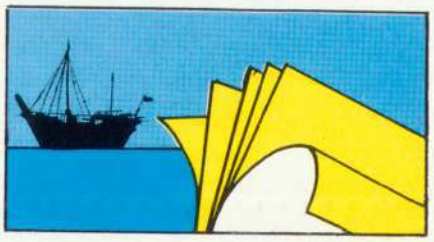
ترى هل كان الأسواني مخطئاً في خلافه مع الثورة ؟ !

ثالثاً : ذكرت في مقالك أن عباس الأسواني « أراد أن يحتفظ بفنه طاهراً فتكسب بفن مجلوب .. »

والحق أن عباس الأسواني لم يتكسب بفنه قط ..! ولو أنه فعل .. ، لما قدر لمحمود السعدني يوماً أن يكتب عن مأساته ... !! ودعني أذكرك بالقرار الذي أصدره أنور السادات في عام ١٩٧٢ بمنع عباس الأسواني من الكتابه - ضمن من منعوا حينئذ - وأذكرك أيضاً بأن عباس الأسواني لم يكتب حرفاً في مدح أو مداهنة مسئول . أما قصيدته التي جاء ذكر السادات فى بيت منها .. فقد كتبها عباس الأسواني في يوم ١٤ أكتوبر عام ١٩٧٣ ... ومن منا لم يكن مؤيداً لأنور السادات في ذلك اليوم ؟ !

كلمة أخيرة .. أهمس بها في أذن العم العزيز محمود السعدني :

إذا كان عباس الأسواني - في رأيك - مسدساً بغير طلقات كما قلت .. فمن المؤكد أن أحداً - صغيراً كان أو كبيراً - لم يكن يملك أن يطلقه على أحد ... !! شكراً ..



بقلم : عبدالرحمن المناعي
ريشه : سلطان السليطي

أم راشد.. تزرع الفرح على وجوه النسوة!

عندما ذهب الجميع الى الشاطىء لوداع السفن الراحلة الى مصائد اللؤلؤ .. لم تجد « أم راشد » سبباً للمشاركة .. فلقد ودعت زوجها وأبناءها الثلاثة منذ زمن بعيد .. لم تعد تكترث لرحلة الغوص وبيتها الذي تقلص الى مساحة صغيرة « الكبر » . الوحيد الذي لم يعد يضم غير سنواتها الستين ، وذكرياتها الموجعة عن البحر .

وعلى صوت قرع الطبول القادمة من بعيد .. بدأت في تخطيط الأرض التي تفصل بين كوخها .. وبوابة البيت .. بينما تحصر في عقلها عدد نساء الحي ، لتخصص لكل امرأة مكان مناسب .

وعندما خفتت الأصوات على الشاطىء وبدأت الهمسات الحزينة تدور في أزقة القرية .. كانت أم راشد قد انهت حرث الأرض واسندت رأسها المتعب على الحائط الطيني تنصت للنساء ، وهن يطيبن خواطر أبنائهن الصغار .

وتبتسم أم راشد في حزن ، لمعرفتها بنساء القرية ، وطيبتهن المتناهية .

وعندما اختفى آخر شراع في الأفق كانت أم راشد قد أنهت زراعة الأرض ببذور « المشموم » .

بعد شهر :

في بيت النوخذة .. دارت الفناجين .. واجتمعت النسوة في جلسة صباحية افترشن « الصبان » والأبواب مشرعة ..

القرية لا تضم إلا النساء والأطفال والعجزة .. زوجة النوخذة تؤكد على تفاؤلها هذا العام .. فبعد مرور شهر .. لم تشهد المنطقة أي رياح قوية . ودرجة الحرارة لا زالت مناسبة ..

كانت تريد تأكيد معرفتها كزوجة لقائد السفينة بالبحر وأحواله .. وبمرور الوقت تستيقظ العيون .. وتراقب الأبواب بشوق ... فحديث امرأة « النوخذة » لا يغني عن حكايات الحجية أم راشد ...

وعندما تلج الباب بعكازها وابتسامتها الرزينة .. يبادر الجميع الى سؤالها : ما أخبار المشموم يا أم راشد .؟ وعندما تبدأ الحديث عن المشموم ونموه بشكل جيد ، وكيف يجدل مع الضفائر السوداء .. تكون الأمواج قد حملت السفن الى الشاطىء . عندها تنبذ الليالي الموحشة والمضنية .. وتنجز أم راشد عملها السنوي .. برضى كبير .. حيث انها نذرت نفسها من سنين بعيدة لتجميل النساء في القرية بالمشموم .. فهي لا تكتفي بزراعته ورعايته .. بل انها تخيط أوراقه على شكل كور صغيرة مطعمة ببعض أزهار الياسمين البيضاء .. وتربط كل أربع أو ست او ثمان كور مع بعضها حسب طول شعر صاحبته .. وعندما تزف البشرى ، وتعود السفن .. تسارع النسوة إلى الحجية .. « كان ابنها سيتزوج بعد عودته من الرحلة ولكنه لم يعد » !

● **بعد شهر آخر :**

ما أخبار المشموم يا أم راشد .. ؟؟

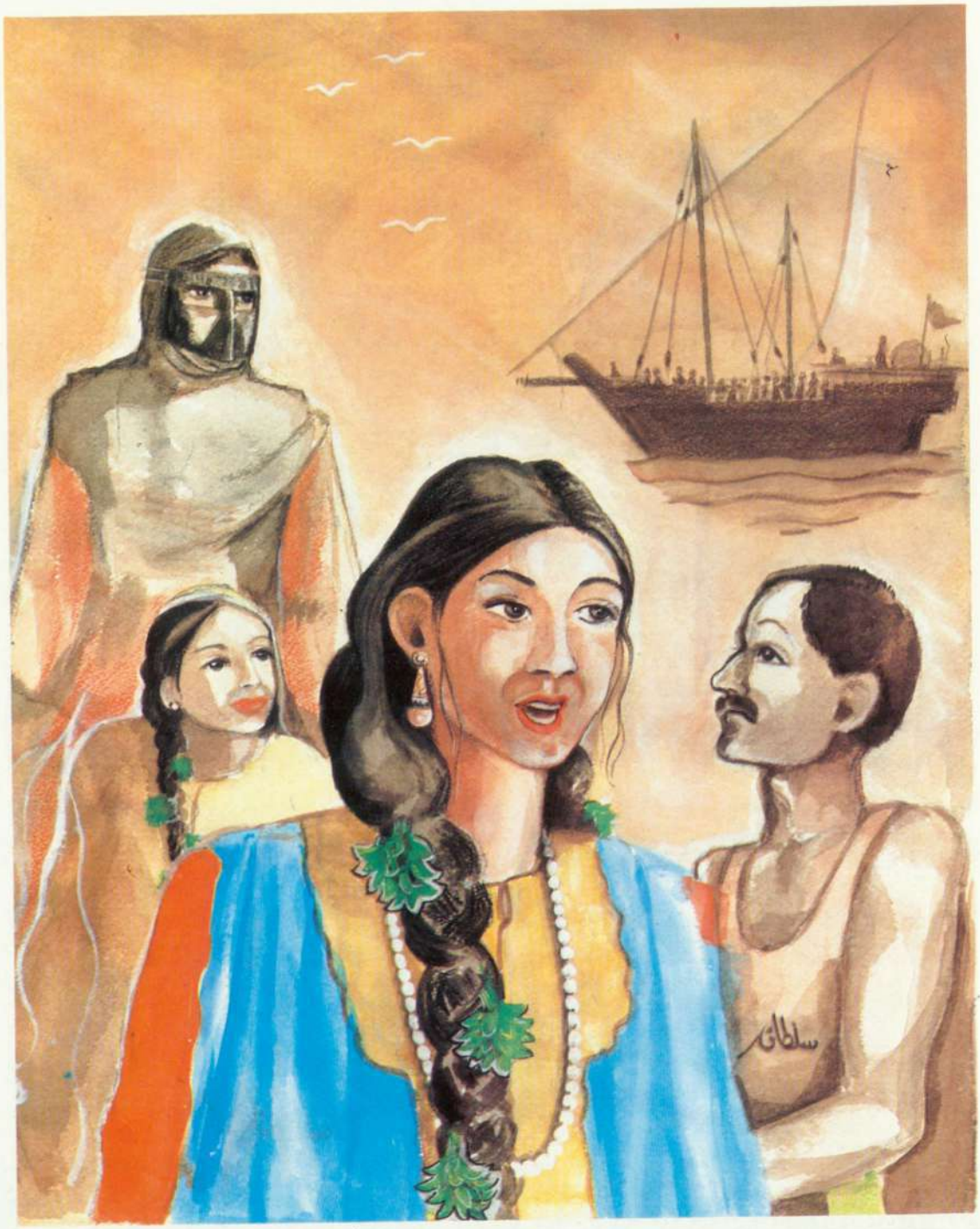
تبتسم لزائرتها .. وتتناول طبق الأرز والسمك .. تجلس في الظل أمام الكوخ .. تتناول وجبتها .. بينما زائرتها تداعب أوراق المشموم الخضراء بفرح عارم ... وتنصرف بورقة واحدة تفركها بين راحتيها . أم راشد تزرع ولا تطبخ ... فهذا هو المقابل .. كل وجباتها من جيرانها وما عليها إلا زراعة الفرح على وجوه النسوة العابرات .

واقترب الموعد .. وبدأت بذور المشموم تنبثق في أعلى الغصون ضاربة الى اللون البنفسجي .. مشيرة الى تمام اخضرارها ..

انصرفت أم راشد في الأيام الأخيرة الى تجهيز المشموم بجانب قيامها بنقش أكف النساء وارجلهن بالحناء .

وانتهى الموسم .. لم تعد السفن .. تأخرت .. والمشموم لابد أن يبقى أخضر فالمزيد من الجهد ياأم راشد .. يجب أن يفرح الجميع .. وعندما صرخ الأطفال على الشاطىء : « بين اليوم .. بدوا الغواويص » توافدت النسوة الى أم راشد .. كل تخطف نصيبها وتحرص فرحة إلى اتمام زينتها .

وأم راشد مستندة الى كوخها ترقبهن



وهن فرحات .. وأصوات الأطفال مع الطبول القادمة من البحر .. تشيع الفرح في سماء القرية .. والمساحة الممتدة من الكوخ الى الباب اصبحت جرداء . عندما رحلت الشمس .. كانت أم راشد لا تـزال ترقب الأرض .. وتســتشف الضحكات من خلف الجدران الطينية .

في الصباح اقبلت النسوة بالأطباق الشهية إلى أم راشد .. لكنها لم تزل مستلقية هناك .. وشبح ابتسامة .. لا يزال على شفتيها .. !

الكبر : كوخ يشيد من سعف النخيل وجذوعه وسقفه يكون على شكل مائل .. وبعض الأكواخ يبنى الجزء الأســفل منها .. من الحجارة والطين .. والجزء الأعلى بسعف النخيل .

المشموم : أو « الريحــان » أوراق خضراء ذات رائحة زكية . دابت النساء قديما على استخدامه لزينتهن .. وذلك بتجميع الوريقات فى كور تعلق مع جدائل الشعر .. كذلك يستخدم لتحضير بعض العطور.

الصبان : نوع من انواع القواقع الصغيرة جدا .. تتجمع على الشواطىء بكميات كبيرة .. تجمع وتجفف وتفرش بساحات البيوت حيث انها تحافظ على نظافة البيت .



الشاعر الايطالي ايوجينيو مونتالي .. آخر شعراء ايطاليا العظام !

الأيّـام الأخـيرة في حياة شاعر عالميّ من إيطاليا !

بقلم: الدكتور عيسى الناعوري

في اليوم نفسه الذى قابلت فى صباحه الروائى الايطالى دينو بوتساتى فى دار جريدة (كوريير دى ديلا سيرا) ، زرت عند اصيله الشاعر الكبير ايوجينيو مونتالى فى بيته : يوم الثلاثاء ، ١٥ تشرين الثانى ١٩٦٠ .

منذ الأيام الأولى لوصولى الى ميلانو ، كنت أود معرفة مونتالى ؛ ففى ايطاليا كان الجميع يحدثوننى عنه ، باعتباره أحد الشعراء الكبار ، الذين يتربعون على قمة الأولمب من الشعر الايطالى المعاصر .

فى اليوم التالى لوصولى الى ميلانو ، حاولت مخاطبته هاتفياً ؛ فقيل لي إنه فى باريس يشارك في إحدى المناسبات الشعرية المهمة ، وانه قد يعود خلال عشرة أيام .

وفى مساء ١٤ تشرين الثانى حاولت مرة ثانية ان اهاتفه ، فرد «مونتالى» نفسه ، وضرب لي موعداً للقائه فى منزله الساعة الرابعة من اصيل الغد .

الساعة الرابعة تماماً وصلت الى «شارع بيليي رقم ١١» ، وصعدت بالمصعد الى الطابق الرابع ، ولما فتحت باب المصعد لاخرج ، كان «مونتالى» يقف هناك فى انتظارى . فقدم إلي نفسه حالا ، وقدمت نفسى . فسار امامى على مهل الى غرفة مكتبته .

كان عمر «مونتالى» يومذاك خمسة وستين عاماً ، ولكنه بدا لي اكبر من ذلك

بكثير . وقارنت فى سرى بينه وبين زميله الشاعر الكبير دييجو فاليرى ، فى البندقية: كان عمر «فاليرى» حين لقيته فى البندقية قبل ايام ، اربعة وسبعين عاما ؛ اى انه اكبر من «مونتانى» بتسع سنوات ، ولكنه فى الحقيقة كان يبدو اصغر منه بتسع سنوات او عشر . لقد جاء للقائى ماشيا من منزله الى الفندق تحت المطر الشديد ، لأنه كان يخشى علي من الضياع لو غادرت الفندق لأزوره فى منزله ، فى تلك المدينة المائية التى لا يمكن ان يستاجر فيها المرء سيارة ، لأن لا سيارات فيها ؛ وانا لا اعرف المدينة ، بل ازورها لأول مرة .

شرحت لمونتالى الغرض من زيارتى ومن وجودى فى ميلانو . وحدثنى هو عن حياته وعن اعماله الأدبية . ثم نهض وتناول من احد رفوف مكتبته نسخة من كتابه الشعرى (العاصفة) ؛ وبيد مرتعشة من اثر الشيخوخة والضعف ، كتب على الصفحة الأولى من الكتاب كلمة اهداء قصيرة : «الى عيسى الناعورى ، تذكاراً من : ايوجينيو مونتالى ـ ميلانو ١٩٦٠» . وعلى ورقة مستقلة كتب ايضا باليد المرتعشة عينها ، نبذة قصيرة خاطفة عن حياته وعن اعماله الشعرية ـ لا ازال احتفظ بهذه الورقة داخل ديوان «العاصفة» ـ ثم قدم الي بعض صوره الشخصية ، وعليها توقيعه .

استغرق اللقاء ساعة : من الرابعة الى الخامسة مساء . وكان «مونتالى» يتكلم ببطء وبصوت خافت . بادي التعب . قال لي إن لديه من الأعمال الشعرية المنشورة حتى ذلك الحين : « عظام السبيدج » ، و «المناسبات» ، و «العاصفة» . واوصانى بان اذهب الى ناشر كتبه ـ دار مونتادورى ـ ليهدى الي ديوانيه الآخرين : (عظام السبيدج ـ والمناسبات) . وذكر لي انه يعمل رئيس تحرير لجريدة (كوريير دى ديلا سيرا) .

ان شعر «مونتالى» ، بالنسبة الي ، يختلف عن شعر زملائه الثلاثة الآخرين : اونجاريتى ، وكوازيمودو ، ودييجو فاليرى ؛ فشعر هؤلاء الثلاثة اسهل كثيراً على الفهم وعلى الأخص شعر «فاليرى» السهل ، الناعم ، الواضح . اما « مونتالى » ، فان لغته الايطالية هى بالأحرى لغة «مونتالية» خاصة به ، ولكى اتمكن من فهمها لابد لي من ان اقراها مرة ، واعاود قراءتها مراراً . كذلك فعلت ، وكذلك افعل كلما فكرت فى ان اترجم الى العربية شيئا من شعر مونتالى .

وحين فاز مونتالى بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٥ ، كنت العربى الوحيد الذى كتب عنه فى الصحف العربية معرفا به وبشعره ثم نشرت فى مجلة «الآداب الاجنبية» ، فى دمشق ، العدد ٤ ، نيسان ١٩٧٦ ، دراسة تقع فى ٤٣ صفحة ، مع ترجمات لثمان واربعين قصيدة من شعره اخترتها من جميع كتبه الشعرية ، وعددها خمسة كتب .

جينا : أتعرفين هذا السيد ؟

تلك الزيارة فى شهر تشرين الثانى عام ١٩٦٠ ، لم تكن الزيارة الوحيدة ، فقد اسعدنى الحظ بعدها بزيارة ثانية فى تشرين الثانى ١٩٧٣ ، ثم بزيارة ثالثة فى تشرين الأول ١٩٧٩ .

حين زرت «مونتالى» الزيارة الثانية ، كان فى المنزل وحيداً مع خادمته السيدة «جينا» . واستقبلنى جالساً . وعلمت انه فقد زوجته قبل بضع سنوات . كان متداعى الجسم ، وقد بدا كانه ابن تسعين عاما او اكثر . كان يتكلم ببطء شديد ؛ وبدا كانه طفل : كانت «جينا» تسقيه القهوة والحليب بيديها ، وحين يطلب منها سيجارة ، كانت تقسمها له نصفين ، ولا تقدمها اليه حالا ، لئلا تدعه يدخن كثيراً ـ ولابد ان هذا كان بامر الطبيب .

وقدمت له نسخة من مقال كنت قد نشرته عنه فى احدى الصحف الأسبوعية الأردنية وفى المقال صورة له مع الكاتب الروائى «فاسكو براتولينى» ، وهما يتبادلان التهانى بمناسبة صدور رواية لبراتولينى . وهذه الصورة كانت من الصور التى اعطانيها «مونتالى» نفسه فى زيارتى الأولى ، ولكنه نسيها تماما ، ونسي مناسبتها ، ونسي انه التقى مع «براتولينى» فى حفلة . ولذلك راح ينادى الخادمة : «جينا ! جينا !» . فلما جاءت ، سالها مغتبطا بلهجة طفولية عجيبة : «جينا ! أتعرفين هذا السيد ؟» فقالت جينا : «هذا انت يا أستاذ» . فقال : «ولكنها صورة جميلة ، وانا هنا شاب» ؟ فقالت جينا : «انت دائما شاب ، ودائما جميل ، يا أستاذ» . فضحك «مونتالى» مغتبطا كالطفل .

وكان يهمنى ان اعرف شيئا . فقلت أساله : هل مازال يذهب الى جريدة (كوريير دى ديلا سيرا) ؟ فقال انه لم يذهب اليها منذ سنتين ؛ ولكنهم هناك لايزالون يعتبرونه رئيس التحرير ولايزالون يدفعون له راتبه على هذا الأساس .

وليس من شك فى ان هذا كان تقديراً واعترافا من الادارة بفضل «مونتالى» . ولكن هل ظل الامر كذلك الى آخر حياة الشاعر يا ترى ؟ ليتنى ادرى !

الشيخوخة قبل الموعد

كانت زيارتى الثالثة لمونتالى فى اكتوبر ١٩٧٩ ، وكان يرافقنى الصديقان المستعربان الشابان «سيرجيو نويا» ، و «ميكيلى فلارو» ، من اعضاء الهيئة التدريسية فى الجامعة الكاثوليكية فى ميلانو . وكان «مونتالى» لايزال يقيم فى المنزل نفسه الذى زرته فيه فى المرتين السابقتين ، رقم ١١ ، شارع بيليي . وكان ساعتئذ فى المنزل ومعه صديق له ؛ وكانت جينا لاتزال هناك ايضاً .

كان الشاعر حينذاك فى الثالثة والثمانين من عمره ؛ وقبل اربع سنوات كان قد فاز بجائزة نوبل العالمية للآداب ـ حلم العمر لكل اديب وشاعر ـ .

من المؤسف ان ذاكرة الشاعر كانت قد بلغت منتهى الضعف : كان يسال السؤال ، ويسمع جوابه ؛ ولكنه سرعان ما كان ينسى انه سال ، وانه سمع الجواب ، فيعود يسال السؤال نفسه من جديد ، ويسمع الجواب عينه مرة اخرى . وكان يبدو انه يسبح فى عالم آخر غير منظور . كان يجلس معنا ، ولم يكن معنا .

كان يبدو ان الشاعر الايطالى الكبير ، الذى تربع على عرش العالمية ، كان إذ ذاك يعيش على الأرض بجسم متعب منهوك ، وبالقليل من الروح الباقية له . والواقع ان «مونتالى» بلغ الشيخوخة قبل أوان الشيخوخة بكثير ؛ وهذا ، بكل تاكيد ، نتيجة الأمراض التى تعاقبت عليه منذ الصغر ، والتى حرمته من مواصلة الدراسة الى ما بعد المرحلة الاعدادية ، ورافقته الى مدة طويلة من عمره . وهكذا كان يبدو شيخا هرما منذ ان كان فى الستين من عمره .

لقد تيقنت فى تلك الزيارة من اننى لن ارى «مونتالى» بعد تلك الزيارة . ولم اقل هذا لنفسى فحسب ، بل قلته للصديقين : «نويا» و «فلارو» بعد خروجنا من عنده . وهذا ما وقع فعلا .

ففى ١٢ ايلول عام ١٩٨١ اختفى مونتالى ، فشعرت بحزن شديد عميق لوفاته . وكتبت حينئذ مقالا فى جريدة (الدستور) الأردنية الصادرة يوم الجمعة ٢ اكتوبر ١٩٨١ ، ارثى فيه الشاعر الصديق الراحل .

ولا اعرف عربيا غيرى كتب يرثيه فى صحيفة عربية .



فرقة التواشيح الأندلسية التى تذكرنا باجمل ليالى الأندلس العربية

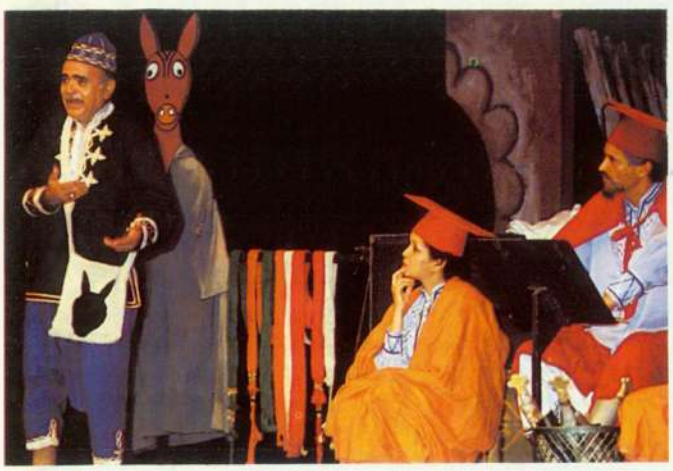
اسبوع الثقافة المغربي في الدوحة

مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصيل

سنان المسلماني



باقة من الأزهار مهداة للفنانة ماجدة عبد الوهاب بعد الانتهاء من وصلتها الغنائية



مشهد من مسرحية «قاضى الحلقة» للكاتب المسرحى المغربى أحمد الطيب العلج



الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى والى جواره وزير الثقافة المغربى د. سعيد بن البشير والأستاذ أحمد الرعينى وزير العمل والشئون الاجتماعية اليمنى .. وذلك فى حفل افتتاح الأسبوع الثقافى المغربى فى الدوحة .

امتد الجناح الغربى للوطن العربى ليحتضننا ونحتضنه فى الأسبوع العربى المغربى الذى عايشناه وعايشنا فى الدوحة .

امتزج بنا وامتزجنا به ، فأعاد الينا ذكريات حبيبة الى نفوسنا طالما تقنا الى استعادتها والرحيل من خلالها الى ذكرى الوطن الواحد والدم الواحد والروح الواحد بلا حدود أو أسلاك ، تجمعنا اللغة العربية والدين الاسلامى .

لقد جسد لنا الأسبوع الثقافى المغربى العربى كل أصالة الانسان العربى من خلال العروض الموسيقية والمسرحية ومن خلال معرض الكتاب وصور العمارة الاسلامية والفنون الأصيلة ، التى إن دلت على شىء فانما تدل على الفلسفة المتبصرة الهادفة التى ميزت منجزات هذا الانسان برقة الحس ودقة الصنع والصدق فى التعبير ومدى القدرة على صهر كل التيارات الحضارية التى عايشها الانسان العربى ، والتى تركت بصماتها وآثارها على معالم مدنه التاريخية والعمرانية والثقافية ، ليسهم بقدر وافر فى بناء حضارة خالدة تضرب جذورها فى أعماق جسد التاريخ وتنتشر فروعها الخضراء المعطاءة على مدى العصور والأجيال .

فمنذ أن أشرق نور الاسلام على المغرب حدث التمازج العظيم والمدهش والخلاب بين حضارات المغرب القديمة وحضارة الاسلام التى زادتها قوة وعمقاً ووجهت



فرقة «ناكادة» التى تعتبر نموذجاً للظواهر الفنية الجديدة فى المغرب



الموسيقى المغربية العصرية، عكست قدرة الانسان العربى فى المغرب على التفاعل مع الانسان العربى فى المشرق

مع التواشيح الأندلسية والفن المغربي الأصيل

مسارها كحضارة إنسانية خالدة فاعلة .

وعن هذا التمازج نشأ طراز مغربى اسلامى تجلى فى كل شيء ، بداية من هندسة تشييد المدن والمؤسسات الاجتماعية والقناطر والجسور وغيرها من فنون العمارة ، الى الزخرفة والنقش وصياغة الحلي والمعادن النفيسة ونسج النسيج وتزويق المخطوطات وكتب التراث وغير ذلك من الانتاجات التى افلتت من زيف الحضارة المادية لتظل شاهدة على أصالة الشخصية المغربية .

وكما تجلى هذا التمازج فى فن العمارة وفى الصناعات اليدوية الأصيلة ، فقد تجلى أيضاً فى الفن الموسيقى الغنائى المغربى ، ذلك الفن الزاخر المعبر عن أصالة الفنان المغربى ومدى ارتباطه بجذوره ، لو أردنا أن نحدد أطره ، أو أن نسمى صوره من خلال مشاهداتنا له فى العرض الفنى ، لما خرجنا عما ارتضاه هو لنفسه من مسميات ، واتجاهات ، ونحن عندما نحاول رصد أشكاله ، فسنجد انفسنا نسبح من خلال هذا الفن الرفيع والشيق والممتع فى ثلاثة أشكال ، فى ثلاثة انهر موسيقية حالمة وصاخبة .

فالنهر الأول هو نهر الموسيقى الأندلسية هذا الاتجاه الأصيل الذى يعيدك رغماً عنك الى ليالى الأندلس وتلك الذكريات العزيزة، ويوقظ فيك أحلى ذكرى عاشتها النفس العربية .

هذا النهر جسد قدرة هذا الانسان العربى على التمازج ثم الاحتفاظ بهذا الفن الأندلسى القديم ، ليتمثل بداخله اتجاهاً محدداً يخترق حاجز الزمن ، ويصل الماضى بالحاضر ، ويصل بعزمه الحاضر بالمستقبل .

والنهر الموسيقى الثانى ، كان يمثل الموسيقى المغربية العصرية هذه الموسيقى التى عكست أيضاً قدرة الانسان العربى فى المغرب على التفاعل مع الانسان العربى فى المشرق .

ومحاولة مد الجسور من خلال التفاعل مع موسيقى الانسان فى المشرق العربى ، فلقد ظهرت البوادر الأولى للموسيقى المغربية العصرية مع مطلع القرن العشرين إذ كان لوفود الفرق الغنائية العربية وخاصة الفرق المصرية ، أثر قوى فى زرع البذور الأولى لهذه المدرسة ، كما كان للموسيقى المبثوثة عبر الأجهزة الاذاعية دور كبير فى خلق هذا الاتجاه وتأكيده .

ولقد كان يمثل هذا الاتجاه الجديد مجموعة من الشباب العربى المغربى ، إذ قاموا بحفظ الأدوار الموسيقية المصرية والموشحات الحلبية ، كما كانوا يرددون المواويل . وما هى إلا سنوات قليلة حتى أصبح لبعض هؤلاء يد طولى فى مجال الموسيقى الشرقية ، فيهم الملحن المبدع وفيهم المغنى البارع ، وهذا ما لمسناه بصدق من تلك الفقرة التى ضمت الموسيقى المغربية العصرية . والتى أوضحت مدى مصداقية هذا التفاعل الحسى الرائع .

أما النهر الموسيقى الثالث ، فتمثل فى مجموعة (تاكادة) هذه المجموعة التى تشكل نموذجاً للظاهرة الفنية الجديدة بالمغرب ، إذ أنه مع بداية السبعينات عرفت الأوساط الموسيقية فى المغرب ظاهرة فنية جديدة ، تمثلت فى (فرق الأجيال) انطلقت بظهور جماعة (ناس الغيوان) ثم تلتها فى الظهور مجموعات أخرى كجيل جيلاله وفرقة المشاهب وتاكادة وجيل الصحراء .

وكان قوام هذه المجموعات عناصر شابة ولجت الى عالم الغناء والموسيقى بدوافع شتى .

وكان الاعتماد الأساسى والأول لهذه الفرق يقوم على القصائد الملحنة سابقاً ، تعتمد كل مجموعة فى غنائها لهذه القصائد على طريقة مختلفة عن الفرق الأخرى ولقد استعملت هذه الفرق الآلات الموسيقية التقليدية مثل البندير والطبل والدعدوع ، وأضافت اليها آلات مستحدثة كالجيتار الكهربائى والبانجو .

وتعتمد هذه الفرق الغناء الجماعى الذى يمثل الوحدة والمشاركة والتمازج ، كما تعمد الى الغناء فى طبقات صوتية عالية شديدة الحدة والقوة ، والى جانب القصائد الملحنة والمغناة ، عملت فرق الأجيال ومن بينها مجموعة تاكادة على تطوير نص الأغنية المغربية ، وخرجت على الجماهير بموضوعات جديدة وشيقة ومعبرة عن الواقع المغربى بكل ما فيه من أصالة ووعي حسي لدى الفئات الاجتماعية.

واستطاعت هذه الفرق أن تحرك وجدان الشباب المغربى من خلال المضامين الشعرية التى تطرحها والتى تعبر بصدق عن إحساس هذا الشباب الواعي بالقضايا المصيرية للوطن العربى وبقضاياه المعيشية .

وأخيراً من خلال هذا النموذج للفرق التى تمثل الظاهرة الفنية الجديدة فى المغرب ، نستطيع أن نقول ان كل الأسلاك والحواجز والحدود لم تستطع أن تمنع التفاعل الصادق والمؤثر بين المشرق والمغرب ، هذه الأسلاك ، هذه الحدود التى وضعها المستعمر الباغى لم تستطع أن تقطع التواصل الفكرى والنفسى ، هذا التواصل الذى جسده هذا الأسبوع بكل فعالياته من عروض مسرحية وموسيقية وفنية تشكيلية وكتب ..

هذه الحدود لم تستطع أن تقتل الاحساس فينا نحن العرب ، وتحجب عنا هذا الفن العربى الممتع والأصيل .

وأتمنى أن تظل عرى الصداقة والتواصل ممتدة من مشرقنا الى مغربنا ، لتجسد للعالم حقيقة حية أمامنا تقول : اننا برغم الحواجز ، استطعنا أن نتعلم القفز واستطعنا أن نمد الجسور لنصل ما انقطع .

سنان المسلمانى

قصـــة قصـــيرة

حفنة نور

بقلم: إبراهيـم أصـــلان

النور انقطع فجأة على أم عبده وهى قاعدة تتفرج على التليفزيون . أم عبده اترعبت لأنها لا تخاف من شىء فى الدنيا مثل العتمة . ونزلت من على الكنبة ومشت خطوة واحدة ووقفت ، فى انتظار «أبو عبده» الذى كان عند جابر البقال . وعندما تبينت حقيف الجلباب عند الباب قالت :

«أبو عبده ؟»

أبو عبده قال : «أيوه» ودخل المطبخ . وهى وقفت لغاية ما سمعت يده وهى تنكش فى الدرج بحثاً عن الكبريت ، ورأت النور الخفيف وهو يأتى من الطرقة ، وراقبت خيال الفوطة المعلقة على المسمار وهو يكبر على الحصيرة ثم ينسحب على الجدار ويصغر أمام لمبة الجاز التى جاء أبو عبده يحملها بيديه الاثنتين . وأبو عبده رأى أم عبده وهى فى هذه الحالة وابتسم ، ووضع اللمبة على التليفزيون ومسح زجاجها بكفه وعلاها ، وسألها عن علبة الكبريت التى طلب منها أن تحتفظ بها وتنور لنفسها إذا النور انقطع ، وهى رجعت مكانها وقعدت على الكنبة وقالت إنها غلبت من عيال محاسن ابنتها الذين لا يتركون شيئا فى مكانه .

وأبو عبده سمعها وأخرج ورقة أسبرين من جيب الجلباب وهو واقف ، ووضع القرصين على لسانه وتناول القلة من جنب التليفزيون وأخذ شربة ماء وابتلعهما ، وقعد على الكنبة الأخرى ومد يده المسكة بالمسبحة على ركبته المثنية ، وركن الشمال على المسند ، وأخبرها أن أم حسين البقالة أعطته قبل الظهر ربع جنيه قديم ، وأنه أعاده الآن الى ابنها جابر ، وان جابر أخذه منه ، ولمس جانب فمه بأطراف أصابعه . وأم عبده سألته إن كان ضرسه لايزال يؤلمه وأبو عبده قال : «أه» .

ـ «طيب يا اخويا اخلعه» .

ـ أبو عبده هز دماغه وقال : «يا ستى» .

ـ «مادام بيوجعك» .

ـ «أنا لسه حاخلع واعمل يا أم عبده ؟»

أم عبده قالت ان كل الناس تفعل ذلك فى مستشفى الموظفين ، وان وجع ساعة ولا كل ساعة : «ولا انت يعنى عليك ذنب ، تفضل طول عمرك وانت تعبان منه ؟» .

ـ «لا طول عمرى ولا حاجة . أهو شوية كده وشوية كده لغاية الواحد ما يروح لحاله» .

أم عبده سكتت وفكرت فى أسنانهاالتى كانت تعوم وتقع فى فمها دون أى وجع ، وقالت : «أنا اللي سنانى خابت لوحدها» ، وأنها كانت ترميها من الشباك : «سليمة وزى الفل . النور اتأخر» .

ـ «زمانه جاى» .

ـ «يا ترى مقطوع عن الجامع ؟» .

ـ «أه» .

ـ «ومحاسن ؟» .

أبو عبده قال : «يمكن عندها» ، وقال ان العيال لم يظهروا ، لم ير أحداً منهم . لكن أم عبده قالت ان الولد وليد كان هنا .

ـ «إمتى ؟» .

ـ «وانت نايم» .

وأخبرته أنه قعد هنا وقال : «هاتى شلن يا ستى» أخذه وهبد الباب وراءه وخرج . أبو عبده ابتسم وقال ان هذا الولد بالذات يذكره براشد الذى كان فى البلد : «فكراه يا أم عبد الرحيم ؟» .

أم عبد الرحيم عدلت جسمها على الكنبة وقالت : «فكراه قوى» ووصفت له جلبابه المقطوع وطاقيته المدورة ، وقالت انها كانت تجرى وراءه هى وأولاد يحيى وأولاد دبور يعاكسونه من عند دار الطناحى لغاية سيدى علي الشمبابى . أبو عبده هز دماغه وقال : «سبحان الله» ، وأخبرها أن راشداً هذا كان يقف امام باب سيدى علي ويهمس فى خرم المفتاح ويقول : «واد يا على ، سلام عليكم ، افتح يا واد ، أنا راشد» ، وحينئذ كان باب الجامع المقفول بترابيس النحاس من الداخل يفتح من الناصيتين ، وراشد يدخل ينام ، والباب يقفل من ورائه .

ـ «ده من عيلة اللبودى يا أبو عبده» .

ـ «عارفه ، وعارف ولاد عمه كلهم . ارضهم كانت على المصرف البرانى» .

ـ «شوف الدنيا . يا ترى راشد مات يا أبو عبده ؟» .

أبو عبده قال : «تلاقيه مات من زمان» .

أم عبده مصمصت بفمها الخالى وقالت : «يا دى الخيبة على حكاية النور دى يا اولاد . يا ريتك يا أبو عبده لما أموت توصل لي سلك بلمبة فى التربة» .

ـ «إزاى الكلام ده ؟» .

ـ «تعرف ، ولو أسبوع واحد» .

أبو عبده كان أول مرة يسمع كلاما بهذا الشكل ، وقال : «دى تضرب يا وليه» .

أم عبده قالت : «أبداً ، والنبى ما يجرى لها حاجة» .

أبو عبده سكت وتهيأ له أن اللمبة لن تضرب : «صحيح ، إيه اللي يخليها تضرب ؟» . لكن مع التفكير عقله راح ناحية الملكين والحساب واستغفر ربنا ، وهرش رجله الشمال وبدا له أن الموضوع غير ممكن ، وقام من على الكنبة ودخل المطبخ وأتى بعدة الشاى . وأم عبده رجعت تقول انه يقدر يأخذ وصلة سلك من عند عبد الخالق الحانوتي ، ويشترى لمبة بربع جنيه ودواية : «يعنى عمرها ما تتكلف خمسين قرش ، ولا يمكن أربعين . أسبوع لغاية بس ما اخذ على الضلمه» .

أبو عبده وضع السكر فى الأكواب وهو يقول لنفسه : «وصلة إيه يا اخويا ؟» . وفكر ان السلك بعد تركيبه فى المقبرة لابد يردم عليه ، ويخرجه من تحت الأرض ويوصله بالفيشة عند عبد الخالق فى الناحية الثانية ، وممكن يتعرى من الرطوبة ، وممكن يدوس عليه أى واحد ويتكهرب : «ده يموت ، وتبقى دوشه» ، وأشعل وابور السبرتو ووضع عليه البراد ، ومد لها يده بعلبة الكبريت وطلب منها أن لا تضيعها هذه المرة ، وأم عبده أخذتها منه ووارتها تحت المسند ، وقالت ان أولاد محاسن شياطين ، لا يتركون شيئا فى مكانه ، أبداً .



كان من ضمن معروضات المهرجان ، مصحف سيدنا عثمان رضى الله عنه ، الذى يقال انه استشهد بجانبه .



سجادة صلاة تعكس التراث الحضارى الاسلامي ..



رئيس الوزراء التركي «بلند اولوسو» يفتتح مهرجان الفنون الاسلامية فى اسطنبول

أضخم مهرجان للفنون الإسلامية في اسطنبول

اسطنبول : خاص بالدوحة

تشهد تركيا ـ وعلى مدى خمسة شهور ـ مهرجانا للفنون الاسلامية يأتى ضمن احتفالات العالم الاسلامى بمقدم القرن الهجرى الخامس عشر .

وقد افتتح المهرجان فى اسطنبول السيد «بلند أولوسو» رئيس الوزراء التركى فى العشرين من ابريل بحضور السيد الحبيب الشطى الأمين العـــام لمنظمـة المؤتمر الاسلامى والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية وعدد كبير من المدعوين يمثلون الدول الاعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى (٤١ دولة) .

ويشتمل المهرجان على معرض «للأمانات المقدسة» ويقام فى قصر «توب كابى» ويقال ان هذه الأمانات هى من اثار الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام وتشتمل مما تشتمل عليه خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته الى المقوقس حاكم مصر ، وبردته وعلم اللواء الشريفة ، واشياء اخرى .

ويقام فى نفس القصر معرض للأدوات المتعلقة بالعبادات مثل المصاحف وكراسيها وشجاجيد الصلاة التى كان يستخدمها السلاطين العثمانيون ، والمسابح واوانى الوضوء وغيرها . ومن المصاحف المعروضة «مصحف عثمان» رضى الله عنه والذى يقال إن سيدنا عثمان كان يقرأ فيه عندما استشهد .

وفى اماكن اخرى من المبانى والمساجد والقصور الاسلامية فى اسطنبول التى كانت اخر عاصمة للخلافة الاسلامية ،



مهرجانات أثناء حفل افتتاح معرض الفنون الاسلامية فى قصر «توب كابى» باسطنبول



خزينة ذهبية كان يحفظ فيها السلاطين العثمانيون المقتنيات النادرة





نماذج من الفنون المعدنية والخشبية الاسلامية

أقيمت معارض للخزف الاسلامى والسيراميك المعاصر ومعرض للسجاد والبسط ، ومعرض لفن الخط والأدوات التى كانت تستعمل فى الكتابة ، والمخطوطات ، والمنمنمات والفرامانات السلطانية . كما تم افتتاح معرض آخر للفنون المعدنية والخشبية الاسلامية الى جانب معرض بالصور للآثار العمرانية والفنية بالعالم الاسلامى .

وقد أقيمت قبيل المؤتمر ولمدة أربعة أيام ندوة حول «المبادىء والمكونات المشتركة فى الفن الاسلامى» حضرها عدد كبير من رجال الفكر والثقافة والأدب فى العالم الاسلامى ، وقد افتتح هذه الندوة السيد «الهان اوليا اغلو» وزير الثقافة والسياحة التركى وبحضور السيد الحبيب الشطى ، الأمين العام للمؤتمر الاسلامى .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هذا المهرجان يقام بالتنسيق بين الحكومة التركية ومنظمة المؤتمر الاسلامى ومركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية فى اسطنبول والتابع لمنظمة المؤتمر الاسلامى .

إنه مهرجان كبير تعيشه تركيا المسلمة بقلبها وجذورها وتاريخها وخاطرها ومستقبلها ، ليحكى جانب مضيئا من جوانب الحضارة الاسلامية التى شعت بنورها على تركيا والعالم الاسلامى وجانب من أوربا لقرون طويلة ، ومازالت تشرق باشعاعاتها على الانسانية جمعاء والى أن يشاء الله .

مفيد فوزي .. يحاور :

د. سهير القلماوي

طه حسين : كان يحرضني على الشجاعة!



د. سهير القلماوى .. أستاذة الجامعة التى كان حلمها يوماً أن يصبح فى كل بيت مكتبة ، فيها كتب رخيصة الثمن ، انيقة الطباعة !

كنت أنطوى على احترام شديد لها ولازلت .

ولم أكن فريداً فى هذا الاحساس . كانت هى ولاتزال دائماً فى حدقات العيون . ربما لشخصيتها المتزنة . ربما لريادتها ، فهى واحدة من جيل سبق عصره ودخل الجامعة . ربما لأنها كانت تلميذة لعميد الأدب العربى د. طه حسين .

لكنى كنت أنطوى على احترام شديد لها ، عبرت عنه مرتين :

● مرة ، وأنا طالب بالجامعة ، ذهبت أسألها عن الكتب التى يمكن لدارس الآداب أن يستعين بها اذا أراد احاطة بالأساطير الشعبية فلسفتها ، وعمقها ، ومدلولها !

● مرة ثانية ، عندما ، ذهبت أسجل برنامجاً للشاشة الصغيرة عن «القمم العربية» فى الفكر والفن ، وكانت متواضعة وكأنها لم تبرح مقعدها فى مدرج ٧٨ بكلية الآداب وهى شاردة يرن فى أذنها صوت المحاضر العظيم طه حسين !

وكلما قابلت الدكتورة سهير القلماوى . شعرت أنها «الأستاذة» . فهى تعطينى هذا الشعور بشدة . ملامح وجهها . صوتها . طول قامتها . انصاتها . عقلها . تواضعها الجم !

وكثيراً ما تصورت أنى سأقرأ يوماً اسم «سهير القلماوى» فى أى تشكيل وزارى . وكنت أحسب أن تصورى سيسعدها فاكتشفت أنها لا تعشق المناصب . وإنما أعظم «مواقعها» فى العمل العام هو : أستاذة الجامعة .

وهذا حقيقى ، إن مبعث فخر الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى انها «أنجبت» جيلا من التلميذات ، تبوأن المناصب فى عواصم عربية ، يشعرن بالأمومة والانتماء للجامعة .



قالت الدكتورة سهير القلماوى ان استاذها طه حسين كان يحرضها على الشجاعة ، وتعلمت منه معنى الالتفات الى العقل !

حين طلبت «محاورة» الدكتورة سهير القلماوى . قالت لي بأدب هامس :

ـ ما الموضوعات التى سوف تطرحها للنقاش ؟!

وأدهشنى السؤال ، فقلت لها تليفونياً : موضوعات أدبية بحتة .

قالت د. سهير القلماوي : أحب أن «أستعد» للحوار . أحب أن أكون عارفة حاتكلم فى إيه !

وأدركت أن سهير القلماوى مخلصة لأسلوبها فى الجامعة إنها «الأستاذة» دوماً . تحب أن تستعد لموضوع ما ، سوف تتحدث فيه . إنها لا تفضل الثرثرة ، لمجرد الثرثرة ! إن سهير القلماوى تريد أن تضيف لقارئها أو سامعها شيئاً ، فاذا اكتشفت أنها لن تضيف كفت عن الحديث واعتذرت !

ولما قلت للدكتورة سهير القلماوى اننا سوف نتحدث عن أستاذها العميد د. طه حسين ، شعرت بسعادة . وظهرت السعادة فى رنة صوت الدكتورة .

وكان بيننا «مسجل صوت» ، وظيفته أن يلتقط كل كلمة ، حتى الهمهمات والسكنات .. والهمسات ، فان سيمون دى بوفوار تقول عن زوجها الراحل سارتر ، «ان همسته او صمته أو همهمته أو حتى سعاله المفاجىء ، له مغزى . انه يسيطر جيداً على عقله ويعرف كيف يجيب على سؤال ما . إن كل صوت يصدر منه هو إجابة» !

وقد حرصت أن أترك المسجل يعمل بلا توقف ، لأحصل على اجابة سهير القلماوى عن كل سؤال طرحته !

ولكن أسلوب «السين والجيم» ، أسلوب تقليدى عند الحوار . فما يهمنى هو أن أنقل أفكار د. سهير القلماوى . وكان جون جنتر ، واحداً من أعظم المحاورين فى دنيا الصحافة يقول «اترك لقارئك يتصور سؤالك انه يحب أن يشترك فى لعبة الحوار . ان اشراكه معناه دخوله حلقة النقاش فلماذا لا تجعله يستمتع بخياله الخاص» !

ولست أقلد جون جنتر ، ولكنى أريد أن أقدم لكم ـ عبر حوار ـ مع الأستاذة خلاسة أفكارها .. ومنهجها .

تذكرت ـ فجأة ـ أننى قبل زيارة د. سهير القلماوى فى بيتها الهادىء فى ضاحية المعادى أحد ضواحى القاهرة الغارقة فى الصمت والهدوء .. انى «تسلحت» ببعض آراء عن الدكتورة ، لعل هذه الآراء ، تتحول الى جسور حوار ، أمدها .. لأفهم عقلها ومنهجها أكثر .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير من أوائل من «تمردن على غرفة الصالون» فى البيت العربى .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير كان مقدراً لها أن تصبح دكتورة طبيبة وليست دكتورة فى الأدب ، لكن خط مسارها تغير !

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير القلماوى وجه عربى ، فقد كانت فى وقت ما ، رئيسة لاتحاد النساء العربيات .

مثلا : عرفت أن الدكتورة سهير القلماوى اشرفت يوماً ما على الكتاب وكان حلمها أن يصبح فى كل بيت مكتبة ، فيها كتب رخيصة الثمن ، أنيقة الطباعة .

حينما جلست فى غرفة مكتبة الأستاذة قالت لى وكأنها ترد على تساؤل جال بخاطرى ... «قلت لنفسى لما اتجوزت ، مفيش حاجة اسمها صالون . فيه غرفة مكتب وغرفة معيشة واللي يحب يقعد معايا فى مكان زى ده ، أهلا وسهلا واللي مش عاجبه ، بلاش يزورنى ! فكرتى باختصار ان الجمال عندى وظيفى يعنى المكان اللي له وظيفة يبقى جميل ، لكن الصالون رمز للاستعراض ، وأنا أكره هذا الأسلوب . أنا فخورة بعدد الكتب فى بيتى أكثر مما أفخر بنوع السجاد الذى يغطى أرضية بيتى ، أو نوع الكراسى التى تزين الصالون» !

تستطرد الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى ، وكأنها تؤصل تفكيرها :

ـ «والدتى تعلمت فى مدارس الجاليات تعلمت اللغة الفرنسية واللغة الايطالية . وكان جدى رجلا متحررا بالنسبة لجيله ، فلم يكن يزوج بناته قبل سن العشرين . كان يرفض الزواج المبكر ويعتبره مأساة أسرة صغيرة ! فى طفولتى لم أعرف فرقاً بين الرجال والنساء وربما كان هذا مدخلا



د. سهير القلماوي

طه حسين: كان يحرضني على الشجاعة!

نفسياً طبيعياً لي عندما دخلت الجامعة ، فانا لم أرتبك مطلقاً أمام تجربة الاختلاط . لم اشعر أن هناك «حاجة غلط» . ولذلك مرت سنوات الجامعة بيسر شديد ، واكتسبت خبرات هامة في وقت متقدم . وتفتحت مسام ذهني . ومن هنا ، عرفت الجدية والالتزام والمسئولية في وقت كانت بنات جيلي غارقات في اللهو والمرح ! لعلك لا تعلم مثلا أن أمي شركسية والدها كردي وكانت القسوة سمتها الأساسية ، انني اتذكر انني دخلت الجامعة ولم يكن مسموحا لي أن أزور او أزار ! كانت تتصل بالجامعة في الثانية ظهراً لتسأل بلهجة حاسمة «البنت مارجعتش ليه ؟؟ وكان أبي هو نافذة الحرية . كان طبيباً يحلم بأن أكون مثله طبيبة ، ولكني لم أعشق مهنة الطب وكنت دائما أعتقد أنها مهنة يناسبها «تكوين» خاص ! وقد كان من الممكن أن أصبح طبيبة لولا الدكتور طه حسين الذي ذهبنا اليه للاستشارة في مستقبلي ، فاشار علي دخول قسم اللغة العربية بكلية الآداب وتغير مساري ! » .

تقفز الدكتورة سهير القلماوي فوق السنين ، وتتوقف عند « القيم » التي استفادتها من لقائها الفكري بالدكتور طه حسين :

« أول قيمة اذكرها جيداً هي الصلابة . ولو لم يكن طه حسين صلب الارادة لما وصل الى المكانة التي وصل اليها . كان يقول بصوته المميز الرنان « حنبقى ضعاف ليه » وكنت أحس أنه يحرضني على الشجاعة . كان د. طه حسين يقول « الحياة مواقف ، والأديب موقف والمشتغل بالفكر موقف » وكنت احس انه يبذر في أعماقي أهمية الشعور باتخاذ المواقف . تعلمت من طه حسين التمسك بالحق . كان يقول « من لايتمسك بحقه ، يفرط في نفسه » . وتعلمت أن الاعتراف بالخطأ فضيلة ، بل أهم الفضائل لأنها تنم عن تواضع مع علم . تعلمت معنى الالتفات لعقلي ، فانامن جيل كان يطل عليه عمالقة كطه حسين ولطفي السيد وكانا يؤمنان بتعليم البنت لانه « سياج حقيقي لكيانها » .

تعلمت من د . طه حسين أن الجامعات لها مكانة سامية . كان يقول «إن اهم جامعات في أوربا اصلها كنائس ، وان الرواد في مصر والعالم العربي ، ذاكروا في الجوامع وكان يركز على أهمية المعهد العلمي والجامعة وكيف انه مرادف للجدية والاحترام ولعلك لا تعلم ان د . طه حسين كان اذا دخل مدرج الكلية ، شعرنا بهيبته . كانت نظرته الى أعلى تقول لنا « هذا مكان عقول ولابد لها من السمو » . كنت أحس أن د . طه حسين يتمتع بالبصيرة ، وان حرمته الاقدار من .. البصر . ربما لا تعلم أن د . طه حسين هو صاحب فكرة رسالة الدكتوراه التي قدمتها ، وكان الموضوع : الف ليلة وليلة ! ومن المهم جداً أن نتوقف عند سؤالك الاعتراضي هذا .. هل طه حسين مفكر أم أديب ، أم فنان ؟ في الواقع ، أنا أراه أديباً فناناً ، لقد كان تكوينه مميزاً وفريداً . لقد بدأ حياته رجل الأزهر الذي اتقن اللغة ولا شك ، وكان نطق طه حسين للكلمات له رنين خاص . وعندما سافر طه حسين الى فرنسا ، انفتح عقله على عالم فكر لا حدود له .. وقرأ « ديكارت » وفهمه وهضمه . ثم تعمق في ابن خلدون . كان يجتذب العميد أمور الفكر ربما أكثر من أمور الأدب » .

●

طه حسين الانسان والفنان والاديب ، بعدسة مكبرة للدكتورة سهير القلماوي ..

« طه حسين ، ولابد ان تضع الضمة على حرف الحاء . كانسان جياش العاطفة ولاشك ، وتعلقه بزوجته كان وطيداً ، ولكن كانت هناك « ثغرتان .. »

١ ـ الأولى : انه كان يرى الحياة من خلال زوجته السيدة الفاضلة سوزان . فقد كانت كما يصفها « نور عينيه » . فالنظرة لم تكن مصرية خالصة . وكان هذا يعكس عن العميد الكثير من القيم . لم يكن «متفرجا» ولكن نظرته للأمور على أي حال ، لم تكن نظرة « عربية » .

٢ ـ الثغرة الثانية : تاثر د . طه حسين باراء السيدة العظيمة زوجته وضع مائة خط تحت كلمة العظيمة .. لانها الواقع . فكونها سيدة فرنسية لا يعيبها ، ولكن هذا أعطى للدكتور طه حسين مزايا وعيوب .

● التليفزيون لم يحجب الكتاب!

● كانت في حياة عميد الأدب ثغرتان!

● تعلمت من طه حسين الصلابة والتمسك بالحق والاعتراف بالخطأ !

● تقييد الغرائز مطلب إنساني !

مزايا الانفتاح على الثقافة ، يعني السيدة سوزان كانت تقرأ لطه حسين حتى سن الستين .. وتلخص له الكتب ولا اظن ان هناك زوجة مصرية قادرة على هذا باي حال ، بل لا اعتقد أن هناك مصرية ترضى بالزواج من رجل ضرير الا نادراً !

لقد سكبت السيدة سوزان في وجدان زوجها الراحل « القيم المادية الغربية » ولم يكن هذا عيباً ، بقدر ما كانت النظرة اليه بعين مصرية ، خطأ ! انا مثلا ، لم يكن مستساغاً لي كتلميذته ان يعود لجريدة كوكب الشرق بعد أن اختلف معها بشدة وكان الخلاف فكرياً . ولكن عاد لامور .. مادية . ان أي سيدة عربية او مصرية تصمد جيداً اذا اضير زوجها لسبب او اخر ، ولكن مدام طه حسين لا تتحمل الخسارة !

●

عندما قلت للأستاذة الدكتورة سهير القلماوي أن هناك قولا يرى ان « القاهرة هي مركز الأدب والعراق مركز القراءة ولبنان مركز الطباعة » قالت بهدوء :

– فى القول شيء ما من الحقيقة . لكن اخاف ان نركن الى هذا الكلام . القاهرة في قلبي وقلوبنا جميعاً ، ولكننا فى الواقع لا نشعر أن هناك منحدراً خطيراً يجب أن ننتبه له !

١ – المنحـــدر ، أن الكتـــاب فى مصر ، مخنوق ، واسمح لي ان افكر امامك بصوت عال « امتنا ، لا تقرأ » ! وهذه عملية غير طبيعية ، واذا كانت العراق تقرأ وسوريا تقرأ ولبنان تقرأ ، فنحن شعب غير قارىء ! ولعلك تريد تاصيلا لقولى «امتنا لا تقرأ» أن اسلوب التعليم في بلادنا خطأ . وعلاقة التلميذ في المدارس بالكتاب خطأ . وعلاقة الكبار بالكتاب خطأ . وغير صحيح ان التليفزيون هو الذي حجب الكتاب . من الممكن أن يرشد التليفزيون الناس للقراءة .

٢ – المكتبة في حياة البيت العربي لا تأخذ « ركنا » صغيراً فيها . والتليفزيون ومن بعده الفيديو ، يأخذ أهم مكان . انها النظرة للكتاب والكلمة والحرف التليفزيون يمكن توظيفه في شعوب العالم الثالث بشكل أمثل : في التربية في نشر التذوق . في محو الأمية . في الترويج لموسيقى افضل .

●

القراءة عند د . سهير القلماوي « حب وهواية » . والموسيقى عندي غذاء وخبز . ذوقي في الغناء يتمركز في فيروز وأم كلثوم تسالني عن مفهومي للسياسة اقـول لك « الاحساس بالمجتمع . بمشاكله اليومية البسيطة » . يجب ان نحيا في عصر «الالتفات للمجتمع» . يجب أن نشد الانتباه للعطاء الاجتماعي ، فهو بحق صميم العمل السياسي . ثلاثة ارباعنا . مغلق على نفسه وماشي جنب الحيط ، وهذا منتهى السلبية لازم أعرف المجتمع المحيط بي . لازم الوطن العربي يتعرف على نفسه جيداً . لابد أن يحيط الانسان بكل ما في عصره من قيم ومصطلحات . اننا في عصر الثقافة ، والتخلف معناه الموت الأدبي .

●

أزمة فكر . هل نعاني – يا دكتورة – ازمة فكر ؟

الأستاذة ترد : نعم هناك ازمة فكر ، واعتقد ان الكتاب في اوربا لا زال يتحسس طريقه . لو تلاحظ بمرصد واع الانتاج العالمي للكتب سوف تكتشف ان هناك اتجاهاً خطراً في تاليف الكتب . الاتجاه ان الساسة يكتبون مذكراتهم وهي ان الرجل العظيم يكتب تجربته لكي تصبح فيلماً في السينما . هذا ليس فكراً خالصاً لوجه الفكر خذ مثلا « ترودو » رئيس وزراء كندا . انني اقرأ سيرته الذاتية انني اشعر انها مكتوبة كأدب سينمائي عبارة عن مشاهد حياة وليس عمق تجربة انسانية تضاف الى ثراء السير الذاتية .

●

للدكتورة سهير القلماوي راي هام . «لست أدري اين المفكر الذي يرصد حركة المجتمع الآن . أين الكاتب الذي يبشر بالقيم الأصيلة النابعة من الاسلام . يجب الا نحكم على المجتمع ببعض مظاهر قشرية على سطحه . المجتمع هو السواد الأعظم من الأمة ، وهو في نظري بخير . فالمراة أساساً طهارة وترفع عن الانقياد وراء الغرائز ، والانسان الذي لا يقيد غرائزه لا يستحق أن يسمى انساناً . هذه قيود نحبها ونقدرها ونقدمها بايدينا لانفسنا لانها عنوان انسانيتنا .

قلت للدكتورة سهير القلماوي

– ما ازمة جامعاتنا ؟

قالت بصراحة شديدة : ازمتها مجانية التعليم بلاجدال !

قلت بسرعة : عودة لطه حسين ! ؟

قالت الاستاذة : طه حسين قال مجانية التعليم في مرحلة « الثانوي » وانا معه ، انما مجانية في الجامعة : لا !

قلت لسهير القلماوي : ما علاقتك بالاذاعة اعرف انك تحبين هذه القناة ؟ قالت : الراديو ، هو فن الهمس المسموع . الراديو يصل لكل الناس . وانا كنت اقدم احاديث اذاعية كل يوم ثلاثاء على الهواء مباشرة وكنت اشعر بمدى « الاتصال » بيني وبين الناس .

سالت د . سهير القلماوي : متى قـرص د . طه حسين اذنك بنصيحة ما ؟

قالت ضاحكة : قال لى مرة بحدة « الأدب يحتاج لتفرغ مش تنطيط بين الاذاعة والصحافة . الادب مشوار كبير ... » .

قلت لسهير القلماوي : ماذا اضافت اليك تجربة العمل العام .

قالت : التجربة اعظم سياج للانسان . الرؤية . الناس .

قلت لسهير القلماوي : أسمع صوت عصافير ...

قاطعتني وقالت : هذا هو الطائر الوحيد الذي أحبه .. مثلما تحبه حفيدتي .

قلت لســـهير القلماوي الحـــوار معك قصير مهما طال ...

وصمتت الأستاذة خجلا ...

وشعرت انى كنت في ضيافة عقل عربي لا يعترف بتاء التانيث !

« مفيد فوزي »

زيلوس

كوكب الغيرة

قصة بقلم:
الدكتور عبدالسلام العجيلي

هذه قصة حدثت فى المستقبل ، ربما عسر على القارىء فهمها أو أدرات رأسه وقائعها ، الا انه لا حق له فى عدم تصديق هذه الوقائع لمجرد انها لا تخضع لمسلمات علمية متعارف عليها فى عام ١٩٨٣ للميلاد . على القارىء ان يتذكر ان احداث هذه القصة تجرى ، ليس فى ايامنا هذه بل فى أيام آتية ، فى العام الميلادى ٢٠٨٣ .

« ... فى أول توجهي اليكم ، فى اجتماع دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم هذا ، لابد من ذكر المبدأ الذى انطلقت انجازاتنا من تطبيقه ، على الرغم من معرفتى بان ما اقوله هو من بديهات تفكيركم . المبدأ هو ان الفرق بين المادة والطاقة هو فى الحركة وفى سرعة الحركة . فالمادة طاقة ساكنة ، والطاقة مادة متحركة ... ليس كل حركة بل الحركة التى تبلغ سرعتها أو تتجاوز هذه السرعة رقماً اعتقد اسلافنا الأولون ، حتى نهاية القرن الفائت ، القرن الميلادى العشرين ، باستحالة بلوغه . واعني بهذا الرقم مقدار سرعة الضوء البالغة مائتين وتسعة وتسعين الف كيلومتر وسبعمائة وثلاثة وتسعين كيلومتر فى الثانية فى الفراغ .

طريق الوصول من المبدأ الى التطبيق واضحة . اسلبوا موجة الضوء حركتها اجعلوا سرعتها صفراً أو ما يقارب الصفر ، تتحول فوتاناتها حينئذ الى مادة . الى مادة ملموسة . وبالمقابل اعطوا المادة التى تختارونها سرعة ٢٩٩ ٧٩٣ كيلومترا فى الثانية تتحول تلك المادة عندها الى اشعاع ربما الى نور غير مرئى ، أعنى الى طاقة مشعة يمكنكم بثها الى أى مكان تريدون .

نحن فى هذا الزمن ، فى أواخر القرن الواحد والعشرين وفى عام ٢٠٨٣ على التحديد ، قد فعلنا هذا . لقد حولنا المادة الى اشعاع ، ثم استطعنا أن نعيد تحويل الاشعاع فنرده الى مادة ، وذلك عن طريق سيطرتنا على عامل السرعة سلباً وايجاباً . ونتيجة لتوصلنا الى عملية التحويل المزدوج هذه قدرنا على أن نقوم بترحيل ما نريده ومن نريده ، بسرعة لم تكن تخطر على بال الأوائل ، ترحيلا بين الكواكب السيارة ، ثم بين النجوم الثوابت ، فى سبيلنا الى الاسفار بين المجرات وهذا ما عجز أسلافنا عنه ، فى القرن الفائت وما قبله ، بل ما حكم أولئك الاسلاف بانه مستحيل الامكانية والتحقيق .

لماذا عجز الأولون عن هذا وهم قد عرفوا تلك المبدأ مثلنا وقبلنا ؟ نعم إنهم عرفوه . بل انهم طبقوه ، وان ظل تطبيقهم له محدودا . طبقوه على المادة ذات البعد الواحد ، فحولوا الصوت الى امواج كهرطيسية بثوها فى الأثير بسرعة النور فى الاذاعة الصوتية ، أو ما كانوا يسمونه الراديو . وطبقوه على المادة ذات البعدين فيما سموه التلفزيون . حولوا الصورة واللون فى اجهزة التلفزة المرسلة الى امواج معدلة ، كهربائية مغناطيسية ، تتلقاها اجهزة مستقبلة لتردها الى صور والوان . فعلوا كل هذا وتوقفوا . عجزوا عن تحويل المادة المجسمة . المادة ثلاثية الأبعاد ، الى اشعاعات قابلة للبث والارسال ... لماذا ؟

ربما كان عجزهم لأنهم افتقدوا الشجاعة على المضى فى الطريق الى نهايته . والأصح لأنهم وقعوا فريسة تضليل فئة قصيرة النظر والادراك من العلميين كانت تؤمن بقيم مطلقة عصية على البلوغ والتجاوز . سرعة الضوء ، وهى ٢٩٩٧٩٣ كيلومترا فى الثانية ، كانت عندهم قيمة حدية نهائية لايمكن الصعود فوقها . درجة الحرارة ـ ٢٧٣,١٥ مئوية تحت درجة تجمد الماء المقطر كانوا يسمونها الصفر المطلق ويعتبرونها قيمة حدية نهائية لايمكن النزول دونها ، تلك القيم التى توهموا استحالة تجاوزها كانت اغلالا

كبلت ايديهم وعقولهم وحالت بينهم وبين متابعة البحث المؤدى الى السفر بين الكواكب ثم الى التجول بين المجرات . كان اكثر ما افتخروا به وتشدقوا هو نزولهم على تابع أرضنا الصغير ، القمر ، الذى لايبعد عن منازلهم الا ٣٨٤٥٥١ ثلاثمائة وأربعة وثمانين الف كيلومتر وخمسمائة وواحد وخمسين كيلومترا ....

اعرف أن صغار ابنائنا ، الذين يروننى الآن على شاشات منصاتهم ، يضحكون من افتخار اسلافنا بنزولهم على القمر ، لابد أن نعذر هؤلاء الصغار فى ضحكهم ، فقد فتحوا اعينهم على أسفار منظمة لمؤسسة الترحيل بين النجوم ننقل بها الباحثين ثم الزوار الى فوبوس وديموس ، قمرى المريخ الصغيرين ، والى مستعمراتنا القائمة على سطح كوكب الزهرة . اسفار لم يحلم بها الأولون لانهم ما تمكنوا من الوصول الى الطريقة الصحيحة للترحيل ، اذ عجزوا عن التحكم بالسرعة تحكما يتيح لهم تحويل المادة الى اشعاع ثم رد الاشعاع أو الطاقة ، الى مادة . وها أنا الآن اعلن لكل من يلتقط كلماتى باذنية أو يقراها على شاشة منصته ، عن افتتاح جدول السفر التابع يابيتوس ، العاشر من اقمار الكوكب زحل . من هناك ، من مخبر الاستقبال فى دائرتنا على ذلك التابع ، ، تنظيم الرحلات الى الحلقة الأولى من نطاق زحل ، وبعد عبور شق كاسينى الفاصل بين الحلقتين الأولى والثانية من ذلك النطاق يمكن القيام بجولة تصل الى سطح زحل نفسه ...

اعلن هذا اليكم الآن من منصتى فى دائرة الابحاث لاننا فى هذا اليوم ، وفى هذه الساعة ، نقف فى منتصف النافذة الزمنية التى منها يمكن الولوج الى عالم زحل . تعرفون ، أو يعرف من له علم منكم بمبادىء الاسفار فى الفضاء بين الكواكب ، ان زحل يتم دورته حول الشمس فى تسعة وعشرين عاما من اعوامنا الارضية ومائة وسبعة وستين يوما . منذ نصف هذه المدة اعنى منذ أربعة عشر عاما ومائتين وستة وستين يوما ونصف اليوم ، كان زحل بنطاقه واقماره العشرة فى ذروة ابتعاده عنا وراء الشمس . وقد أخذ منذ ذلك الحين يقترب من أرضنا حتى أتم نصف دورته وصار فى هذا اليوم بالذات فى اقرب مواقعه الينا ، على بعد يبلغ ١,٢٧٢,٥٨٧,٠٠٠ ، مليار ومائتين واثنين وسبعين مليونا وخمسمائة وسبعة وثمانين الف كيلومتر . هذا البعد الذى يبدو شاسعا ليس كذلك بالنسبة لنا فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم . والاشعاعات التى نبثها ، سواء كانت أمواجا ضوئية أو مجردة أو مادة مجسمة حولتها اجهزتنا المرسلة الى فوتونات ، تقطع هذا البعد بمدة واحد وسبعين دقيقة ، تنقص اثنتى عشرة ثانية فى حالة ما يكون البث الى القمر يابيتوس وليس الى زحل ذاته .

ولكن زحل ، ابتداء من هذه اللحظة التى اكلمكم فيها ، سيزداد ابتعادا عنا باستمرار فى مداره حول الشمس ، الى أن يصبح بعده سحيقا بحيث يدركنا الجهد فى اللحاق به بعد ستة شهور . فالنافذة الزمنية التى يسهل علينا من خلالها البث المتكامل الى هذا الكوكب النائى لايتجاوز مداها العام الواحد . مضى من فترة هذه النافذة ستة شهور قضيناها فى تجارب كانت كلها ناجحة وبقى منها ستة شهور علينا أن نغتنمها لنبث فيها ، بشروطنا الخاصة ، ما نريد ومن نريد الى يابيتوس . والا فاننا سننتظر تسعة وعشرين عاما اخرى قبل أن تنفتح لنا النافذة التى وصفتها لكم .

بعد هذه المقدمة المبسطة سافصل لكم ما ياتى ....

— ٢ —

هذه المقدمة المبسطة كما سماها ملقيها ، وهو العالم هامان رئيس دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم ، هى مدخل الحديث الذى توجه به الى مستمعيه ، سواء الحاضرين منهم باجسادهم فى قاعة



الاجتماع الاهليلجية أو المتابعين له على شاشات اجهزتهم المستقبلة ، فى مدن الأرض وعلى قمر الأرض وفوق الاقمار الجيوستاتيكية حول الأرض بعد هذا المدخل جاء دور الأبحاث الرياضية الفيزيائية المعقدة التى كانت عناصرها ترسم على شاشات المشاهدة من قبل روبوتات الكترونية وعقول كهرضوئية يسيّرها ، كما يسيّر المايسترو بعصاه عازفى أوركستراه ، العالم هامان وهو واقف على المنصة بقده المشيق الفارع .

من تقع عينه على هامان مرة واحدة لاينسه ابد الدهر . رجل طويل مستقيم القد ، تنطق بفحولة مثيرة تقاطيع وجهه وارتسامات تكوينه . ويحار الناظر الى هذا العالم الطائر الصيت بين ابيضاض تاج الشعر الكثيف على هامته وبين حيوية الشباب المتفجرة فى نبرات صوته والطافحة من فتاء ملامحه ، فلا يعرف اى قدر من العمر يعطيه . عيناه الزرقاوان ، بقدرتهما البصرية الكاملة تومضان باشعة مباشرة لايبدو انها تمر باية عدسة لاصقة ، مما يؤكد ان الفتاء فيهما بيولوجى وليس مصطنعا . فى مظهره ، وفى سلوكه ، يبدو هامان النموذج المتكامل للبشرى العلمي ، لومو سايا نتيفيكوس ، العقلانى ، الذى تعالى عن المشاعر والقى الاحاسيس العاطفية فى الادراج المهملة من مكتبه . الا ان الذين يلازمونه فى عمله فى دائرة الأبحاث يعرفون له وقفات ، فى ادق لحظات التنفيذ التكنيكى ، توحى بانه يخضع فيها لخوالج شعورية قاطعة مسار تفكيره الرياضى وملقية ضباب السهوم على زرقة عينيه . ويرد المطلعون على سيرة حياته من رفاقه ومريديه تلك الوقفات الى زمن معين ، هو الزمن الذى فقد ثالثة واحدة من مرافقاته ... فقدها فى حادث مفاجىء لم تتنبا به نقاط التصالب لخطوط حساب الاحتمالات البيانية فى اربعة عقول كهرضوئية تعمل ليل نهار فى مكتب العالم هامان فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم .

منذ ذلك الزمن المعين ، المضبوط باليوم والساعة ، لم يشرك هامان فى حياته الشخصية امراة ، اية امراة . هل ذاك لانه تقدم فى السن ، فشاخ وعجز ؟ .. ما من احد من تلامذته ، ومن تلميذاته بصورة خاصة ، اعتقد بهذا . ومع ذلك فان هاتيك التلميذات يرينه قد أغلق باب مخدعه امام كل من سولت لها نفسها ان تاخذ بقربه مكانة مرافقته الثالثة . يحدث احيانا ان تظن واحدة من معاوناته الفتيات ، وكلهن يجمعن الى جانب الذكاء ومؤهلات المعرفة

زيلوس

كوكب الغيرة

الجمال الجسدى المتكامل ، يحدث احيانا ان تظن واحدة منهن ان رعايته لها تعنى القرب منه . فاذا بدرت منها بوادر تصرف موح بما تظن ابتسم لها هامان برفق ونقل مسار العقل الكهرضوئي الذى كان يلقمه بمعادلاته الى برنامج جديد يبحث فيه لتلميذته عن فتى من معاونيه تتوافق خطوط القوى فى شخصيته مع خطوط قوى شخصيتها ، فاذا وجده اشار لها اليه .. وربما اعطاها الرقم الحميم الذى ما ان تنقر به على لوحة الضوء على باب غرفة ذلك الفتى حتى ينفتح لها على مصراعيه مرحباً بقدومها ..

كان ذلك تصرف اشتهر به هامان عند اصدقائه وزملائه . والى هذه الشهرة ترجع الرسالة التى تلقاها هذا العالم عقب انتهائه من عرضه التاريخى عن خطة البث الى نطاق زحل وقمره العاشر كما قررتها دائرة الترحيل بين النجوم . انها رسالة وجهها اليه زميل قديم فى دائرة الضوئيات تقول كلماتها : « لم تات فى محاضرتك على ذكر لطريقتك التى سمعت بها واعجبتنى فى معاملة شباب هذا الجيل . الفتيات نسين الأنوثة ، والشباب معجبون بانفسهم. ارسل اليك سامارا ، ابنتى ، لعل احد عقولك الكهرضوئية يجد لها سعادتها ، فقد اعيتنى ياهامان ... » .

ـ ٣ ـ

كان الى جانب هامان ، عندما تبلغ تلك الرسالة مرتسمة احرفها على لوحة التخاطب امامه ، اقرب معاونيه اليه واشبههم به ، وهو الباحث رامي . قال رامي :

ـ هل عندك وقت تضيعه فى ارضاء نزوات آباء ضاقوا ذرعاً بسلوك بناتهم ؟ سامارا هذه ؟!

ابتسم هامان وقال : لعلك صدقت ما قاله زميلى القديم ! انها وسيلة لادخال ابنته الى دائرتنا . سامارا ، اعرفها منذ الصغر ، واعرف ما حوته التقارير عن مؤهلاتها حين شبت . ستنجح فى الاختبارات وستملأ شروطنا الخاصة .

هز الباحث الشاب رأسه كان شكا يخامره فى ما قاله استاذه العالم ، الذى كان له بمثابة الأب . حين يقف الاثنان ، العالم والباحث ، امام منصة التخاطب بعيد المدى يتبادر الى ذهن الرائى انهما حقاً اب وابنه . الطول واحد ، وتقاطيع الوجهين متشابهة . لابد ان المكونات الانسالية عند والدى كل منهما قد اخضعت لنفس الأساليب البيولوجية فى الاصطفاء والتوجيه ، وان كلا منهما ، قبل الولادة ، تلقى فى حبله السرى نفس كميات الأوكسيجين المشع . الا ان طرق التنظيم الولادى المتقدمة لم تمح كل الخصائص الشخصية للمورثات فى صبغيات خلايا تكوين الرجلين : فبينما بشرة العالم بيضاء موردة وعيناه زرقاوان واللمعة الذهبية فى بياض شعره توحى بشقرته قبل ان يشيب ، ترى بشرة رامي سمراء نحاسية وعينيه الواسعتين خضراوين ولمة رأسه الكثيفة فى لون الليل الحالك .

عاد هامان الى الكلام عن ابنة صديقه بعد ان انشغل لدقيقة او دقيقتين فى تتبع معادلات راحت تعرضها لعينيه شاشة أحد العقول الكهرضوئية ، قال :

ـ اعرف ما تطمح اليه سامارا . رغبتها ليست فى العمل فى دائرتنا هنا ، بل إنها تريد ان نرحلها الى مخابرنا حول زحل ، الى يابيتوس .

قال رامي بلهجة المستنكر لطموح هذه الفتاة التى لم يسبق له ان سمع باسمها :

ـ كانك رايتها قبل الآن يا هامان !

قال العالم : كلمتنى من مخبر ابيها ، امس . وهى الآن فى طريقها الينا .

وقبل ان يعقب رامي بكلمة سطع فى جو القاعة ضوء بنفسجي يشير الى ان قادماً قد اخترق نطاق المخابر العاملة . وبرزت ، بعد ثوان ، من المدخل ، سامارا وعلى شفتيها ابتسامة هادئة ، لا يرتسم على ملامحها اى انفعال ، مما يوحي بان التردد على معاهد الابحاث فوق العالية من مألوفاتها . صبية دقيقة الملامح ذات قد نحيل ، لا يبدو على تكوينها اثر التدريب الرياضى المنهجى والمعالجة الهورمونية الذى طبع افراد العنصر النسائى فى دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم بطابع موحد ، طابع التناسق الاندروجينى ، المسترجل . قال هامان للفتاة بعد ان رد على تحيتها بتودد :

ـ هذا رامي . سمعت بلاشك بأبحاثه . نحن ندين له بتحقيق فكرة القناة الوحيدة لبث المادة ثلاثية الابعاد .

مدت سامارا يدها الى الباحث ، فاستدار هذا فى مقعده ليتلقى تحيتها . قالت لهامان وقد اتسعت ابتسامتها :

ـ هل هو متعجرف ؟ إنه يمد يده دون ان يتحرك من مكانه . معك الحق يا رامى فى إعجابك بنفسك .. لولا القناة الوحيدة لتبددت مادة المبثوثين على مختلف المستقبلات فى مخابر الكواكب البعيدة ، ولكان حظى ضئيلا فى الوصول سالمة الى مختبر يابيتوس .

قال رامى ، دون ان يخفى امتعاضه من هذا الثناء المبطن بالتقريع : انت تحلمين بالسفر الى يابيتوس . يجب أن تعرفى قبل ذلك ان العودة الى بيت ابيك ، على كوكبنا الأرضى ، لن تتاح لك قبل ان يتم زحل وتوابعه الدورة المقبلة حول الشمس .. اعني قبل تسعة وعشرين عاما وبضعة شهور . هذا عدا مخاطر تحولك من مادة حية الى اشعاعات مبثوثة . اما تخافين ؟

قالت ، وهى تنقل طرفها بين العالم والباحث : اني اثق بهامان .. واثق بك .

ثم ابتسمت قبل ان تضيف : الخوف ياتي من الجهل . وانا على معرفة بابحاثكم وبتجاربكم وانجازاتكم . فى مخبركم على يابيتوس ، الدائر حول زحل فى مدار نصف قطره ثلاثة ملايين وخمسمائة وثلاثة وستين الف كيلومتر ، جهاز استقبال مكتمل تلقى قبلي نماذج من الصخور والمواد العضوية وصلت اليه على شكل اشعاعات مبثوثة فاعاد تحويلها الى صخور . ونفس المواد العضوية لم ينقص من تكوينها او يغير مكانه فى تكوينها بروتون واحد . وارسلتم اليه بعد ذلك سلاسل من الحموض الأمينية ، وفيروسات ، وفئران مخابر ، وشمبانزى ، ثم متطوعين من الشاذين ممن لم تفلح المعالجات البيوكيميائية فى تقويم سلوكهم ..

فقاطعها رامي ، وتطلع الى استاذه بنظرة المعاتب ، قائلا : من اخبرها بهذا ؟

فابتسم هامان وهو يقول : هذه ابسط معلوماتها . إنها تعرف كذلك ان نافذة البث الى توابع زحل ونطاقه لن تظل مفتوحة إلى ابعد من بضعة شهور ، واننا لن نستطيع ان نبث أحداً الى يابيتوس بعد ذلك .

واذ رأى ان رامي لا يزال يحدجه بنظرة العتاب الناقم ، ضحك وقال مجيباً على



سؤاله عمن زود الفتاة بالمعلومات :

ـ لست انا على كل حال . ثقة ابيها بها كبيرة ، ومركزه فى الهيئة العليا يبيح له ان يبوح بما يراه مناسباً لمن يراه مستحقاً لا تقطب حاجبيك هكذا يا رامي ... مادامت سامارا مصرة على ان تُبَثّ مع معرفتها بالظروف والمخاطر فستتولى انت تهيئتها لذلك . انت الذى تتولى تحويل مادتها الى طاقة قابلة للبث . هذا قرارى .

فتطلع رامي الى الفتاة بنظرة المتفحص. احس ببعض النقمة عليها ان وجد نفسه فى موقف ضعف امامها ، ولكنه لم يملك إلا ان يعترف بينه وبين ذاته انها فتاة جميلة ليست هى فى تركيب من يحب،قال، محاولا ان يتظرف فى هذه المرة :

ـ سافعل . انت يا هامان غير مشفق على هذا التكوين الدقيق من ان يتفكك الى ذرات فى برودة ما تحت المطلق لتتحول بعدئذ الى فوتونات فى اســـطوانات مفاعلاتنا التى تعطيها سرعة ما فوق سرعة النور . اطمئنى يا سامارا ... ستصلين الى مخبرنا فى يا بيتوس فى ساعة وربع الساعة ، شرط ان تتحملي عمليات التحويل الى اشعاع قابل للبث .

قالت الفتاة : ادرك انها عمليات مضنية ولكنى قادرة على تحملها .

قال الباحث الشاب : اذن لن نضيع وقتاً، امامنا أربع وستون ساعة قبـــل بـــدء الاختبارات . تجدين التعليمات فى كراس ينتظرك عند المدخل . أشدّد على ان تبتعدى عن تناول أى غذاء مشع فى هذه الفترة .

وبدا ان سامارا على الرغم من ثقتها بنفسها ومن تصميمها لم تطمح الى أن تتحقق رغبتها بهذه السرعة . فقد تحولت عن رامي منطلقة الى العالِمْ . قبل ان تهتف قائلة : ـ شكراً ... شكراً يا هامان .

فقطب العالم الوقور ما بين حاجبيه وربت على كتفي الفتاة وهو يقول :

حسناً فعلت . أكثر من ستجدينهم فى محطتنا فى يابيتوس شاذون . عليك الآن فى السير وراء رامي . انه هو مديرك . لا تنخدعى بخضرة عينيه فتظنين بها الرافة. انه فى بعض الاحيان بربرى جلف . ولا تعتمدى علىّ ، فقد نفضت يدى منك .. ربما على الرغم مني !

نطق هامان بجملته الاخيرة مازحاً ، وهو يتصنع الأسى . الا ان نبرة فى صوته اوحت الى رامي ، وربما للفتاة ، بان ذلك الأسى ليس كله مصطنعاً ، وان اثراً من الحزن الحقيقي قد تسرب إليه .

ـ ٤ ـ

من سامارا الى ابيها ، عالم الضوئيات :

« ... اني لا ازال فى البدايات . حيث يقول لي رامي اني اجد مشقة ، وعناءً ، وألماً ، اجد لذة المعرفة .. لذة عيش المعرفة. اترقب اللحظة التى ادخل فيها حجرة التهيئة الأولى ، تلك التى درجة حرارتها ١٥ ، ٢٧٣ تحت درجة تجمد الماء المقطر ، استعداداً للتحول إلى عناصر تكوينى البسيطة . لا ، لست خائفة . ولكنى قلقة من فقدان الادراك ، ادراكى لذاتى . سألت هامان عن هذا ، وهل اظل مدركة لتحولى من مركبات عضوية الى مجموعة عناصر ، ومن عناصر بسيطة الى ذرات مفككة ؟ قال لي بحدة : اسألي رامي ! أحســبه لا يريد ان يضيع وقتاً معي . ام لعله لا يريدنى ان افتتن به كما افتتنت به كل فتيات دائرة الابحاث ، كما اخبرتنى نورا أمس ، فهو يحيلنى دوماً الى رامي ...

وعن رامي .. ستضحك من بنتك . صحيح ان هامان ، صديقك ، جدير بان **تنجذب اليه كل فتاة** ، الا ان عينى رامى تعجباننى . انهما خضراوان ، تهدئان قلقى وتعطياننى أملا . امس قلت لهامان ، وانا اذكر ما هو معروف عنه من استشارته العقول الكهرضوئية فى تصالب خطوط القوى عند فتياته وفتيانه ، قلت له : ما رأيك فى ان تدقق فى خطوط القـــوى لشخصيتنا ، انا ورامى ، فانى اجد فى نفسى ميلا اليه ؟ فقطب صاحبك فى وجهى وقال : ستدخلين قريباً جداً فى مرحلة التحويل إلى اشعة مبثوثة ، فدعى هذه السخافات البسيكوباتية لفتيات ليس لهن أب مثل أبيك ..

هل فى هذا الطلب مني اساءة يا أبي ؟ اضحك مني اذا شئت » ..

ـ ٥ ـ

من حديث هامان الى نفسه ، منقولا من المسجلات الليلية :

« يبدو أني شخت . وإذا استمرت الحال على هذا فان مردودي من الانتاج العلمى لن يعود متناسباً مع طاقتى وجهدى ، وعلىّ حينئذ ان أنسحب الى معهد الاستشارات تاركاً دائرة الأبحاث الى من هو أكثر مني ايجابية ..

إنها سامارا . تأتيني فى كل مساء لتعدد امامى الاختبارات التى أجراها عليها رامي والتمارين التى اجراها لها . تأخذ وقتى ، وعلي ان اردها فى كل مرة، الى رامي . اعترف باني لا أفعل هذا دون جهد . بصعوبة اتغلب على ميل نفسى الى استبقائها والى اعطائها وقتاً أكثر . ثم إنها لا تنسى ، فى كل مساء ، ان تقول لى ان عينى رامي خضراوان . ما دخل هذا بغرفة التبريد الى ما دون الصفر المطلق ، وفى التحويل من عنـــاصر الى ذرات الى فوتونات ؟! » .

ـ ٦ ـ

من حديث هامان الى نفسه فى ليلة أخرى :

« ... سالتني مجدداً ان ابحث لها فى تلاؤم خطوط القوى فى شخصيتها مع خطوط قوى شخصيته هو .. رامي . هذه المرة لم تطلب مني ذاك مازحة . جاءتنى مجهدة بعد اختبار عنيف وقالت انه يهيئها للنزول الى البرودة المفرطة ، وانها تريد ان تعرف ذلك قبل أن يبثها الى يابيتوس ، فى مدار زحل . تريد ان تعرف .. وهو ، الا يريد ان يعرف ؟ » .

ـ ٧ ـ

وفى ليلة أخرى :

« هى تلح ، وانا احاول صرفها عن طلبها المضحك . هل اقول لها انها تضايقني بهذا الطلب ؟! لن اكذب اذا قلت لها ذلك . لماذا تحدثني عن خضرة عينيه كأن لاجمال الا فى العيون الخضر ؟ ليس أجمل من عينيها العسليتين . هل بدأت أضعف ، لأنى بدأت اشيخ ؟

يجب أن أعترف بان حكاية تقصي خطوط القوى فى العقل الكهرضوئي قد اخترعتها ، ابتدعتها ، لأتخـلص من فتيات دائرة الابحاث اللواتى يضايقنني . وحين تطلب مني سامارا ان اطبق عليها ما كررته على زميلاتها أتضايق . ما معنى هذا ؟

لنفرض .. لنفرض اني وجدت الخطوط ، فى شخصيتها وشخصيته ، تتصالب فى نقاط التوافق ، فماذا يفيدها هذا ؟ حتماً لن تجـد طريقهـا اليـه . فبعـد ستة وثمانيـن ساعة واثنتيـن وعشرين دقيقـة مـن هـذه اللحظـة سـيتلقى جهاز الاستقبال فى محطتنا فى يابيتوس ذرات جســـدها على شـــكل فوتونات ثم الى ذرات فعناصر ثم الى سامارا ، ذات العينين العسليتين والقد الأهيف ، وذلك على بعد مليار ومائتين وتسعة وستين مليونا وأربعة وعشرين ألفاً من

زيلوس

كوكب الغيرة

الكيلومترات من قاعة التجارب فى دائرتنا للابحاث على كوكبنا الأرضى .. اعني عن رامي !

لا .. خطوط القوى هذه ، لن احسبها » .

— ٨ —

فى أواخر القرن الفائت ، اعني اواخر القرن العشرين ، حين كان بنو البشر يتناقلون الأخبار والأفكار بوسائل معقدة ومربكة يسمونها الصحف ، وهى مساحات من الورق مسجل عليها الكلام بحروف ملونة ، سوداء فى الغالب .. فى ذلك الزمن ورد فى واحدة من تلك الوسائل جواب من مختص بالسلوك الاجتماعى ، عالم بالنفس على سؤال وجه اليه حول أسباب الكوارث التى تلحق بالجنس الانسانى من جراء الخلافات الجماعية ، تلك الكوارث التى تدعى حروباً . فى جوابه على السؤال رد المختص السبب الى التفاوت بين نمو جهاز الفكر فى الكائن البشرى ، وهو العقل ، ونمو جهاز الشعور فى هذا الكائن ، وهو النفس . فالعقل ينمو ويتطور باستيعابه وبابداعه المتمثلين بالعلم ، بينما تظل النفوس الانسانية مرتبطة بالغرائز البدائية لا تملك فكاكاً من قيودها . وقال المختص لمحاوره : خذ قضيبين متساويين بالطول والثخن ، احدهما نحاسي والآخر من الحديد ، والصقهما ببعضهما على طولهما ثم الحمهما ، تحصل على قضيب واحد متماسك ومستقيم . لنفرض أنك عرضت هذا القضيب المزدوج التركيب الى منبع حرارى . إن اختلاف عامل التمدد بالحرارة فى النحاس عنه فى الحديد يجعل كلا من شطرى القضيب يتمدد بقدر يختلف عن قدر تمدد الآخر ، وينتهي ذلك بالقضيب الى الانحناء ، ثم إلى التفكك وربما إلى الانقصاف . وهذا ، كما قال المختص ، تفسير اختلال التوازن فى السلوك الانساني أمام مؤثرات يستجيب لها كل من مكوني أفراد الجنس البشرى ، ويعنى العقل والنفس ، بشكل يختلف عن استجابة الآخر ، فتسبب استجاباتهما المتباينة الماسى الفردية الصغيرة لعناصر هذا الجنس مثلما تسبب كوارثه الجماعية

هذه مقولة أوردها ذلك المختص منذ حوالى مائة عام ونقلتها تلك الوسيلة من وسائل بث المعلومات ، وعلى التحقيق نقلتها صحيفة صادرة فى يوم من أيام عام ١٩٨٣ . ويبدو أن المقولة نفسها لا تزال صادقة فى هذا الزمن ، فى عام ٢٠٨٣ بالذات ، على الرغم من تدخل العلم الحديث فى تطور النفس البشرية عن طريق أساليب التربية المبرمجة والمدعمة بما انتجته أبحاث الزمن الحاضر من المبدلات البيوكيميائية للسلوك . لا تزال المقولة صادقة ، اذا لم يكن فى كل الحالات ففى بعض الحالات التى ظلت بها النفس الانسانية عصية على البرمجة وعلى التبديل السلوكي .. ومنها حالة هذا الثالوث المؤلف من هامان وسامارا ورامي .

— ٩ —

من كلام رامى ، أو لعلها خواطره ، بعد عملية الارسال :

« — اجتازت كل الاختبارات وتحملت كل التجارب ، وكنت بذلك سعيداً .. سعيداً لسعادتها . وعندما سارت لوحدها نحو آخر المفاعلات فائقة البرودة فى طريق التحول الكبير الذى سيطبق على كيانها المادى الحي ، انتابنى الضعف الذى ما زلت ألوم نفسى عليه . انا مبتكر القناة الوحيدة وقد سلكت فيها ، بعد تحويلها فى سلطة أجهزة الارسال الى فوتونات ، الجمادات والأحياء ابتداء من ذرة الهيليوم وانتهاء بأفراد الطاقم المقيم فى مخبرنا فى يا بيتوس مروراً بالصخور والفيروسات والجمل ذى السنامين ... انا رامي ، أى خوف انتابني من أن تعجز هذه القناة عن استيعاب الفوتونات التى تحولت اليها ذرات عناصر أعضاء جسد سامارا؟! ماذا لو .. ماذا لو ... ماذا لو ؟! يا له من شك مريع ذاك الذى تسلل إلى وجدانى وانا أرى سامارا تتقدم ، بعد ان قبلتنا جميعاً ، اباها وهامان وانا ، تتقدم نحو الباب السيليكوني لمفاعل التبريد !

شك مريع تكشف ، فى دقائق قليلة ، عن وهم لا مبرر له . ها هى الآن ، وقد نقلتها القناة الوحيدة أمواجاً نورانية ثم اعادها الجهاز المستقبل فى يابيتوس إنسانة سوية ، تنقل خطاها فى حجرات مخبرنا هناك .. هنـــاك ، على بعـــد (٠٠٠ ٠٢٤ ٢٦٩ ١) كيلومتراً ، وتخاطبنا من هناك . بل انهـا تخاطبني انا ، رامي ، فيخترق صوتها الأثير امواجاً كهرطيسية تحولها اجهزتنا الى صوت سامارا برنته البلورية الصافية ، فكأني احس بانفاسها تلهب صفحة خدى حين همست فى اذني ، قائلة : لا تقلق علي .. أحبك ! » .

— ١٠ —

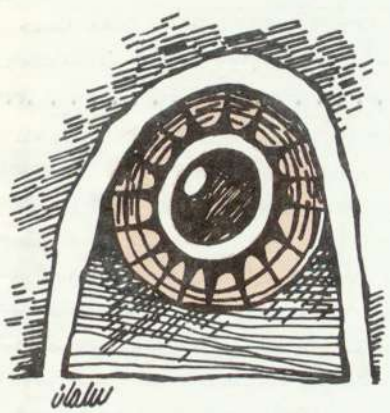
عودة الى حديث هامان لنفسه :

« — ضعفت . لم يعد لي شك فى ذلك . أحسست بالضيق يمسك عليَّ انفاسي حين رأيتها ،بعد ان قبلت اباها ثم سمعتها ، على الرغم من خفوت صوتها ، تقول له : أحبك !

تحبه .. انا الأحمق الذى هيأتها لذلك . انا الأحمق ، تعاليت عليها ، وعاملتها بما عاملت به أولئك المتهافتات على الحظوة مني الراغبات فى حلول محل مرافقتى الأخيرة . وعندما تبينت انها من طبيعة أخرى ، ومن تكوين جسمانى ونفسي آخر ، تعلقت ميولي بها فاحببتها . حدث هذا بعد فوات الأوان ، بعد ان سحرت بعينى رامي الخضراوين .

والآن ؟ الآن لا يبرد من الحرقة فى صدرى على فراقها الا علمي بأن هذا الفراق قد جعل بينها وبين رامي فى غرفته فى مساكن الباحثين مسافة تفوق المليار وربع المليار من الكيلومترات فى الفضاء ما بين النجوم ..

ضعفت . أقر بهذا على نفسي . فى منجزات الترحيل بين النجوم والابحاث التى ادت الى تلك المنجزات ، انا رأس الحربة . وانا الذى أصبح اسمه رمزاً للتقدم الحضارى فى العشرة التاسعة من هذا القرن ، الواحد والعشرين الميلادى . منزلتى عند العلميين ليس فوقها منزلة ، واكبار معاوني لي ليس له حدود ، وثقتى



بنفسي لا تقل عن هذا وتلك .. الا ان سامارا كشفتني وعرفتني بضعفي . تبينت امامها انى فى هذا الضعف انتسب الى الجيل الذى ولدت فيه ، جيل ابناء العشرة الأولى من هذا القرن .

كيف رضيت بارسال سامارا بعيداً بعيداً .. الى يا بيتوس ؟ ربما كان هذا هو جنونى الصحيح . اما كان ممكنا ، لو انها بقيت معى على كوكب الأرض ، ان تصبح لي المرافقة الرابعة ، على الرغم من أن عيني زرقاوان ؟

— ١١ —

« احبك » ، قالتها سامارا لرامي .

« تحبني » ، قالها رامي لنفسه .

« أحببتها » ، رددها هامان فى حواره مع ذاته .

كل هذه أفعال نصف الحب فى أزمنته المختلفة . والحب ، كما يعرف كثير منكم ، عامل من عوامل التكوين العاطفى للنفس البشرية لا يزال ذا فعالية مؤثرة فيها لأنها ، أى النفس ، لم تتطور فى المنحى الايجابي الذى تطور فيه العقل فى هذا الزمن ، وذلك على الرغم من أساليب التربية المبرمجة وتطبيقاتها الموجهة نحو هذا المنحى . كل ما توصل اليه التدخل العلمى فى مجال عامل الحب هذا هو دراسة تأثيره وكشف مساراته بصورة أصبح معها من الممكن رسم هذه المسارات بشكل خطوط قوى بيانية تستطيع العقول الكهرضوئية ان تبين نقاط تلاقيها وتعين زوايا تباعدها . وهذا ما كان يعهد به هامان ، أحيانا ، الى عقول معهد الأبحاث لحل مشاكل معاوناته المتورطات والمتورطين فى متاهات ذلك العامل العاطفي .

ونحن نعرف على التأكيد سبب احجام هامان عن تطبيق طريقته هذه على ما أخذ يقلقه ، ويؤرقه فى قضية المشاعر التى تربط بين الثلاثة ، هو ورامي وسامارا . لعله أحجم ، كما حدث نفسه عن نفسه ، لأنه شاخ وضعف فلم يعد قادراً على تحمل الحقيقة وعلى القبول بواقع الحقيقة ، كما هو منتظر ممن هو فى منزلته بين العلميين المهيمنين على الحقيقة معرفة وتطبيقاً . ولعله لو فعل لرسم العقل الكهرضوئي لعينيه محصلتي خطوط قوى الفتاة ابنة صديقه والباحث تلميذه كمسارين لولبيين ملتوين احدهما على الآخر ، متعانقين كتعانق سلسلتى الجذور الأمينية فى ذرة د . ن . أ . ، حامض الديزوكسي ريبونوكليك . اما مسار خطوط قوى شخصيته هو فسيبدو له مستقيماً ، منحرفاً عن ذينك المسارين المتعانقين بزاوية تزداد انفراجاً بازدياد البعد بين مخابر دائرة الأبحاث على سطح كوكب الأرض والجهاز المستقبل على تابع زحل الذى بثت الفتاة اليه ، يا بيتوس .

من أقوال آبائنا الأولين فى القرون السالفة تشبيههم البعاد بالنسبة للحب بالريح بالنسبة للنار . نسمة الريح الخفيفة تزيد النار اشتعالا ، والريح القوية تخمد الجذوة المشتعلة وتحيلها رماداً . ولو قسنا بعد سامارا عن عاشقيها بمقاييس أولئك الأولين الكيلومترية لحكمنا بخمود جوى الحب فى صدور هذا الثلاثي منذ الساعة الأولى لارسال الفتاة الجميلة الى يابيتوس ، فبعد تلك الساعة أصبح بعدها عن العاشقين مقدراً بمئات الملايين من الكيلومترات بل بآلافها ... تستغرق اسرع مركباتهم فى قطعها ما يزيد عن الخمسين عاماً ، اذا تلك المركبات كانت تنطلق بسرعة ثمانية كيلومترات فى الثانية ، وحين تفرط فى السرعة تبلغ ، فى الثانية ٣ ، ١١ كيلومترا ! الا ان متيمينا الثلاثة يعيشون فى عصرنا الحاضر ، فى القرن الواحد والعشرين وفى اواخره ، فى زمن الترحيل بين النجوم . فى زمنهم هذا لم يعد زحل ونطاقه وتوابعه ، وبينها يابيتوس تبعد عن كوكبنا الأرضى أكثر من ساعة وربع الساعة . فلا عجب ان يؤثر هذا البعد المختصر زمنياً فى عواطف ابطال قصتنا ما تؤثر به النسمة الخفيفة على الجذوة المشتعلة ، فتنعشها وتزيدها وقداً والتهابا

وهذا ما حدث بالضبط فى مشاعر كل من قراد الثلاثي . هامان ، كما رأينا ، أصبح موزعاً بين عذاب نفسه بهوى عقيم وبين عزائه لتلك النفس فى ان المحبوبة قد بعدت فلن يظفر بهواها غيره . ورامي الذى عادت به همسة من سامارا الى تحليل عواطفه فاكتشف ان تعلقه بالفتاة كان وراء حماسته فى تأمين بثها الى يا بيتوس فى أكمل الشروط ، أصبح ينقم على نفسه انه هو الذى ابعد الحبيبة وقذفها الى قرابة مليار وثلاثمائة مليون كيلومتر فى الفضاء بين الكواكب . اما سامارا نفسها ، فهى أوضح رؤية من كلا الرجلين لمشاعرها واجرأ تعبيراً عما تحس به واصرح فيما تريده . دليل انها أخذت تشغل نصف وقت التخاطب المحدد لاتصال مخبر الدراسات فى يا بيتوس مع دائرة الابحاث فى كوكب الأرض ، بكلام شخصى تصف به شوقها الى رامي وحلمها فى ان تراه الى جانبها على هذا التابع الدائر حول زحل .

أخذت سامارا تشغل بهذا الكلام نصف الوقت فى المرتين النظاميتين المحددتين يومياً . وفى بعض المرات استبدت بوقت غير مخصص لها وراحت تنادى فيه رامي . واحنق هذا التجاوز على النظم المرسومة هامان ، فسجل للمرة الأولى،على الصفحة المضيئة فى عدد من منصات دائرة الترحيل كلمات تقريع لكل من رامي وسامارا لسوء تصرفهما وتبديدهما طاقة علمية جوهرية فى أحاديث نفسية ، سطحية وتافهة .

— ١٢ —

لم تفلح كلمات التقريع فى صرف سامارا عن أحاديثها ، غير المرتبطة بمهمتها العلمية ، مع رامي ومن ردود رامى عليها . نستطيع ان نسمي تلك الأحاديث نجوى متبادلة بين حبيبين عبر الأقضية بين الكواكب ، لولا أنها لم تقتصر على الحبيبين . اذ أصبح يشاركهما فيها ، وربما على رغمه ، العالم هامان . فهو اذا صرف نظره عن سامارا التى ينقل الجهاز المستقبل صورتها له وصم اذنيه عن سماع صوتها ، وجد نفسه محكوماً بالاطلاع على عباراتها بالفاظها حين يستعرض فى نهاية يوم العمل تقارير محطة الارسال فى يا بيتوس . لا مناص له فى كل ليلة من ان يقع فى ثنايا المعادلات الرياضية وتعرجات الخطوط البيانية على كلمات الفتاة العاشقة التى تحول جداول الارقام والحسابات الفلكية إلى قصائد شوق ملتهب يزداد وقدها يوماً بعد يوم ويزداد لها حنق العالم على تصرف بنت صديقه وعلى استجابة تلميذه لهذا التصرف ، أو لتنعمه بهذا التصرف ، يوماً بعد يوم .

ما الذى يقوى به هامان على الفتاة التى تتصرف بهذا الشكل ؟ انها الآن منه على بعد متزايد ، أقل قيمة له مليار ومائتان وسبعون مليون كيلومتر ، فى رحلة مبرمجة على تسعة وعشرين عاماً ومائة وسبعة وستين يوماً أرضياً . فهو لا يملك ، ولا يحق له ، ان يعيدها الى مخابر دائرة الابحاث على كوكب الأرض قبل انقضاء امد البرنامج . وتراه ، لو ملك ذلك ، راغباً فى اعادتها الى الأرض لتلقي بنفسها بين ذراعي رامي كما تتمنى هي ذلك وتعبر عنه بصراحة تتمادى بتمادى أحاديث شوقها الملتهب ؟ !

حنق العالم هامان الذى لم يكن له متنفس على الفتاة . انقلب على التلميذ العاشق ، رامي الذى كانت تربطه به ، قبل ان تتدخل سامارا بينهما ، رابطة أب بابنه . لم يكن قادراً على انكار مكانة الفتى بين

زيلوس

كوكب الغيرة

باحثى ادارة الترحيل ولا الاستهانة بانجازاته ، ولكنه لم يعد قادراً على ان يتلقاه بنفس الحنو والعاطفة الابوية التى كان يتلقاه بهما قبلا . وذلك تبدل لم يخف على رامي ، ولكنه كان من الانصاف ومن التقدير بحيث لم يلق لوماً فيه على استاذه بل وجد له فيه العذر فى تجاوزاته هو وسامارا على الاعراف المتبعة فى حلقات الدراسات الكونية ، باتخاذهما عناصر البحث العلمي مطية لهواهما الشخصي .

وجاء يوم قرر فيه رامي ، وهو يرى فى معاملة هامان له جفاء يقارب القطيعة ، أن يفضى الى العالم بكل مشاعره ، من هوى لا يملك الفكاك من أسره ، ومن شعور بالذنب ، ومن إقرار بالخطا فى التصرف ، وان يطلب اليه ان يشير عليه بالحلول التى يرتئيها لواقعه فى ضوء معرفته السامية وعقله الراجح وتفكيره الموضوعي .

— ١٣ —

قال رامي وهو يتحدث الى استاذه العالم :

— اشعر بالضعف امامك يا هامان . فعلى الرغم من اني ، لفارق الزمن بين جيلينا ، قد تلقيت فى صباى من دورات التربية المبرمجة اكثر مما تلقيته أنت فى صباك ، اجدني عاجزاً عن التباعد عن المشاعر الغريزية ، التى حقنتنا تلك التربية بمصول المناعات عليها . على المشاعر الغريزية اعني . معك الحق فى ان تبعدني عن اهتمامك وان تجفوني . خيبت ظنك وارتبطت بالخصوصيات النفسية ، مما لا يجدر بتلميذ مقرب منك . ولكني لا أستطيع أن أرائي وأخفي أحاسيسي .. اني متعلق بسامارا تعلقاً لاحدود له . انت مسؤول عن هذا . لا اقول ذاك لألومك بل لاشكرك .. منحني هذا التعلق سعادة لا تفوقها سعادة ، لولا ..

وقطع رامي كلامه كالمتردد ، فتطلع اليه هامان بنظرة جامدة ، تبدو خلواً من كل محتوى حسي ، وسأل :

— لولا ماذا ؟

قال الشاب : لولا نقمة أشعر بها على نفسي أني أبعدتها ، بيدى ، عني جسمانياً فى اللحظة التى كانت فيها أقرب ما تكون إلى روحي . وأنت كذلك مسؤول عن هذا . اليس هو قرارك ان اتولى انا بثها الى يا بيتوس ؟

قال هامان ، بلهجة من نفذ صبره : ماذا تريد منى ؟

فاجابه رامي : ان تفتح لنا طريق الاجتماع ، انا وسامارا .

فسكت هامان لحظة . ولما عاد الى الكلام راح يلفظ كلماته كأنه يتلذذ بتقرير معانيها قال :

— إنها فى يا بيتوس . أنت الذى بثثتها وتوليت برمجة رحلتها التى لن تنتهى قبل ان يتم زحل دورة كاملة له حول الشمس .. اعني قبل ثلاثين عاماً تنقص بضعة شهور لا يمكن لأجهزة يا بيتوس المرسلة ان تعيد بثها إلينا قبل ذلك .

قال رامي : اعرف هذا ونحن ، سامارا وانا ، نقبل به . هى لن تعود قبل ختام برنامجها ، ولكني شخصياً لست مرتبطاً ببرمجة ذات موعد محدد ، ما اطلبه منك هو ان تبثني انا اليها .. الى يا بيتوس .

فوجيء العالم بهذا الطلب من تلميذه ، فقال بلهجة أقرب ما تكون الى الاستنكار :

— انت ؟!

قال رامي : نعم . أرجوك ، رحلني الى يا بيتوس . انا على استعداد لخوض كل الاختبارات والمرور بالتجارب التى اخضعت لها قبلا من بثثتهم ، تحت اشرافك الى يا بيتوس . ولقد ابتكرت انا أيضاً ، تحت اشرافك ، القناة الوحيدة ، واريد منك الآن ان تسلكنى فيها . لا أريد ان أضيع الوقت ، فما تبقى من زمن نافذة البث الى مدار زحل ليس كثيراً . إبدأ بتاهيلي ، اذا لم يكن اليوم ففى هذه الأيام القليلة القادمة .

قال هامان : يبدو لي انك فقدت توازن عناصر المحاكمة فى تفكيرك . كل هذا من أجل سامارا .. من أجل امراة ؟

فقال رامي بلهجة فيها الاحترام ، وفيها الرثاء ، وفيها الشعور بالغبطة :

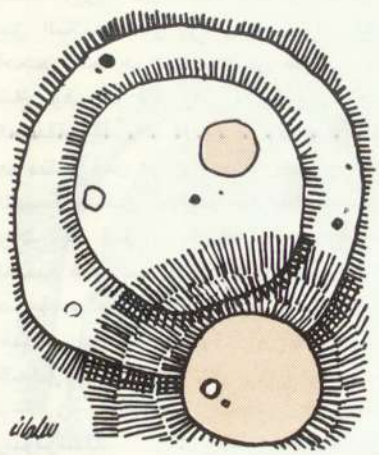
— كل هذا لاني احبها . تفكيرك يا هامان يحلق فى عوالم تسمو على الحب ، ولذا فاني لا الومك اذا لم تفهمني ..

— ١٤ —

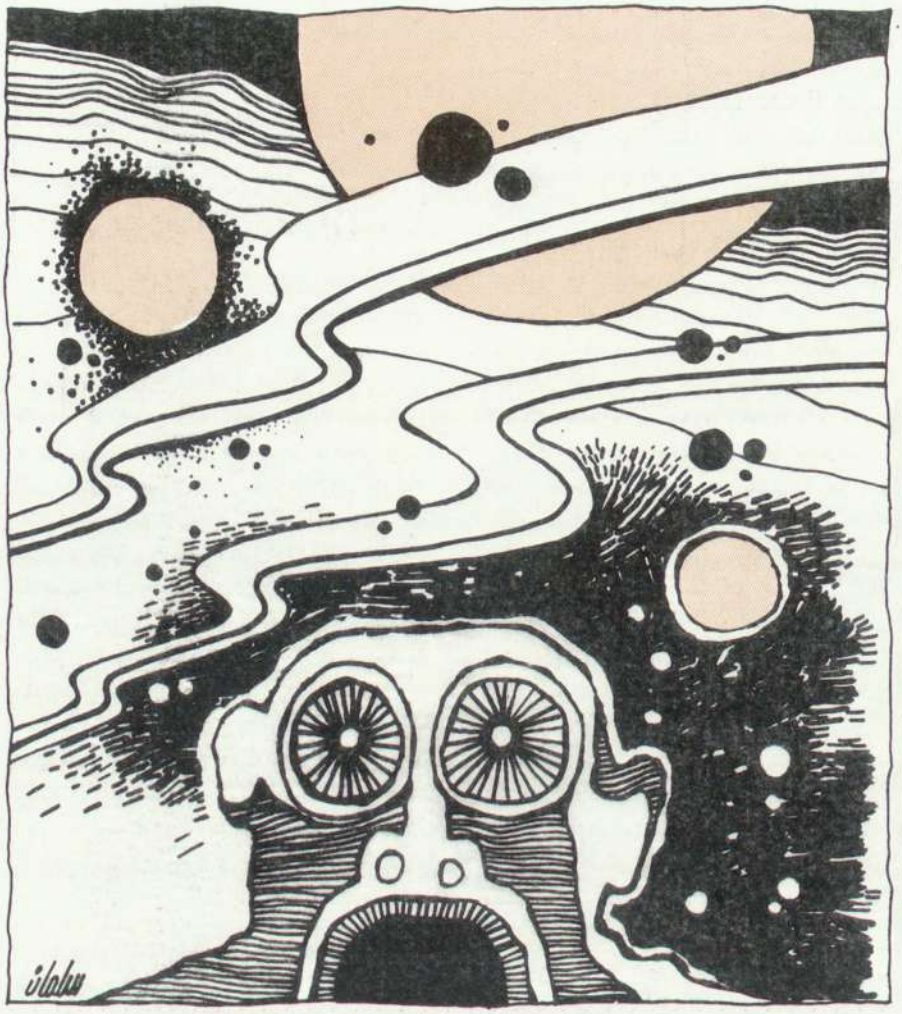
ليس صحيحاً إن هامان لا يفهم رامي ومشاعره ودوافعه . وليس صحيحاً كذلك ان تفكيره ، تفكير هامان نعني ، يسبح فى أجواء تسمو على عاطفة الحب .

ففي الفترة الأخيرة ، فى الأيام المتتالية التى اعقبت انتقال سامارا الى يا بيتوس ، أَسَفَّ تفكير هذا الانسان العلمى الخطير ، ملتقى الأضواء فى محافل الدراسات والانجازات المفرطة التعقيد ، حتى انغمس فى دنيا المشاعر وعالم العواطف والاحاسيس المعنوية . نحن نقول أَسَفَّ ، على الرغم من أن بعضاً من الناس يعتبر هذا الاسفاف سمواً . ولعلنا نوافق بعض الناس أولئك فى اعتبارهم لو ان تحول تفكير هامان كان إلى عاطفة الحب وحدها . ذلك ان هذا التفكير قد تحول ، فيما عدا الحب ، الى الأسى على مافات والحرقة على ما لم ينله صاحبه ، ثم الى الحقد الوضيع الذى لا يليق بشخص متميز مثله .. الحقد على الفتى رامي لأنه نعم بحب حرم هو منه .

واذا كان هامان قد عزف فى أول الأمر عن شهود تناجي الحبيبين عبر الأفضية بين الكواكب فى صورة وصوت مباشرين ، مكتفياً بالاطلاع على فحوى ذلك التناجى فى تضاعيف محاضر الأرسال والاستقبال بين دائرة الابحاث ومخابر يا بيتوس ، فانه لم يلبث ان وجد نفسه مدفوعاً الى رؤيتهما بعينيه وسماعهما باذنيه ، على لوحات المنصات فى قاعات العمل ، وهما يتطارحان الصبابة ويشتكيان من طول فترة التباعد التى تحول دون لقائهما . وكان هو ، هامان بين لذع الفؤاد بما يسمع وما يرى وبين برد التشفي بمعرفته أن الوصال الذى يتحرق فى انتظاره الحبيبان امنية مستحيلة .. مستحيلة على الأقل فى الوقت القريب .



ولكن .. ولكن هذا هو تلميذه يحطم للنهج العقـــلاني ويطلب ان يبث الى يا بيتوس ، الى حيث تتلقاه ، سامارا مفتوحة الذراعين متلعة العنق والصدر مستسلمة ! إنه ، فيما يامل ، مجنون . من يملك ان يسمح ببثه ، ومن يستطيع بثه غير هامان ؟ ومن يشقى بوصـــوله الى يا بيتوس غير هامان ؟ ... ومع ذلك ، فانه يطلب ما يطلب من هامان !



— ١٥ —

تحولت الأيام التى اعقبت ذلك الطلب الجرىء من رامي الى استاذه ، إلى ساحة تضاربت فيها مشاعر ثلاثي قصتنا واحاسيسهم تضارب الحمولات الالكترونية والكهرطيسية والكهرضوئية فى مجـــالات التجارب الكونية .

هذه ، مثلا ، نداءات سامارا إلى رامي ، وما توجهت الفتاة قط بنداءاتها الى هامان. لقد أخذت تلك النداءات تحتل من برامج التخاطب على الموجات بالغة القصر ، وكلها من فئة المليمتر طولا ، بين محطتى دائرة الأبحاث فى الأرض وعلى يا بيتوس ، قول أخذت تحتل مساحات تزداد اتساعا كل يوم ويزداد محمولها من الشوق والتوق لعله جو التابع الدوار يا بيتوس هو الذى حول هذه الفتاة المفرطة الذكاء من باحثة نصيب العقلانية فى تفكيرها ٦ ، ٩٦٪ ، كما هو مثبت فى جدول مؤهلاتها ، الى كائن عاطفي تتضاءل العقلانية فى تصرفاته إلى نسبة مئوية دنيا . ولعل ذلك الجو هو الذى اعطاها هذه الجراة وفصاحة التعبير فى التصريح بميولها الروحية ورغباتها .

نداءات صارخة ، ملتهبة وجارحة ، وما كان يسمعها سوى رامي واستاذه ، ولابد لكل منهما ان يتاثر بها تاثرا عميقا . وواضح ان مسار التاثر عند كل منهما كان يعارض الآخر فى اتجاهه معارضة قطبية . فبينما يندفع رامي ، مدفوعا بتلك النداءات فى الحاح على المعلم ان يلبي رغبته فى الرحيل الى يـابيتوس ، يتصلب هامان مدفوعا بالحنق الذى تؤججه فى صدره النداءات ذاتها مقررا ان يظل لقاء الفتاة على تابع زحل مستحيلا . لا .. كان هامان يقول لنفسه .. لا ، لم يبق من النافذة الزمنية لاطلاق المادة ثلاثية الابعاد الى يا بيتوس غير اسابيع قليلة ، ولن اسمح لهذا الصبى ان يعبرها مبثوثا الى حيث سامارا بذراعيه الطويلتين !

ويلح رامي ، ويلح . ويا عجبا ! .. ففى ذات صباح ، وبعد ليلة مؤرقة ملات اذني هامان احاديث الغزل الملتهبة بين الحبيبين ، فكادت نفسه تزهق حسرة وتالما ونقمة ، نادى اليه تلميذه الباحث ليقول له بصوت حاول ان يعيد اليه لهجة العلمي الذى كل الآخرين عنده ، حتى اقرب للقربين اليه ، مواد تجربة وتطبيق .. ناداه ليقول له :

— هيىء نفسك للنزول تحت الصفر للطلق . سترحل الى يـابيتوس ، مادمت مصراً . لست بحاجة إلى دراسة للتعليمات ومتى ما أجريت عليك الاختبـــارات الروتينية ، ستُبَثّ !

وفتح رامي عينيه الخضراوين باكبر سعتهما وقد امتلأتا دهشة ، وغبطة ، وهم بالكلام . إلا أن هامان لم يترك له فرصة لذلك ، اذ اضاف :

ستسلك القناة الوحيدة . انها قناتك ، ولك الأفضلية فى سلوكها .

لم يكن فى هذه الأقوال اى إشارة الى سامارا ونداءاتها . فكان هامان اراد ان يعلم الفتى ان الأمر امر تطبيق علمي مجرد ليس للشعور الانساني به دخل او علاقة .

وهكذا خطا رامي خطوته الأولى فى الرحلة الى تابع زحل فى فلك ذلك الكوكب السيار .

— ١٦ —

لاول مرة تتوجه سامارا عبر الأفضية بين الكواكب بالحديث الى هامان . محياها يتالق فرحا ، وابتسامتها تكاد تطفر من شاشة المنصة لتنير القاعة الاهليلجية للتسعة التى يتصدرها مكتب العالم . قالت وهى تقصد هامان :

— كنت واثقة من انك لا ترضى بان تتركنى لنار الشوق ، احترق بها تسعة وعشرين عاما ، قبل ان التقي برامي . واثقة بانك ستبث لي حبيبي قبل اغلاق النافذة الزمنية واستحالة الارسال . انا اطير فرحا .. الست ترى هذا على وجهي لن آخذ بعد الآن دقيقة واحدة من وقت البرامج ما دام رامي ، فى مرحلة التهيؤ ، لا يتاح له ان يحاورني ، الى اللقاء بعد اثنين وعشرين

زيلوس

كوكب الغيرة

يوماً ... سنتوجه اليك حينذاك بالتحية والشكر ، وترانا امام عينيك ، بعيدين عنك وقريبين منك ، متعانقين انا ورامي ..

واختفى وجه سامارا من الشاشة بينما كان رامي في طريقه الى غرفة تطبيقات البث لينزل الى برودة الصفر المطلق ، ثم الى ما دونها بدرجات ، حيث يتحول تكوينه الى عناصر ثم الى ذرات ، ثم الى مركباتها التى تنطلق على شكل فوتونات بسرعة ثلاثمائة الف كيلومتر الا بضع عشرات من الكيلومترات في الثانية نحو فلك زحل ، فتبلغ الجهاز المستقبل بعد ثلاث وسبعين دقيقة وبضعة اجزاء من الدقيقة ، لأن ابتعاد موقع يا بيتوس على ذلك الفلك ، ما بين بث سامارا اليه وبث رامي ، يزيد أمد رحلة الأخير هذه الدقائق القليلة الفائضة .

اسمحوا لنا بالتوقف هنـــا قليلا . انتم تتصورون ، فيما نحسب ، ان قصتنا قد انتهت ، وبخاتمة لا تختلف عما تنتهى به حكايات اسلافنا الأولين ، حين تختتم كل قصة باجتماع شمل الحبيبين واقامة الأفراح والليالى الملاح . ولعلكم تاسفون على ما اضعتم من وقت فى تلاوة هذه الصفحات التى لم يختلف محتواها عن تلك الحكايات الساذجة الا بأن الابطـــال المتباعدين كانوا هناك يركبون العربـــات والطيارات ، أو الصواريخ ، بينما أبطال قصتنا يمتطون ذرى الأمواج الجيبية للنور أو الدفقات الكوانتية للطاقة المبثوثة .

ولكن مهلا . كان أحب الينا ان يصدق ما تتصورون ، لولا أن بقيت لنا كلمة نعود فيها الى ما كنا ذكرنا ، فى الفقرة رقم ٨ من هذه الصفحات ، عن التباين بين تطور عقل الفرد البشرى وتطور النفس عند هذا الفرد مما يؤدى الى التشوه والتقصف ووقوع الكوارث . عند هذه النقطة من قصتنا يحتل ذلك التباين محله . إنه التباين بين التطور المذهل الذى بلغة العقل الانسانى فى عام ٢٠٨٣ للميلاد ، ممثلا بمنجزات التقدم الذى يتركز فى ضغطات أنامل العالم هامان على لوحات مجموعة العقول الكهرضوئية فى مركز أبحاث دائرة الترحيل بين النجوم وبين انشداد النفس الانسانية الى غرائزها الحيوانية ، انشداداً تمثل بتصرف هامان ذاته تصرفاً كارثياً نتيجة لتأثره بحب يائس . ومن يحلل سلوك هذا العالم الشهير يجد واضحاً انه كان ردة فعل لمجموعة مشاعر حَسِبَ مختصو الدراسات النفسية فى قرننا الواحد والعشرين هذا ان نشاطها قد امّحى منذ زمن بعيد . انها المشاعر التى كان اسلافنا فى القرون الماضية يطلقون عليها اسماء تختلف من لغة الى لغه ، وفى اللغة العربية يسمونها خصلة الغيرة أو شعور الغيرة .

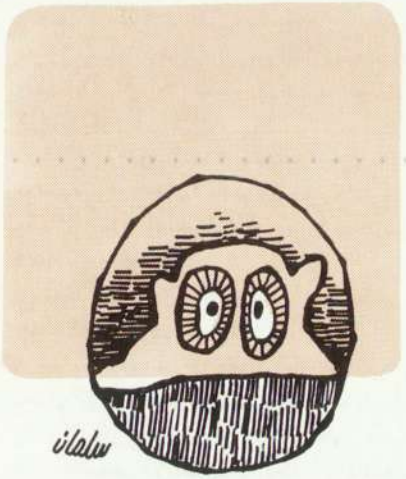
هذا التصرف الكارثى الذى تصرف به هامان ، ما كان ممكناً ان يقوم به من هو دونه منزلة ومعرفة وقدرة على التحكم بمعطيات التقدم العلمي الفائقة . رامي ، ذلك العلمى الفذ ، ها هو قد اجتاز كل اختبارات البث وأصبح ، فى النطاق المصمت للجهاز المرسل الذى يديره هامان ، فى مرحلة الاعداد الختامية ليشحن بالسرعة المعينة منطلقاً الى يا بيتوس . المنصات فى كل شُعَب دائرة ابحاث الترحيل كانت تتابع على شاشاتها ترحيل الباحث القدير واعين العلماء والعالمات من الكهول ، والباحثين والباحثات من الشباب معلقة باطراف أصابع هامان المتنقلة بين أزرار تشغيل العقول الكهرضوئية انتقال انامل العازف على آلته . وكما يتحول الصوت فى بث المادة ذات البعد الواحد إلى موجات كهربائية مغناطيسية متباينة الشدة ، فى التواتر أو فى الارتفاع ، وكما تتحول الصورة ، فى بث المادة ذات البعدين الى مجموعة نقاط يترجمها الجهاز المرسل إلى شدات من نفس النوع ، اخذت المادة الحية ثلاثية الأبعاد التى هى جسد رامي تتحول ، بعد تحولها إلى عناصر فذرات فجزئياتها ، الى طاقة ستخترق الفضاء بين الكواكب اختراق الصورة والصوت بعد تحويلهما الى طاقة . والفرق بين مصير هذين الأخيرين ومصير فوتونات جسد رامي ان هذه الفوتانات لن تتوزع فى الأثير ليلتقطها كل جهاز مستقبل مؤهل . انها ستسلك القناة الوحيدة إلى بؤرة محطة الاستقبال القائمة على سطح عاشر اقمار زحل ، التابع يا بيتوس .

تلك القناة الوحيدة ! أى جزء من مليار جزء من مكوناتها على مسارها الطويل قد تخلخل من مكانه حتى جرى ما جرى ؟ جمدت أمام اللوحات المضيئة فى المنصات أعين المتتبعين ، من علماء وباحثين وتلاميذ ، وهلعت قلوبهم . شيء ما فى جزء من الثانية التى تلت ضغط أصبع هامان على آخر أزرار الارسال قد حدث فى آلة البث المتشابكة . قبل ذلك الجزء من الثانية كان جسد رامي قد انطلق بصورة طاقة مرسلة من جهاز دائرة الترحيل نحو يا بيتوس ، ليبلغ جهاز الاستقبال فى هذا التابع بعد ثلاث وسبعين دقيقة ، مخترقاً ملياراً وما يزيد عن اربعمـــائة مليـــون من الكيلومترات . إلا أن اضطراباً غير متوقع قد بدا فى حركات أصابع هامان وهى تنتقل على لوحة الأزرار الرئيسية . وفى نفس اللحظة اشتعل فى كل من العقـــول الكهرضوئية فى جوانب قاعة العمليات ضوء أحمر ينذر بأن القناة الوحيدة التى سلكتها فوتونات ذرات المادة المبثوثة قد أصيبت بتخلخل . يا للكارثة !

وانها لكارثة . أترى هذه الفوتونات المبثوثة تصل الى فلك زحـــل ، ثم الى يا بيتوس ، ثم الى جهاز الاستقبال فى محطة الأبحاث ليعود رامي ، هذا الفتى الباحث ، إنساناً سويا تتلقاه فى حضنها الدافىء حبيبته سامارا ؟!

أهي القناة الوحيدة التى اصابها خلل ، ام انها أصابع العالم هامان التى ضلت طريقها على أزرار البث والارسال ؟ الذى نعرفه أن رامي ، ذلك المنكود الحظ ، قد انطلق إشعاعاً من مخابر دائرة ابحاث الترحيل بين النجوم فى كوكب الأرض ، ولكنه لم يلتقط فى جهاز الاستقبال فى تابع يا بيتوس جسداً آدمياً .

وقد دلت الأبحاث التى أجراها رصفاء هامان ، الذى أصيب بانهيار عصبي بعد تلك الحادثة الكارثة ، على ان الكتلة الاشعاعية التى نجمت عن تحول المادة



ثلاثية الأبعاد فى جسد رامي الى طاقة قد بلغت فلك زحل حقاً ، إلا أن القناة الوحيدة التى سلكتها لم تتوقف بها فى مـــدار يا بيتوس . الذى جرى هو أنها استمرت فى مسيرها حتى بلغت حزام زحل ، وهو كما تعرفون نطاق مشكل من أربع حلقات دائرية متفاوتة فى الاضاءة وفى الانشـــحان الالكتروني ، ويفصل بين أولها وثانيها شق كاسيني المظلم المشهور . كل حلقة من تلك الحلقات الأربع تتكون ، كما بينت أبحاث العلماء القدماء ، لا من ذرات نور بل من أجسام مادية بالغة الصغر ، يمكننا ان نعتبرها توابع وأقماراً متفاوتة فى ضالة الحجم ، وهى تدور حول زحل بسرعات تتناسب مع احجامها ومع بعدها عن مركز ذلك الكوكب السيار .

عند الحافة الخارجية لحلقة حزام زحل الأولى تضاءلت سرعة فوتونات جسد رامي المبثوث حتى قاربت الصفر ، وبذلك تحولت من طاقة إلى مادة مجسدة . الا أنها لم تجد أمامها جهاز الاستقبال الذى يعيدها إنساناً ســـوياً . ولا حتى مـادة حية . لقد أصبحت مزيجاً من العناصر ، وربما كتلة من المركبات المعدنية والعضوية ، انضمت الى مجموعة الأقمار الدقيقة والتوابع الصغيرة الدائرة فى الحلقة الأولى من حلقات الحزام ، مكونة فيها تابعاً جديداً . وهذا ما أكدته الاستكشافات والدراسات التى أجرتها هيئة خاصة ألفت بغاية البحث عن مكونات جسد رامي . واذا كانت أعمال هذه الهيئة قد توصلت الى معرفة مصير ذلك الجسد فانها قد باءت بالفشل فى محاولة اعادة عناصره إلى مخابر دائرة الأبحـــاث فى يابيتوس أو على كـوكب الأرض .

وهنا ، فى ختام قصتنا هـــذه ، نورد ما أثبته التقرير النهائي لتلك الهيئة الخاصة ، ألا وهو الاقتراح الذى تلقته تلك الهيئة من الباحثة سامارا ، المقيمة فى محطة دائرة الأبحاث على التابع يا بيتوس طالبة رفعه الى مجلس التسميات الفلكية . فقد طلبت هذه الباحثة ، ولسبب لم يكن يعرفه الا قليلون ، ان يطلق على هذا التابع الجديد الذى تم تحديد صفاته المميزة اسم « زيلوس » ، وهى الكلمة التى يعادلها فى اللغة العربية لفظ « الغيرة » .

وهذه حكاية الكوكب زيلوس ، كوكب الغيرة الدائر فى فلك زحل وعلى هامش الحلقة الأولى من حلقات حزامه ، فى قلب المجموعة الشمسية التابعة للمجرة الكبرى فى كوننا المنظور .

د . عبد السلام العجيلى

نجمة

شعر : عـــلام عبـــدالله



● (تعاطفت معي أكثر من صمتي ...)

عندما تخضرُّ نفسي
أو تناجي الأرضَ ماءً من وريدْ
آهِ
لا مِنْ سامع ، عينٌ
ولا أذنٌ تحاورْ
أضرب الصمتَ برأسي
فأراه خشباً .. أو حائطاً
لا يستمعْ
فى انشغالِ الكدحِ والهمِّ المُراقْ
فى بساتينِ الليالي الغافياتْ
إنني أبحث عن ظلٍّ لصوتي
حيث لا مِنْ سامع ، عينٌ
ولا أذنٌ تحـاورْ
أين أنتِ .. ؟
أين أنتِ .. ؟
أضرب الرأس برأسي
رجةٌ تبحرُ من قلبى
وأخرى فى اللسانْ

رسَّبَتْ كلســاً ..
وسدَّتْ مخرجَ الصمتِ
وصمتي فى انحصارْ

أضرب الكلسَ بصمتي
تستشفُّ الآهَ مني طفلةٌ
سنبلتٌ جرحاً خليجياً بقلبي
سنبلَتْني
أنهكتْني السنبلةْ
أضرب النفسَ برأسي
لا أرى شـــيئاً

سوى ريش من البسمة
أو بؤرةِ رملٍ فى حجرْ
همسةِ نارٍ فى جسدْ

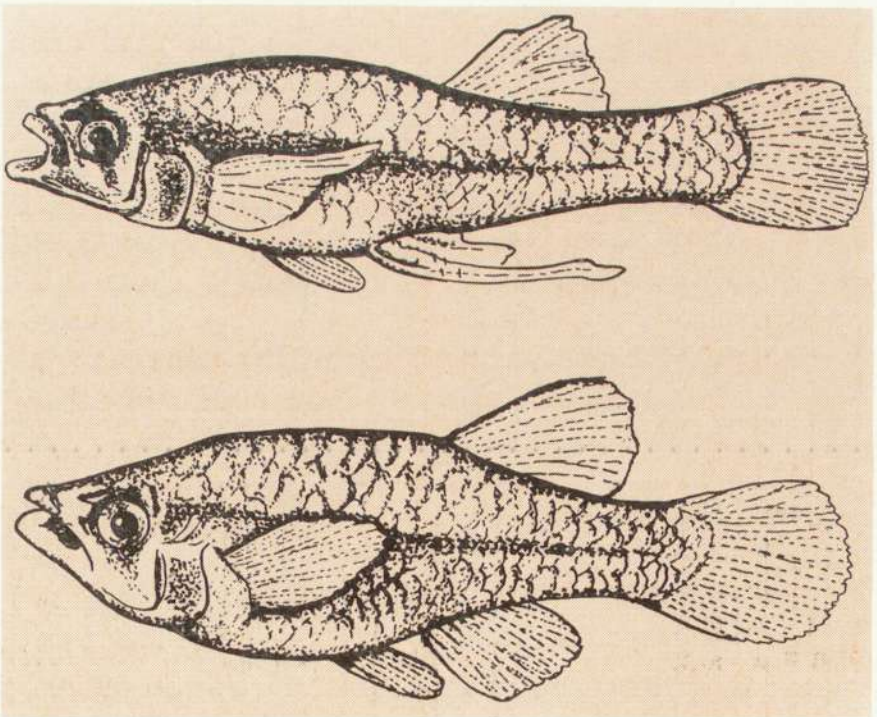
مثلما يحتضنُ الغيثُ نجيّهْ
ها أنا أحتضنُ الطفلةَ
من دونِ زَغَبْ

سمكة البعوض

والحشرة التي حيّرت العلماء

بقلم: الدكتور خليل أبو الحب

لا يختلف اثنان فى أن البعوض من أهم الحشرات التى يعانى منها الانسان ويشارك الذباب «بشرف» كونهما عَدُوّي الانسان رقم واحد من الحشرات الطبية ، فالبعوض يلسع ويمتص الدم ويترك أثراً بالغاً من جراء حقنه اللعاب فى الجرح ليمنع تخثر الدم. وتصل حساسية بعض الناس لهذا اللعاب من الشدة الى الحد الذى يحتاج فيه المرء الى التطبيب. والبعوض كثيراً ما نغص الحياة فى الريف والمصايف والمتنزهات بدورانه ولفه حول الرأس والوجه وتساقطه فى العين والاذن ، حتى فى حالة عدم اللسع والعض . وبالاضافة الى هذا وذاك ، والاهم من كليهما ، أن البعوض ينقل للانسان ـ وللحيوانات أيضاً ـ كثيراً من مسببات الأمراض مثل الرشحيات (ذات السحايا النزفية وحمى الضنك والحمى الصفراء) والأوالى (الملاريا) والديدان الخيطية (الفلاريا مسببة داء الفيل) وذلك بحكم طبيعته الطفيلية واعتماده على الدم فى التغذية وانتاج البيض .



رسم تخطيطى توضيحى لذكر وانثى سمكة البعوض التى تعيش فى المياه العذبة وتتغذى على يرقات البعوض

عانى الانسان من البعوض والأمراض التى ينقلها كثيراً منذ الأزل ولم يتمكن من مكافحتها الى الحد المرضي والجيد إلا بعد تصنيعه المبيدات العضوية الحديثة وعلى رأسها مادة الـ « د.د.ت » الشهيرة .

وقد تنفس العلماء الصعداء وظنوا انهم أخيراً وجدوا الدواء لهذه الحشرات اللعينة وما تسببه من مآس للانسان بنقلها الأمراض المختلفة . حتى لقد وصل بهم التفاؤل الى حد أن منظمة الصحة الدولية أصدرت قرار إبادة الملاريا عام ١٩٥٥ وراحت الدول الصغيرة والكبيرة ، المتقدمة والنامية تعمل على تطبيق القرار .

ولكن مع الأسف لم تطل الفرحة ، فقد أبت الطبيعة أن تنصاع بهذه السهولة للانسان وتراجع الانسان أمامها فى قضية مكافحة الحشرات ـ وهنا البعوض ـ باستعمال المبيدات والاعتماد عليها كلياً . فالحشرات لا تموت بالمبيد كما كانت لنشوء المقاومة لديها ، والمبيدات نفسها احدثت ضجة وصرخة عالية نظراً لما تسببه من

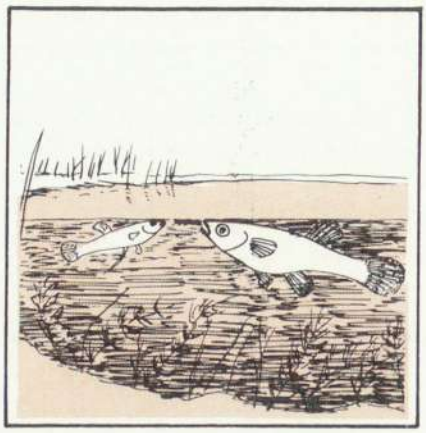
تلويث للبيئة وما قد يسببه هذا التلوث من اخطار ومشاكل للانسان . عندها إتجهت الانظار الى البديل او البدائل للمبيدات فى مكافحة البعوض . وكانت من هذه البدائل إعقام الذكور سواء بالاشعاع أو المعقمات الكيمياوية وعن طريق الهندسة الصحية فى ترشيد وتنظيف وردم ومنع هدر المياه لكى لا تكون محلا صالحا لتكاثر البعوض ،

وعن طريق تسخير الهندسة الوراثية فى المكافحة ولكن من أهم واحسن هذه البدائل هى اللجوء اكثر فاكثر الى المكافحة الحيوية وذلك بتسليط الطفيليات المرضة للبعوض او المفترسات للبعوض . المكافحة الحيوية ليست بالأمر الجديد فقد استعملها الانسان ـ وبنجاح ـ ضد الحشرات الزراعية ولكن استعمالها ضد الحشرات الطبية كان على حد اقل وقد ظهر ان استعمال الأسماك كان من انجع الطرق فى مكافحة البعوض حيوياً واحسن الأسماك فى هذا المضمار هى سمكة جامبوسيا افينس Gambosia Affinis

سمكة جامبوسيا .. لأول مرة

بدأ الاهتمام باستعمال السمك للمكافحة بعد أن عرف العلم علاقة البعوض بالملاريا ولكن ظهور الـ «د.د.ت» والمبيدات المصنعة الأخرى قللت ، لفترة ، الاهتمام بالسمك ، والآن وبعد حديث التلوث على البيئة وخطر المبيدات على الانسان ، أخذ الاهتمام يتصاعد مجدداً . ففى سنة ١٩٦٨ ظهرت قائمة بابليوغرافيا لـ ٦٨٦ بحثا عن استعمال الأسماك فى المكافحة ٤١٪ كانت عن سمكة الجامبوسيا افينس .

كانت هذه السمكة قد وصفت لأول مرة عام ١٨٥٤ . ومنذ أوائل هذا القرن صارت تنقل من محل لآخر لغرض المكافحة . فاول مرة نقل منها (١٥٠) فرداً من تكساس ـ الولايات المتحدة ـ الى جزر هاواى كان فى ١٩٠٥ ، وفى ١٩٠٧ اثبتت إنها كفؤة وفعالة . وفى ١٩١٣ وصلت الى الفيلبين ومنها الى بلدان الشرق الأقصى . وفى عام ١٩٢١ وبواسطة الصليب الأحمر دخلت اسبانيا ومنها الى إيطاليا ثم دول البلقان وروسيا . وفى بلادنا العربية فانها دخلت الجزائر ١٩٢٨ وبعدها وصلت مصر وقبرص وسوريا والسودان وفى العراق دخلت حوالى ١٩٤٥ . ثم إنها دخلت امريكا



وضع سمكة البعوضة (ذكر وانثى) اثناء التغذية على سطح الماء فى شراهة لا مثيل لها بين عالم الأسماك

اللاتينية عن طريق مؤسسة روكفلر . وبذلك تكون قد انتشرت من أصلها فى تكساس الى جميع انحاء العالم بفترة لا تتجاوز النصف قرن .

هذه السمكة

تعود السمكة الى عائلة Poecilliidae وهى أسماك تعيش فى العالم الجديد وقد جاء اسمها العلمى من اللغة الاسبانية يعنى «لا شيء» اى أن من يصطاد هذه السمكة فكانه صاد لا شيء .

رأسها مفلطح ، جسمها صغير وفمها ممتد الى الأمام . التباين الجنسى واضح ويظهر بعد فترة من الولادة . تصل الأنثى الى حد ٦٠ مللم فى الطول وهى دائمة النمو ، ولكن الذكر لا يتعدى ٤٥ مللم ولا ينمو بعد بلوغه الرشد . الزعنفة الشرجية فى الأنثى صغيرة ومستديرة واشعتها (أو عروقها) تتصل مع بعضها بغشاء والأشعة غير متحدة . اما فى الذكر فان هذه الزعنفة محورة الى عضو جماع .

توجد بقعة ارجوانية على جانب البطن فى الأنثى . الزعانف عادة صغيرة والحراشف كبيرة بالنسبة لحجم السمكة .

كيف تحيا ؟

تعيش هذه السمكة فى المياه العذبة فى المناطق الدافئة من العالم ولكنها تقاوم البرد فى محلات استعمالها وادخالها ، تفضل المياه البطيئة الجريان والضحلة ولكن قد توجد فى أنواع أخرى من المياه إلا إذا كانت ملوثة وحامضية . تعيش وتتغذى على أنواع كثيرة من الحشرات والنباتات المائية مثل العوائم والقشريات والأشنات والديدان . تفضل التغذية فى اول واخر النهار وتهدأ فى الليل والظهيرة . لا يبعد نظرها أكثر من (٤ ـ ٥) انجات ولكن حركة الفريسة تساعدها لذلك نشاهد إن يرقات البعوض تبقى هادئة عندما توجد أفراد السمكة فى المنطقة ، غريزة نمت للدفاع عن النفس .

ماذا عن كفاءتها ؟

لقد أثبتت هذه السمكة جدارة وقدرة وكفاءة فى مكافحة الأدوار المائية للبعوض للأسباب التالية :

- تبحث عن غذائها على سطح الماء ويساعدها بذلك رأسها المفلطح وفمها الممتد وتصل الى محلات لا يمكن أن يصلها السمك الكبير الحجم وتلائم يرقات البعوض .
- تتكاثر بكثرة وبسرعة . فهى تلد ولادة ولا تضع البيض وبذلك خلصت من الخسائر التى يسببها وضع وفقس ومعيشة البيض . قد لا تحتاج الأنثى الى التزاوج المتكرر ، مدة الحمل (٢٣ ـ ٢٤) يوماً ، تلد الأنثى على فترات ، فى كل مرة تلد (٤٠ ـ ١٠٠) فرد وقد تلد (٣ ـ ٤) مرات بحياتها . الأنثى تعيش أطول من الذكر لمدة (٤ ـ ٥) سنوات .
- تعيش وتنتعش فى وتحت ظروف مختلفة جداً واحياناً تقاوم الصعوبات ، فانها توجد فى الآبار ومياه النزيز وتجمعات المياه الأسنة وفى البرك والأحواض .
- سهلة النقل والتربية والادارة والتداول ، لذلك أمكن نقلها من محلات بعيدة وبوسائط مختلفة على الحيوانات أو الطائرات ، وفى الأحواض والأكياس .
- شرهة التغذية ، ففى ساعة واحدة أكلت سمكة واحدة ٢٢٥ يرقة وخادرة بعوض ويصل إستهلاكها الآلاف .

لكل هذه الاسباب نجد أن هذه السمكة تجد إقبالا واسعاً فى استعمالها بمكافحة البعوض الناقل للملاريا وللحمى الصفراء وتهتم بها الدول ومنظمة الصحة الدولية وتحاول تكثيرها جهد المستطاع .



جان فيرمير (١٦٣٢ ـ ١٦٧٥)

بين النسيان وصمود العبقرية

بقلم : جمال قطب

فنحن اليوم هو (جان فيرمير) أحد أقطاب المدرسة الهولندية التى ازدهرت إبداعاتها بصفة خاصة فى القرن السابع عشر ، وهو عصر تألقت فيه روائع الفن الهولندى فى أوروبا ، حتى أنه يمثل فى التاريخ عصر نهضة حقيقية بعد أن سيطر عصر النهضة الايطالى فى القرن السادس عشر من قبل .

ويعتبر فيرمير من أقل الفنانين العالميين حظاً ، وأكثرهم معاناة من الجحود وعدم التقدير والانطواء الذى فرضه عليه معاصروه .. حتى أنه مات وهو فى ريعان شبابه فى الثالثة والأربعين تاركاً زوجته وأطفاله الثمانية وهم فى أشد حالات العوز والفاقة .. بل كانوا مطالبين كذلك بتسديد ديونه المتراكمة ! مما اضطر الأرملة المسكينة الى أن تسدد الديون بعشرات من لوحاته . فحملتها لكى توزعها على الخباز والبقال والقصاب وكثير من المتاجر .. !

وحتى بعد وفاته ، فقد أسدل عليه ستار النسيان نحو مائتى عام ، ثم بدأ العالم يعترف بعبقريته وكان ذلك بفضل الفنان البريطانى الشهير (السير رينولدز) أول رئيس للأكاديمية البريطانية ، عندما زار هولندا فى أواسط القرن الثامن عشر ، فأتيحت له فرصة مشاهدة أعمال فيرمير ودراستها بامعان .. ثم أعلن على الملأ أن فيرمير يعتبر أحد عباقرة الفن فى التاريخ .

ولم يترك الفنان فى حياته القصيرة إلا نحو أربعين لوحة .. وهو عدد قليل ـ نسبياً ـ يتهافت عليها جامعوا الصور وأصحاب المتاحف .. وقد بلغت أثمان لوحاته حالياً أرقاماً مثيرة .. تعد بالملايين !

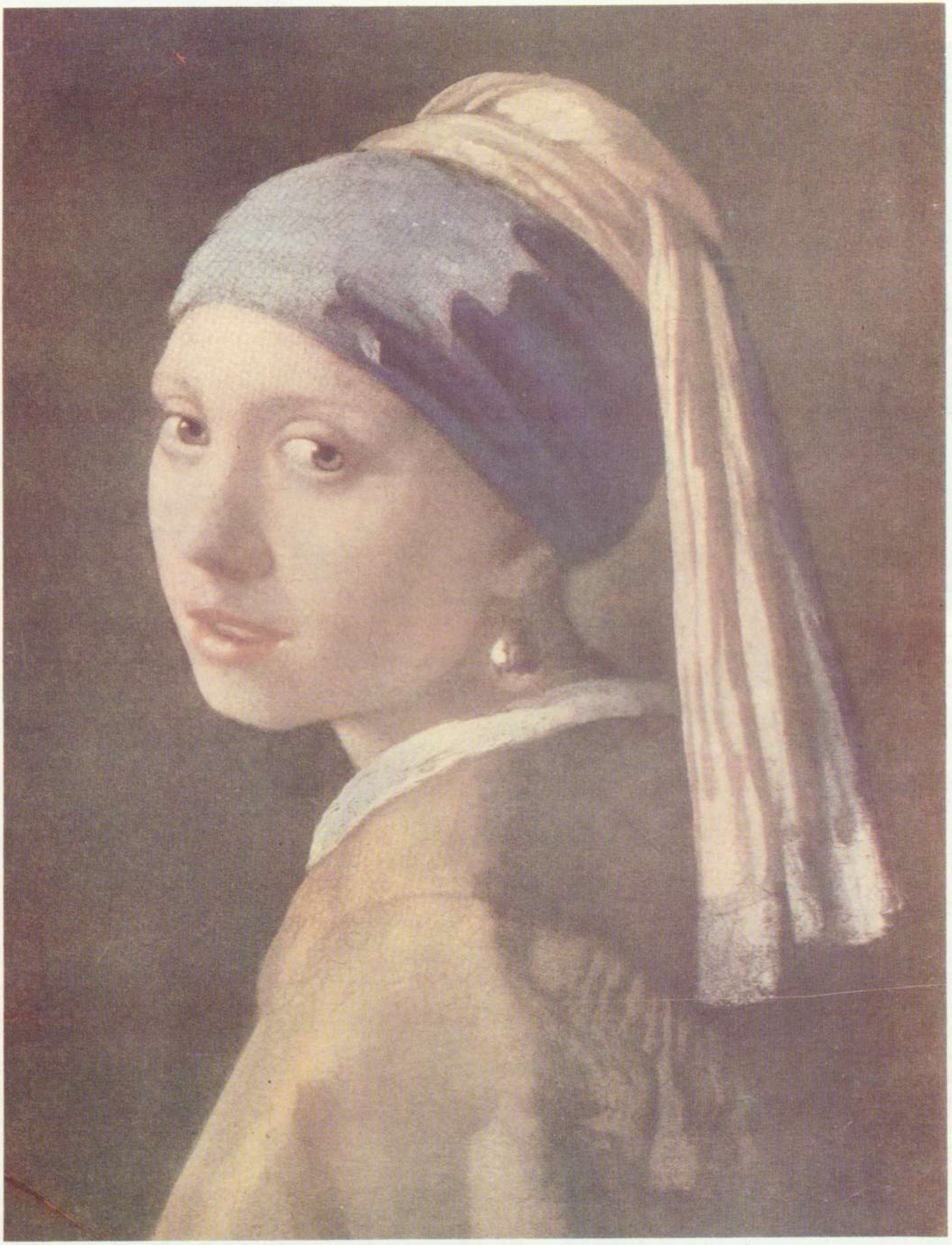
بل إن لوحة واحدة من أعماله تمثل اليوم ثروة طائلة لمن يمتلكها .. ولكننا إذا رجعنا عبر التاريخ لثلاثة قرون خلت رأينا أنه فى عام ١٦٦٣ يقول (دى مونكنيز) ـ وهو من كبار النبلاء حينذاك ـ : «قابلت فيرمير فى بلدته (دلفت) ، ورأيت لوحة له فى منزل أحد الخبازين اشتراها بمبلغ ستمائة فلورن ، وفى نظرى أن ستة بستولات كثيرة عليها» ! والبستول عملة أسبانية صغيرة لا تكاد تساوى شيئاً . ومن العجيب أن هذه الصورة التى تحدث عنها مونكنيز وهى اللوحة الشهيرة (خادمة تصب اللبن) ..

هى نفسها التى حظيت باعجاب فنان بريطانيا الكبير (رينولدز) وقال عنها : «إنها أحسن ما رأيت من أعمال فيرمير الرائعة» ! ومن عجائب القدر كذلك . أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، تحدثت صحافة العالم عن فضيحة كبرى : فقد قام فنان هولندى يدعى (فان ميجرن) بتقليد أعمال فيرمير ، وظل يقوم بهذه العملية ما بين عامى ١٩٣٥ و ١٩٤٥ .. واستطاع أن يقلد ست لوحات أكسبها طابع القدم بطريقة فنية خاصة ثم باعها بنصف مليون جنيه حينذاك ، على أنها مقتنيات أثرية من أعمال فيرمير ، وقد باع اللوحة السادسة لأحد قواد النازية هو (الماريشال جورنج) . وكان يمكن أن يظل (ميجرن) مستمراً فى تقليده وحصوله على الملايين ، لولا انكسار النازية فى الحرب وحصر ممتلكات قادتها .. فقد وجدت اللوحة ضمن مقتنيات جورنج ، وقبض على (ميجرن) بتهمة التضامن مع العدو وبيعه احدى لوحات فيرمير للقائد النازى !! .. وأسقط فى يد الرجل .. ولم يجد بداً من أن يعترف بالتزوير .. وفضل هذه التهمة على أن يعتبر خائناً لبلده ! وهكذا كشف نفسه ، وما كانت هذه الواقعة لتعرف فى العالم لولا أن اعترف (ميجرن) بنفسه ، فقد بلغ من دقة التقليد أن صنع ألوانه من المواد الخام التى كان فيرمير يصنع ألوانه منها بنفسه . كما كان يرسم لوحاته على قماش بالغ القدم يحصل عليه من مخلفات أثرية بطريقته الخاصة ! .

وهكذا كان فيرمير .. عاش مهضوماً ومات بائساً .. وهو الموهبة الفذة التى لم يعترف بها العالم إلا بعد رحيله بقرنين من الزمان .. وأثرى الآخرون والمزورون من الاتجار باسمه ولوحاته !

ولكنه ترك لنا فناً خالداً وتراثاً عبقرياً نعتبره الآن من أبرز المنارات فى مسيرة الفكر الانسانى على مر القرون !

جمال قطب



وجه .. للفنان الهولندى « جان فيرمير »

لقطات من الكون المثير



التاكسي العائم!

يقولون فى الامثال « ابن الوز عوام » .. لكن هذا الابن او البنت الصغيرة قد ضربت بهذا المثل عرض الحائط ، وارادت ان تثبت شيئاً من دلال الاطفال ، وفى هذا لا يختلف طفل اوزة .. عن طفل قطة او قرد او انسان .. فرغم ان هذه الاوزة الصغيرة تستطيع ان تسبح بسهولة تامة منذ خروجها من بيضتها ، رغم ذلك ، فقد اتخذت امها بمثابة « تاكسى » عائم ، لتنعم بسفر مجانى ، ولهذا استكانت بين جناحيها ، لتنعم بالدفء والحنان والامان انها ـ على اية حال ـ غريزة الامومة الحانية ، والطفولة المدللة ـ حتى على مستوى « الوز » !



مخلوق غريب

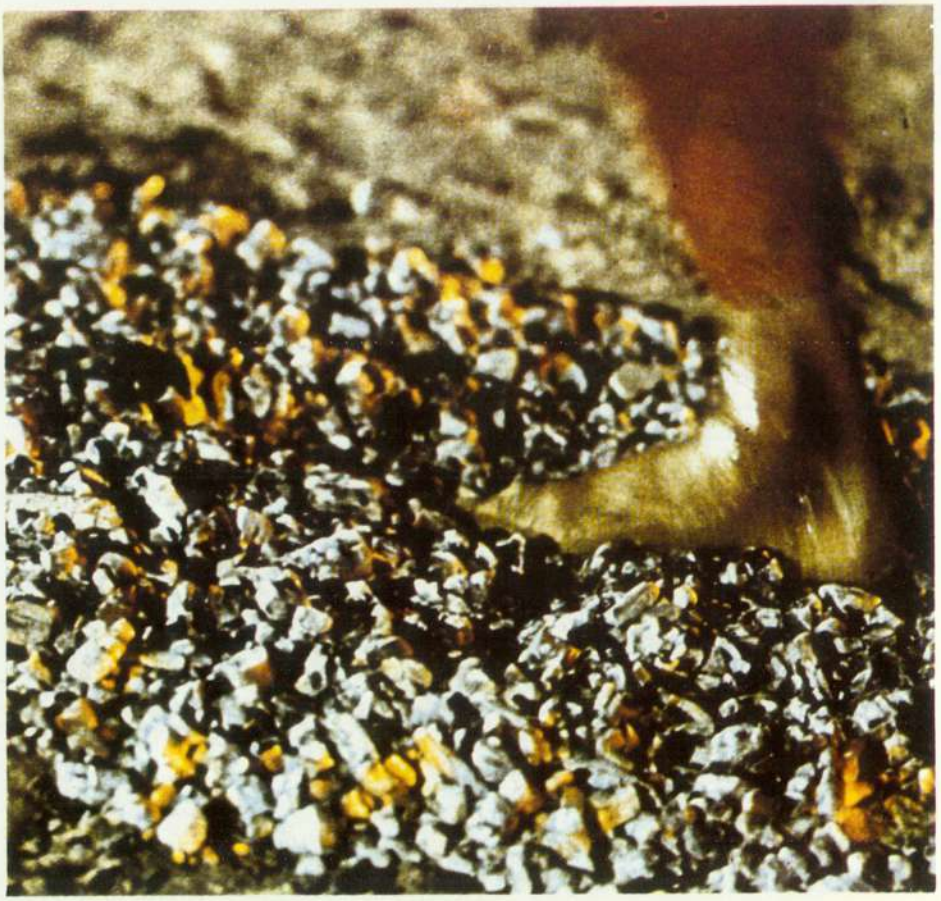
فى جعبة الحياة خطط غريبة ، وافكار مثيرة ، فيتجسد ذلك على هيئة مخلوقات تثير العجب والحيرة ، فرغم ان هذا الكائن يبدو كقطع موصولة من القش الجاف الرفيع المتراكب ، وبحيث يصعب تمييز راسه من رقبته من بطنه .. الخ ، رغم ذلك ، فهو مخلوق متخشب نهاراً ، ومتحرك ليلا ، ولهذا يعرف باسم الحشرة العصا ، لأنها تشبه العصى الصغيرة المتراكبة ، ولقد جاءت بهذا التكوين العجيب لتلعب لعبة من العاب التمويه او التخفى ، اذ عندما تقف ساكنة بين الأغصان الجافة الساعات الطوال ، تبدو كانما هى جزء من الأغصان ، فتهرب من عيون الأعداء ، وهكذا جاء كل كائن لما هو ميسر له .

هل يطرح السقف ثمارًا؟



مزرعة غريبة لمحصول من الطماطم فى احدى المناطق الجبلية المعزولة ، وقد علقه اصحاب البيت فى سقف منزلهم بعد ان قطفوه غضاً أو أخضر ، لينضج بعد ذلك بالتدريج وهو لا يزال متصلا بجزء من النبات المقطوف ، وكلما نضجت بعض الثمار قطفوها ليستفيدوا بها ، والغريب ان هذا المحصول – الذى يقدر وزنه هنا بحوالى ٨٠ كيلو جراما – يظل صالحاً للطعام فترة قد تتجاوز عشرة شهور ، مالم يعبث أحد بالمحصول ، ولاشك ان هذه فكرة طيبة تمخضت عنها عقول هؤلاء الناس للاكتفاء الذاتى بمحصولهم ، وبهـــذا لا يستوردون ولا يصدرون ، نظراً لصعوبة المواصلات فى مناطقهم الوعرة التى جعلت منهم مجتمعاً فريداً فى نوعه يسكن حتى الآن فوق جبال البيرينيز الواقعة بين فرنسا واسبانيا !

هل يمشي حقًا على النار؟



بالتاكيد نعم .. فلقد التقطت هذه الصورة للمدعو فيرنون كريـج الذى اطلق على نفسه اسم « كومار » فى الاحتفال الدولى « لليوجا » الذى اقيم بانجلترا فى ١٤ اغسطس عام ١٩٧٦ ، وفى هذا المشهد – الذى جمع عدداً غفيراً من الناس – فرشت الأرض بجمرات متوهجة من الفحم ، ومشى عليها كومار (من ولاية أوهايو الأمريكية) عارى القدمين ، ولمسافة أربعة امتار ، ولقد قيست درجة حرارة الجمرات بواسطة البيرومتر (ترمومتر لقياس درجات الحرارة العالية) ، فسجل ٨١٢ درجة مئوية ، وهى اعلى كثيراً من درجة الحرارة اللازمة لشواء اللحم (فى حدود ١٦٣ درجة مئوية) ، ولقد ذهب البعض فى تعليل ذلك مذاهب شتى ، فمن قائل انه سار منوماً ، ومن قائل انه اوحى الى نفسه أن النار تحت قدميه ستكون برداً وسلاماً ، ومن قائل انه درب « روحيا » على هذا الأمر ، او ان لديه قوة فائقة لتحمل الألم ، ولما سئل عن ذلك قال : انها سمو الروح على الجسد .. ربما ! .. فمن يدرى ؟ !



« الدوران .. اللف » .. إحدى اللوحات التى حاول الفنان أن يبرز فكرتها عن طريق أسلوب الفن الدائرى

الفنان الكويتى خليفة القطان .. خاطب عقل المشاهد من خلال موضوعات وأفكار جذابة



خليفة القطان

فنان كويتى يقتحم عقل المشاهد بالأفكار!

بقلم : يوسف أحمد

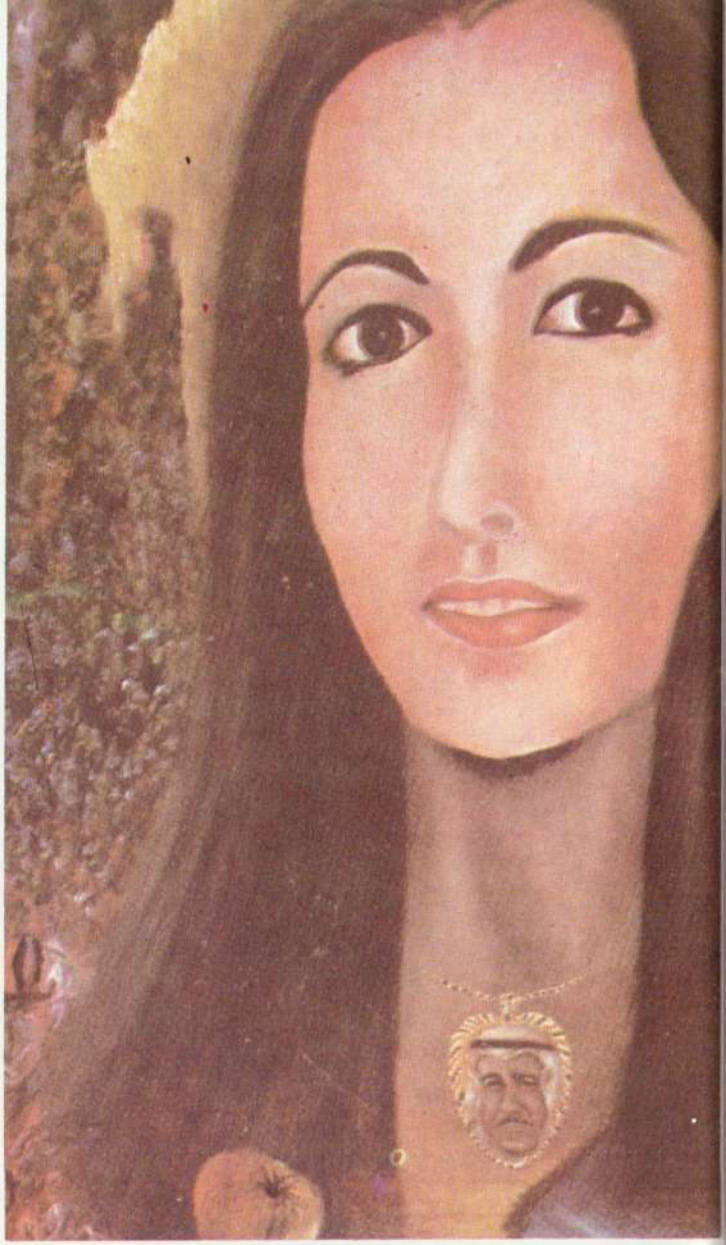
لا يذكر الفن التشكيلى فى الخليج العربى ، إلا ويذكر الفنان الكويتى خليفة القطان صاحب مدرسة (السر كلزم) أو الفن الدائرى فى التصوير الحديث .. فهذا الفنان الذى ولد فى عام ١٩٣٤ ، بدأ يمارس الفن منذ ثلاثين عاماً مضت ، استطاع أثناءها أن يعبر عن فنه بصدق ويقدم معاناته المليئة بالرؤى والأفكار المتعددة التى تدل على جدية الفنان وأصالته وموهبته المتميزة التى جعلت الكثير من النقاد يتحدثون عنه من خلال آراء مختلفة وإن كانت فى مجموعها تؤكد عبقرية ريشته فى لوحاته الذكية الموحية وانسجام الألوان والظلال مع وحدة الموضوع فى كل عمل فنى قدمه لنا !

والواقع أن الفنان خليفة القطان هو أحد الفنانين التشكيليين الذين شغلتهم قضايا الحياة فاقتحموا عقل المشاهد من خلال موضوعات وأفكار جذابة ، تثير فى النفوس خاصية الاستمتاع والتأمل ورقة الأحاسيس ، فى اطار يتعدى الحدود التقليدية للوحة مع الغوص إلى أغوار النفس الانسانية بما تنطوى عليه من مركبات وخصائص نادرة وقيمة فى وقت واحد !

وأعمال الفنان خليفة القطان تتميز ـ أيضاً ـ بدرجات الألوان الحارة والباردة ، فهو يستخدم التناقضات اللونية فى بناء العمل الفنى وتحديد شخصيات اللوحة بتعابير معينة تخدم الفكرة الأساسية التى يسعى إلى ابرازها ، ولهذا رأينا فى لوحاته الوجوه الزرقاء والصفراء والخضراء وهى تختلط تارة باشكال « التفاحة » أو « البيضة » لتترجم ما يدور من أفكار ومعاناة فى أعماق نفسه !

ويلخص الفنان فكرته عن المدرسة التى يقدمها وهى مدرسة « السركلزم » أو الفن الدائرى بقوله : « كلمة واحدة هى التطور تعطى المعنى العام لطريقة السركلزم ، فالسركلزم دراسة بواسطة الفن عن طريق الخطوط المنحنية والألوان ، إذ أن الفنان يحاول أن يعبر بها عن القصة الكاملة للموضوع المقصود .. فكل شىء من حي أو جماد على الأرض أو بداخلها فى البحر أو فى الجو بل وجميع ما فى الكون من مرئى وغير مرئى يخضع لقانون واحد ثابت هو التحرك الدائرى المستمر » ..

ويرى الفنان أن لطريقة الفن الدائرى قواعد محددة ثابتة يستطيع بواسطتها الفنان التوصل إلى نتيجة طيبة ، وهذه القواعد هى الخطوط ، وتكون على منحنيات أو على أشكال دائرية ، وهى القاعدة الأساسية للتعبير عن التطور وعن الحياة ، فمثلا إذا بدأنا السير من نقطة معلومة ، وواصلنا السير قدماً لانتهينا إلى النقطة التى بدأنا منها ، وهذا لا يعنى أن



الثمرة الخيرة



الموج .. النار .. العواصف



الرحمة .. الانقاذ من الوحل

السير قد انتهى بل سيستمر على هذا المنوال إلى مالا نهاية ويعنى أيضاً أن التطور الدائم موجود فى هذا الكون ، وان الغرائز مثلا لا تنتهى بانتهاء الأفراد ، فهى مستمرة ، لأنها تولد مع الفرد ، وهى تدور وجوداً وعدماً مع البشرية !

ويحدد الفنان خليفة القطان فكرة اللون بأن لكل لون مدلوله الذى يرمز إليه ،وبواسطة هذه الألوان يمكن التعبير عن الغرائز والانفعالات ، فمثلا اللون الأسود يرمز إلى الغموض والموت ، واللون الأبيض هو العفة والصفاء ، واللون الأحمر هو الحب والخطر ، واللون الأزرق يعنى الطمانينة والبرودة ، واللون الأخضر هو الشباب والحسد ، وبينما نرى فى اللون الأصفر الرفاهية والحقد ، فان اللون البنفسجى هو الحظ والقوة الخ !

ويرى أن الطبائع والعادات والأفكار والأحاسيس وغيرها موجودة فى جميع المخلوقات لا يمكن رؤيتها ، ولكن بواسطة السركلزم يمكننا رؤيتها ، وذلك عن طريق الخط واللون والأرضية !

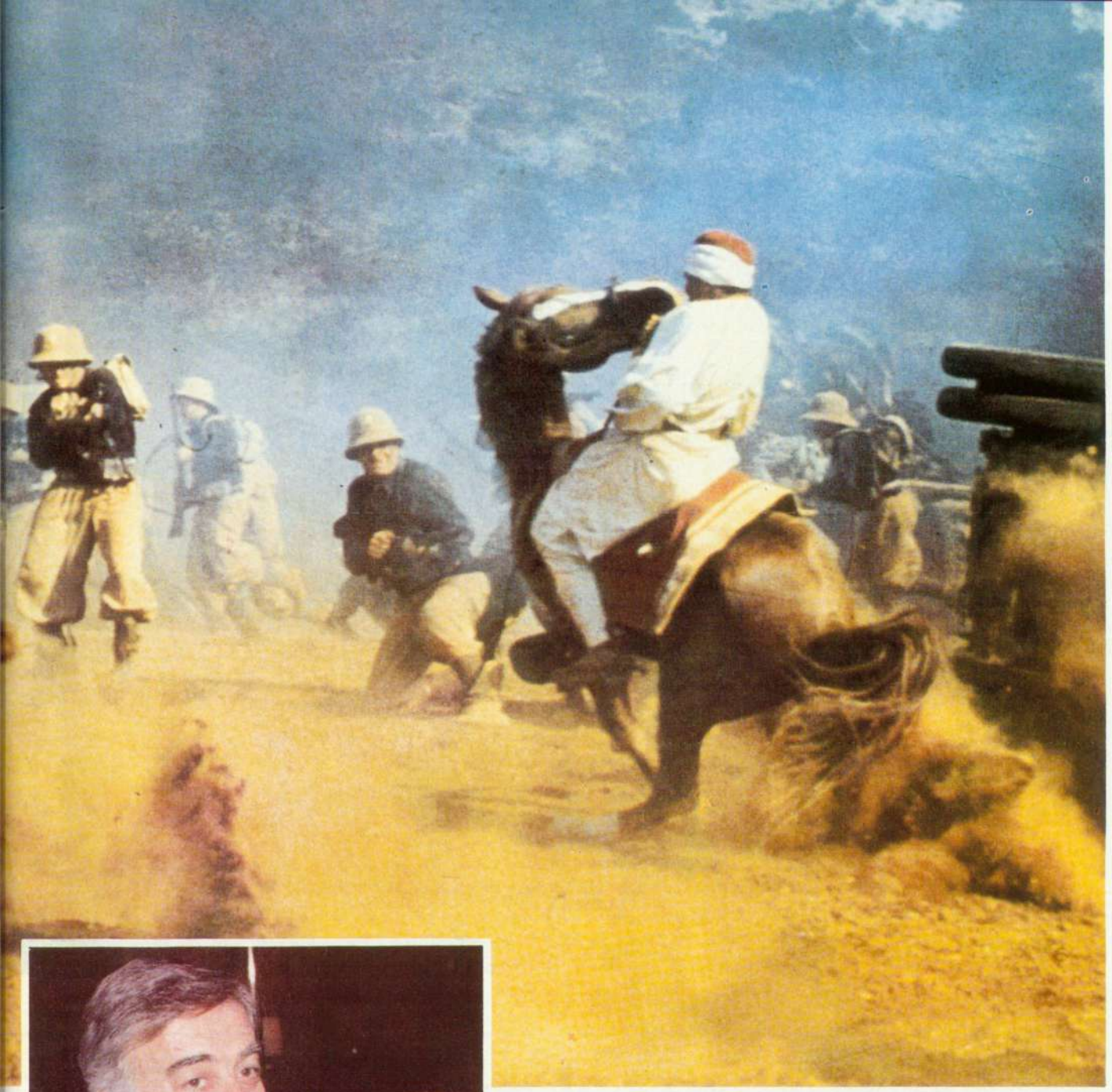
ويعتبر الفنان خليفة القطان صاحب أول معرض شخصى فى الكويت ، أقامه عام ١٩٥٣ بالمدرسة المباركية بعد أن وجد نفسه متجهاً الى الفن منذ نشأته وقد اتيحت له فرصة لدراسة فن النجارة فى بريطانيا ليعود ثانية إلى الكويت عام ١٩٥٨ لياخذ مكانه فى هيئة التدريس بالكلية الصناعية وانتقل بعد ذلك إلى وزارة الاعلام ليشتغل مشرفاً بالقسم الهندسي ، وقد ظل فى هذه الوظيفة حتى منح حق التفرغ ، وأصبح ثانى فنان كويتى يعطى هذا الحق بعد الفنان عيسى صقر !

ويعتبر خليفة القطان صاحب أكبر رصيد بالمشاركة فى المعارض سواء على المستوى الشخصى أو المستوى الجماعى ، فقد أقام أكثر من أربعين معرضاً شخصياً فى الكويت والبلاد العربية والأجنبية ومنها ايطاليا ، امريكا ، لندن ، باريس ، المانيا الشرقية ، وغيرها من عواصم العالم .. وكذلك اشترك فى أكثر من ثمانين معرضاً مشتركاً مع فنانين كويتين وآخرين !

لقد زار الفنان خليفة القطان دولة قطر مرتين الأولى عام ١٩٧٦ لحضور حفل افتتاح المعرض الثالث للفنانين التشكيليين القطريين ووقتها أبدى اعجابه بالمستوى الذى وصل اليه الفن التشكيلى القطرى .. أما الزيارة الثانية فكانت عام ١٩٧٧ حينما أقام معرضاً خاصاً لأعماله التى تميزت بالأصالة والابداع ..

وباختصار فان خليفة القطان فنان له ريشة يجسد لنا من خلالها حرفية متطورة فى سبيل التعامل مع الحدث والزمن واللون .. وهو صريح حتى العمق .. وموجع حتى العظم .. وصادق كل الصدق !

يوسف أحمد



مشهد رائع من فيلم « عمر المختار » يمثل المواجهة بين الجيش الايطالى المزود بكامل العتاد الحربى ، وبين اتباع القائد الليبي من رجال الصحراء الذين رفضوا الخضوع او الاستسلام ثم المخرج السورى العالمى مصطفى العقاد .



حوار مع
مصطفى العقاد

أجراه :
جميل العابد

الطائر العائد من خلف المحيط !



« ... أعود الى الوطن بين الحين والآخر ، لمجرد الاحساس بالأصول التى تربطني به ، ولكى أتنفس هواء فيه بلسم لصدورنا التى هجرها الدفء » .

« ... تمر السنون ونحن غرباء . يغالبنا الحنين الى التراب .. الى الشمس التى لفحت وجوهنا ونحن صغار .. الى الأم التى رضعنا فى لبنها الحب الذى لم ننسه » .

« ... أعود لكى أغرف من ينابيع أرضنا .. لأسمع لغتى ، ولأزود روحى بشحنات قومية وعاطفية تساعدني على المضي فى الدرب الشاق » .

أصغيت للطائر العائد من خلف المحيط . ورأيته ، من خلال كلماته ، وهو يحط على غصنه المحبب .. يختال تيها بعلياته وبالأفق الواسع أمامه .

تابع كلامه يقول لي :

« اننا أصحاب حضارة . العالم يعرف ذلك . والحضارات وان اندثرت أعمدتها ، فان حكمتها تبقى كنزاً انسانياً لكل بنى البشر . هل تعلم اننا ساهمنا بالهبوط على سطح القمر .. وان نظريات العرب فى علوم الفلك والكيمياء والرياضيات مازالت شاهداً على اقدم المنارات التى اضاءت ظلام عهود مضت ؟ » .

واردت أن أبدي رأيا حول هذه النقطة ، لكنه استطرد : « المنطق يحتم علينا ان نستلهم من شخصيتنا الحضارية طريق المستقبل . والمنطق يحتم علينا ان ننهض بأعباء التحدي الكبير الذى يواجه أمتنا ، فنحارب على الجبهات فى الداخل والخارج » .

هنا عرفت اني أمام تجربة ، واني أواجه بذرة طيبة من هذه الأمة .

بدأت كلماته تتراءى لي ، بالاضافة لمعانيها ، صوراً تتابع بسرعة ، وتختلف ألوانها باختلاف المشوار العربى والتاريخ العربى الذى وعاه ويتصدى الآن لاظهاره كما يحق له أن يكون .

إنه مصطفى العقاد . المخرج السينمائى العربى الذى قدم للعالم حديثاً ، من بين ما قدم ، فيلمى « الرسالة » و « عمر المختار » . فعل ذلك بعد أن أينعت خبرته ، وبوحي من تمسكه واعتزازه بالقيم



ثلاث شخصيات .. الممثل العالمى « انتونى كوين » الذى لعب دور عمر المختار .. والممثل « اوليفر ريد » فى دور الجنرال « رودولفو جرازيانى » الذى قاد المعارك بقسوة .. ثم الممثلة الكبيرة « ايرين باباس » التى لعبت دور مبروكة

والمعاني التى حملها فى ثنايا ملابسه وخلايا روحه وهو يقلع من مطار دمشق ، فى سن التاسعة عشر ، الى العالم الجديد

وقد عرفت الرجل فى فيلم « عمر المختار» الذى عرض هنا فى الدوحة قبل سنتين تقريباً . وكنت قرأت فى الصحف والمجلات المحلية والأجنبية ، فى أواسط العقد الماضى ، خبراً أثار فى نفسى مزيجاً من الأمل والقوة ، مفاده أن مخرجاً عربياً اسمه مصطفى العقاد قد حط الرحال فى الصحراء الليبية على رأس جيش عرمرم من ألمع النجوم فى العالم ، وفى مقدمتهم الممثل الأسطورة « انطوني كوين » ، وانه ، حينذاك ، يوجه تلك الجحافل الفذة لتصور سيرة ذلك البطل الخالد .

لم يدهشني ، فى ذلك الوقت ، أن مشروعه رصدت له عشرات الملايين من الدولارات ، بقدر ما أدهشنى وهزني كون تلك العمل سيخرج من قلب الصحراء العربية حقيقة ناصعة البياض .

هل تعلمون لماذا « انطوني كوين » ، ونجوم هوليود ، واللغة الانكليزية ، فى عرض قصة ذاك البطل ؟

الجواب بسيط :

استخدم العقاد تلك الوسائل والطاقات لكى يتمكن ببراعة مذهلة وقدرة واعية من التسلق فوق الأسوار المنيعة عبر البحر الأبيض وعباب الأطلنطي ، وكسر العوائق والحواجز الطبيعية القائمة ، ثم اقتحام بلاط القيصر والدخول اليه والجلوس على مائدته ، ومخاطبته بلسان يفهمه هو وحاشيته .

ولأن القيصر وحاشيته يفقهون الفلسفة والبلاغة وعلوم المنطق ، فقد بدأ العقاد جهاده وهو واثق من احراز النصر فى النهاية !؟

دخل كل بيت ، وتحدث مع المجتمعات



بعد فشل أكثر من محاولة للقضاء على عمر المختار ، استدعى موسوليني أكثر قواده العسكريين شراسة لسحق أسد الصحراء بأى ثمن !

الغربية فرداً فرداً . حدثهم عن عمـــر المختار ، وقبله عن الرسالة المحمدية ، ولم يغب عن ذهنه أن يوحي لهم جميعاً بأن هناك حقائق عديدة أخرى .

الحضارة الاسلامية

كان كل ذلك فى ذهنى وأنا أحاور الفنان العربى مصطفى العقاد .

● سألته ، بداية أن يحدثنا عن الأهداف التى حققها من زيارته لدولة قطـــر .

أجـــاب :

ـ « لقد تشاورت وتبادلت الرأي مع ســـعادة وزير الأعلام الأســـتاذ عيسى غانم الكواري حول مشاريع اعلامية على المستوى العالمي ، ولها علاقة بالوطن العربى . إن الأخ عيسى من المشجعين والمتفهمين للاعلام الخارجي » .

● هل هناك مشروع معين قيد البحث ؟

ـ « نعم . فيلم عن الأندلس والحضارة الاسلامية هناك ، بالاضافة لمسلســـلات تليفزيونية عربية ذات أهمية على مستوى عالمى » .

● إذن ، هناك توجه عام لتعريف الغرب بالثقافة والتاريخ العربي ؟

ـ « انى لا أهتم بالاعلام السياسي . ما أهتم به هو البعد الحضاري للاعلام .. اعلام يشمل كل الأمة العربية كوحدة . لقد شرحنا الرسالة وما هى الرسالة . شرحنا فكراً عن الجهاد وعن المقاومة . أريد أن أقول للغرب اننا لسنا كما يتصورون أمة ترعى الجمال وتسكن الخيام وتفترش الصحراء . لقد كان لنا فى الأندلس حضارة .. لذلك ساحاول أن أقدم فيلماً ذا خلفية حضارية ، ويشمل فترة عبد الرحمن الناصر التى تعتبر الفترة الذهبية لحضارتنا وأوج ازدهارنا . هناك أيضاً فكرة « الفتح » . وطبعاً ليس بامكاننا طرحها للعالم ، لأن



حشود من الجيش الايطالى تحاصر رجلا واحدا طالما قاومها ببسالة .. عمر المختار فى الأسر بعد أن وقع من فوق جـــــواده !



ضراوة المعارك الحربية ، والقوة الهائلة التى جندها موسولينى ، أمام مجاهـــدين كان ســـــلاحهم الأكبر هو الايمـــــان

الفتح يعتبر بنظرهم استعماراً . من أجل هذا ، سوف نبحث امكانية عمل أفلام عن طارق بن زياد وعبد الرحمن الداخـــــل لجمهورنا العربي فقط » .

« ان الفترة الأخيرة ، وهى سقوط الأندلس ، تشكل أهم الفترات التى يجب أن نتعلم منها . إنها تصور كيف كان العرب متفرقون ، مما أتاح الفرصة لايزابيلا وفرناند للاستيلاء على غرناطة ، وكيف بكى عبد الله الأحمر الصغير عندما سلم المفاتيح .

هذا الفيلم أيضاً لا يمكن عمله عالمياً . إنه للعالم العربي » .

« يهمنا أن يكون فى السينما حقائق ، تهز المواطن العربى .. لا أن نتركه يعيش على أمجاده الماضية ويخرج من مشاهدة الفيلم (مبسوط) وهو يقول « الحمد لله ، نحن كنا » . نريده أن يهتز ويشعر بالخطر ، لعله يفعل شيئاً » .

« اعلامنا يجب أن يتوجه الى العالم العربى قبل الغرب . يجب أن نعرف أنفسنا قبل أن يعرف عنا الغرب . لكن الوسائل تختلف . هناك خطة للتوجه الى جمهورنا . وهناك خطة أخرى للتوجه بها صوب الغرب » .

● كيف تفسر هذه الرؤية الصافية فى أفلامك .. هل كان التـــــاريخ من ضمن اختصاصكم ؟

ـ « إن معرفتي بالتاريخ ليست معرفة عميقة . أحب قراءة التاريخ ، لكن قراءاتي عادية .. لا أختلف فى ذلك عن أى شخص آخر . فى حال التعرض لنقاط تاريخية فى أفلامي ، فان هناك دائماً مؤرخين ، يقدمون المشورة وصقل الرؤية ، ويفحصـــــون السيناريو الموضوع من قبل كتاب أجانب لاعطائه الروح القومية . لذلك فانني لست ضليعاً بالتاريخ.

● لاشك ان المواطن العربى يفخـــــر بانجازاتك ، والأمة العربية تعتز بك وبأمثالك . ونحن نتساءل .. هل مصطفى العقاد هو مخرج فقط ؟

ـ « نحن كلنا أبنـــاء هذه الأمـــــة . وإذا كان لي أى نجاح فى الغرب بعد تغربي ، فهو يرجع الى البيئة والتربية .. الى العائلة .. الى الوطن » .

« يسافر البعض الى الخارج سنة أو سنتين ، ثم يعود وهو ينطق بلكنة غريبة ، (يلوى حنكه) وينسى لغته . معنى ذلك ان تأثير بيئته عليه كان ضعيفاً . إن تأثير البيت والمدرسة والأمة ، عندما يكون بالدرجة الكافية فانه يستقر فى دورة الانسان الدموية ، ولا يفارقه أينما كان » .

الجذور العربية

اسمحوا لي هنا أن أقطع عليكم حديث العقاد ، واستأذنكم بمنحه اعترافاً يضيف (نيشاناً) براقاً على بزته الفنية التى بدأت تزدان بالأوسمة نتيجة لوفائه وجدارته . ان موقفه من تراثه يلوح ، أيضاً فى نبرته العربية (الحلبية) الصافيـــة التى حافظ عليها على مدى أكثر من ثلاثين عاماً ، وبلا ريب حافظت عليه .. وعلى مصداقيته حين يتحدث عن ضرورة التشبث بالأصول ، ويدعونا لكى نأخذ من الاناء الذى يضم ويصون عراقتنا .

ـ « بالنسبة لنا » ، يتابع المخرج ، « لدينا مشاعر أكبر من الكلمات وأعمق من الشكوى ، لأننا ، نحن الذين نعيش فى المهجر ، لا نملك المتنفس القومى والعاطفى. أنتم هنا تستمتعون بصوت الآذان ، بسماع خطبة شعرية ، أو تصريح سياسي ، فترتاحون . الحمد لله أنتم (عاطفياً) بخير . أما هنالك ، حيث نرى العوامل المضادة من مصادرها الأجنبية السامة ، فان أعصابنا تبقى دائماً مهتزة ومكبوتة . لدينا كبت قومى عاطفى . ان الدم العربى يجرى فى عروقنا ، والجنسية الأمريكية هى مجرد جنسية عملية .. لكن الدم عربى ، والشعور عربى ، والاحساس عربى . ومهما يكن، فاننا نؤدى واجباً فى سبيل أمتنـــا وأنفسنا . وكما قلت لك ، نحن بحاجة لأن نتنفس قومياً لكى نرتاح » .

● وكيف تلائم بين ارتباطك الشديد بجذورك العربية وبين العالم الجديد الذى تعيش فيه ، فى الولايات المتحدة الأمريكية. وهل تفكر باقامة مؤسسة سينما عربيـــة (جديدة) على المدى البعيد ؟

ـ « ان أمريكا هى تجمع اقتصادى

دستورى يضم جميع الاجناس .. أفق عالمى واسع ومجالات واسعة لأصحاب الطموح العلمى . وقد حصل انى تمكنت من الانطلاق فى مجالى هناك . لكنى لم أحاول هجر عاداتى ، وأطباق طعامى ، والموسيقى التى اعتدت سماعها . لذلك تجدنا نصارع حنيناً دائماً للعودة » .

« الا أن خلق مؤسسات (سينمائية) هو عمل الحكومة . وانا لا أملك المقدرة ولا الامكانيات لكى أعمل مؤسسة من هذا النوع . وبعد ان انطلقت عالمياً ، فانى أريد أن أتابع . ومع ذلك ، أشترط فى عقدى مع الفنان العالمى أن يكون معه ممثل عربى واحد أو أكثر ، للتدريب وخلق نواة . وقد فعلت ذلك فى كل أفلامي » .

● وكيف كانت انطلاقتك إلى العالمية ؟

ـ « المهم هو التخلص من مركب النقص وهذا المركب يصيبنا عندما نسافر الى الخارج نفكر أن الأجنبى هو الأقوى والأحسن دائماً ! ! » .

« على طاولة الدراسة ، فى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس ، وبين طلاب من جنسيات مختلفة ، كانت ثقتي بنفسي تنمو وأنا المس تفوقي عليهم . الشرارة يجب أن تكون من الداخل . وعندما يختبر الانسان نفسه مع زملاء من جميع أنحاء العالم ، وفى جو من التنافس ، يجد ان قصوره وهم وعجزه خرافة . وهكذا تكونت لدى الثقة بالنفس ، فانطلقت ، بعد تخرجى من الجامعة ، متعطشاً للعمل » .

« كنت أحمل شهادة ماجستير فى الاخراج ، وكان عنوان اطروحتي "الحيل السينمائية فى التصوير الخلفي" . وكان من الصعب على أى متخرج جديد أن يلقى قبولا سهلا فى الاستوديوهات ، لانها مغلقة ولا تفتح لأى كان » .

● وكيف فتحتها ؟

ـ « بتعرفي على المخرج الأمريكى سام بيكنباه الذى عمل فيلم «الزمرة المتوحشة» الشهير . وكان ذلك المخرج ، آنذاك ، ينوى عمل فيلم عن ثورة الجزائر ، واختارني لمساعدته » .

« أثناء التحضير لذلك الفيلم ، الذى لم ينجز ، نالت الجزائر استقلالها ، وكان التعارف الجيد بيني وسام قد تم » .

« بعد ذلك ، قرر أن أكون مرافقه ومساعده فى فيلم Rise up the high country . وكان معنا فى ذلك الفيلم نجما الكاوبوى المعروفان جـــون ماكـراى وراندولف سكوت، ساعدته فى كل جوانب الفيلم بما فى ذلك كتابة السيناريو . وتولدت لدى خبرة عملية أضيفت الى الخلفية النظرية الصحيحة ، بل كنت أمتاز عن « سام » بهذه الناحية ، لأنه كان يملك الخبرة العملية فقط .

« .. من هناك انطلقت الى التليفزيون والأفلام الوثائقية . واشتغلت مدة عشر سنوات قبل أن أبدأ العمل بفيلم «الرسالة» الذى جاء وليداً للقلق اليومي الذى عانيته: كنت أرى أولادى يكبرون فى مجتمع غربي فى مجتمع يصعب علينا فيه أن نلقنهم دينهم وحضارتهم ولغتهم . لم أكن وحدى فى تلك المعاناة .. ان تلك مشكلة الجاليات العربية الكبيرة جداً ، والمزروعة فى أنحاء شتى من الولايات المتحدة الأمريكية . نحن نخشى على أولادنا من الضياع ، ومن فقدان ذلك التعلق الأبدى بالوطن .. فهم عرضة للتأثر بالعوامل الخارجية فى الشارع والمدرسة ، ومن خلال شاشة التلفزيون . هذا هو الخوف الأكبر » .

« بدأ أولادى يوجهون اليّ أسئلة دينية وقومية ، وجدت نفسي عاجزاً عن الاجابة عليها ، لأني لم أكن أملك الوسائل السمعية البصرية المتوفرة عادة لدى الجاليات من أديان أخـرى . لذلك أردت من خلال فيلم « الرسالة » أن أشرح لأولادى وأولاد غيرى من أبناء الجالية .. أردت أن أقول للأطفال .. ما هو الاسلام ، ولم يكن قصدي مخاطبة رجال الدين والفقه » .

● ومن يساعدك فى توضيح الأحداث التاريخية فى أفلامك ؟

ـ « المختصون فى مجـــالاتهم . فى « الرســـالة » ، اخترنـــا مجموعة من كبـــار المفكرين ، للمســـاهمة فى العمل . وفى فيلم « عمر المختار » ، اعتمدنا على مختصين فى التاريخ الليبي امثال علي التليسي وخليفة التليسي . وفى فيلم « الأندلس » ، سيكون هناك المؤرخ المختص أيضاً » .

● هل كنت خائفاً من الفشل وأنت تخرج أول عمل عالمى لك ؟

ـ « كان هناك خوف من عدم الوصول الى المستوى المرموق . وبدون الخوف ، لن يجيد الانسان ولن يبدع . اني أخاف فى كل عمل مهما كان سهلا ، ولا يلاحظ ذلك أحد ممن يعملون معى ، إذ أملك مقدرة عدم اظهار هذا الخوف . يظن الناس ان أعصابي حديدية ، بينما أعصابي تتآكل من الداخل . وكل الخطر ، أن يظهر المخرج خوفه أو نرفزته ، فذلك ينعكس على من حوله ، ويشل العمل . لكن الخوف موجود دائماً » .

« من ناحية أخرى ، أنا لا أحب الجلوس أو العمل مع متشائم . كما لا أحب التكلم عن الماضى الذى ذهب ، وأحرص على أن لا أضيع دقيقة واحدة بالتفكير فيه . المخرج هو قائد ، وطبيب نفساني . هو الأب الذى عليه أن لا يهتز أو يضطرب ، والا انشلت العملية كلها . وأعتقد ان رباطة الجـــأش هي عامل لازم للنجاح . وفي تفكيري الدائم بالمستقبل ، تراني لا أنطلق إلا من زوايا ايجابية نحو العمل . »

● ما هو الالهام الذي يدفعك لبذل الجهد ؟

ـ « أليس إلهام الانسان هو حلمه الذي يسعى لتحقيقه ؟ هناك ما اعتبرته حلماً ووصلت اليه . لم أتوقف عن الحلم ... وكلما حققت واحداً ، أخلق لنفسي حلماً آخر أسعى اليه . إن حلمي هو كل الخطوات التي قطعتها : من التفكير بدراسة الاخراج .. الى هوليوود .. الى العالمية . كل تلك الأحلام كانت تتوالى . كنت دائماً أضع هدفاً أمامي .. والأهداف الصعبة هي ذاتها الأحلام التي بدونها تصبح الحياة بدون محتوى .. تصبح فارغة » .





أسد الصحراء الليبي عمر المختار فى لقطة وثائقية .. ثم أنتونى كوين الذى أعجب به ومثل دوره



عدو عمر المختار اللدود فى لحظة من نشوة الانتصار على انقاض قرية الكفرة واهلها الذين تم افناؤهم بطريقة وحشية ! !

هبوط السينما العربية

● هل ترى فى العالم العربى اتجاها نحو سينما مرموقة .. ما هى سماته ، وإلا بماذا تنصح لتحقيق هذا الهدف ، وكيف تحدد المشكلة الجوهرية التى تعاني منها صناعة الفيلم العربي ؟

ـ « بامكانك القول : يجب أن نرى السينما العربية محترمة . اما ان تصبح السينما العربية عالمية ، فمستحيل . السينما الأمريكية هى وحدها العالمية ، نجوماً ولغة واسلوباً . انها طاغية فى كل شىء » .

« السينما الفرنسية والايطالية والانكليزية واليابانية ليست عالمية ، والسينما الهندية ، التى هى اضخم من الأمريكية ، مازالت محلية ، الا انها قوية ومحترمة .. عندهم مستويات عالية فى الاخراج والفن والتوزيع » .

« اننا نامل أن تصبح السينما العربية مرموقة .. لكن مشكلتها هى كونها مخنوقة اقتصادياً يجب اطلاق الحرية الاقتصادية للسينما ، ولابد من حرية التوزيع . إذ لا يمكن لمنتج أن يصرف على فيلم أكثر مما يمكنه أن يسترد من عائدات ذلك الفيلم . ومع الأسف ، كل الدول العربية اقامت مؤسسات حكومية تستغل التوزيع .. واصبح المنتج ياخذ مبلغاً مقطوعاً . ومعنى ذلك انه لن يقدم مستوى ارفع لانه لن يملك ايراداً من وراء الفيلم . لذلك هبط المستوى . فى الماضى كانت الأفلام العربية اقوى بكثير لأن المستثمر كان يربح ، كما لزداد عدد الذين وظفوا اموالهم فى السينما وبدأ الشباب يتخصصون فى هذا الفن » .

« أما الآن .. فقد تعثرت السينما العربية .. والناس يتذمرون من تدنى المستوى ..

« وهناك مشكلة كبيرة أخرى تعاني منها السينما العربية ، ألا وهى عدم توفر كتابة السيناريو الجيد . عندنا أدباء وكتاب قصة لكن تحويل القصة الى سيناريو سينمائى ، عملية تحتاج لحرفية وتقنية لا يملكهـا كتابنا » .

● إذن ما هو هدف السينما ؟

ـ « التسلية » ..

« أنت لا يمكنك تحديد الهدف . ان الهدف يحدده الجمهور الذى يدفع من جيبه لمشاهدة الفيلم ، والجمهور يفعل ذلك من أجل التسلية فقط . هل رايت أحداً يدفع دراهم لسماع محاضرة ؟! لا اظن . والسينمائى الناجح هو الذى يولد الاثر المطلوب فى نفس المشاهد عن طريق التسلية والاثارة ، أى بشكل غير مباشر » .

« السينما الهادفة ، والسينما الثائرة ، كل هذه تسميات مخرجي مقاهى ! إذ عليك أن تتمكن من جعل الجمهور يتفاعل مع الشاشة . ما الفائدة من عمل تحفة سينمائية إذا لم يشاهدها الجمهور ويتفاعل معها ؟ هناك مخرجون يعملون أفلاماً بهدف نيل جوائز فى المهرجانات . وبعد أن تعرض هذه الأفلام فى السينما للمواطن العادى ، لا يأتي لمشاهدتها أحد ، فتسقط جماهيرياً .

« السينما هى تسلية .. فن يجمع فنوناً سبعة ، من تصوير وصوت وموسيقى وتمثيل واخراج ، وغير ذلك . انها مجموعة فنون فى فن واحد » .

شعرت وأنا اغادر مجلسي مع العقاد ، باني اودع محارباً يتاهب للجولة التالية . ولأنى أؤمن ايماناً شديداً بنبل مسعاه واهمية هدفه ، فقد اعتراني حزن ، لعلمي بانه لا يملك العدد المطلوب من الالوية وقادة الفصائل للانتشار فوق الهضاب ووراء السهول ، وبانه ، فوق ذلك ، يمتشق سلاحاً (فردياً) يواجه به أبواق التحدى السافر وطبول الصلف الأعمى .

ابتعدت وأنا أفكر بالانجاز الكبير الذى حققه هذا الرجل عندما جعل ما يقارب مائة مليون أوربى وأمريكى يشاهدون ويتاثرون بقصة البطل العربي عمر المختار .. واترقب بحماس بالغ وعده القادم عن « الأندلس » ثم « صلاح الدين الأيوبي » .

جميل العابد



تعتقد قبائل « اوكوس » الهندية أن هذا القناع يساعدها في الحصول على محاصيل زراعية وفيرة !



فتاة من قبائل « الجولجوس » أمام بيت منسوج من شعر البقر الأسود !

مجتمعات تعيش في الماضي

بقلم : وليد عياد

مازالوا يرقصون بالثعابين .. ويرتدون الأقنعة !!

هذا العالم المليء بالمتناقضات ، مازال أناس فيه يعيشون حياة الماضي ، ومازالت قبائل عديدة في أرجائه تمارس أغرب العادات والتقاليد ، فبينما نرى في بعض مدن اسبانيا من يستعملون «التنور» في تجهيز طعامهم ، نجد أن قبائل «النباخو» الأمريكية يرقصون والثعابين السامة معلقة في أفواههم ، ونجد بدو الصين يصرون على قطع خصلة شعر من ضيوفهم ، وبعض القبائل الهندية ترتدي الأقنعة وتضيء الشموع فوق قمم الجبال الثلجية ، وهذا بخلاف زعيم احدى القبائل في افريقيا الذي يستخدم مكبر الصوت كوسيلة لنقل الأخبار !



الأطباق الفضية على ظهرٍ فستان الفتاة وهى فى كامل زينتهـــا !



زعيم القبيلة يحمل مكبر الصوت كوسيلة لنقل الأخبار بدلا من قرع الطبول ، فهناك بعض المبتكرات التى لم ترحل مع رحيل الاستعمار

ولعلنا سمعنا عن قبائل «الجولجوس» التى تعيش فى مناطق جبلية ترتفع حوالى اربعة الاف متر فوق سطح البحر ، ويبلغ تعدادهم حوالى مائة الف نسمة !

إن ابناء هذه القبائل يعرفون المعنى المباشر لتسميتهم بذلك الاسم (جولجوس) .. إنه يعنى الرؤوس المعكوسة ، وذلك لشدة عنادهم

وحتى عام ١٩٨٢ لم يجرؤ اى غريب او او سائح على الوصول إلى منطقتهم التى تقع فى اواسط الصين ، وذلك لكثرة الخرافات والأساطير التى حكيت حول بطشهم وشراستهم .

وفى الخمسينات من هذا القرن ارسل (ماوتسى تونغ) جيوشاً جرارة (لتدجينهم) وبعد معارك ضارية وسقوط الاف القتلى من كلا الطرفين قررت حكومة (ماو) ان تمنحهم حكما ذاتيا خاصا وبالتالى الغت المشاريع التى كانت تنوى إقامتها هناك .

ومن غريب عاداتهم انهم إذا ارادوا ان يظهروا صداقتهم ومودتهم لزائر ما ، فان المضيف وبدون سابق انذار يستل سكينا حادة ويقطع خصلة من شعر الزائر ، ويقطع خصلة اخرى من شعره ، وثالثة يقصها من ذنب فرسه ، ويجدل الخصل الثلاث حتى تصبح مثل الكرة ليقدمها لناسك المعبد ، وبناء على ذلك إذا ما رايت حصان إحدى (الجلاجسة) قليل الشعر فى ذيله فذلك يعنى ان صاحب ذاك الحصان لديه أصدقاء كثيرون .



وتقطن قبائل (الجولجوس) فى غالبيتها بيوت الشعر المنسوجة من شعر بقر (القطاس) الأسود ، وبيوت الشعر تلك مثبتة فى الارض لدرجة انها تقف ثابتة امام رياح وأعاصير تصل سرعتها الى ١٠٠ كيلو متر فى الساعة .

ومن عادات التزين والتجميل عند نسائهم هو تعليق عدد من الصحون الفضية على ظهورهن (يصـل وزن هـذه الصحون احيانا الى ٥ كيلو جرام) وكذلك يقمن بتجديل شعورهن الى (١٠٨) جدلات . وهذا الرقم بالذات له اسباب ويعتبر سرا من اسرارهم !

النبع الصغير

وتزخـر المـدن الاسبانيـة بعادات ومعتقدات لا تمت الى واقعها الأوروبى الصناعى بصلة ، ومن تلك المعتقدات حرق تماثيل مصنوعة من الخشب والكرتون فى الميادين العامة !

مجتمعات تعيش في الماضي

مازالوا يرقصون بالثعابين .. ويمتدون الأقنعة !!



بيت من الشعر في أواسط الصين حيث يحرص سكان هذا البيت على اخذ خصلة من شعر الضيف الزائر !



مهرجان شعبي تستخدم فيه الالوان الزاهية والمساحيق وعقود الخرز والريش وايضا القبعات

وقد حاول الدارسون معرفة المبررات العقائدية التى تقف وراء تلك العادة ، ولكنهم لم يصلوا الى نتيجة معقولة ، إلا **ان البعض يعتقد انها عادة استشرت في** دمائهم قبل الفتوح العربية وانقطعت إبان الحكم العربى وعادت الى الظهور ثانية بعد خروج العرب من الاندلس عام ١٤٩٢ ميلادى !

ويعتقد اخرون انها مظهر من مظاهر القوة والحكمة التى نقلوها عن طارق بن زياد عندما حرق اسطوله على شواطىء الجبل المعروف باسمه ..

ومن عاداتهم أيضا تبادل الخبز والملح مع الجار الجديد الذى سكن فى حارتهم !

وفى العديد من القرى الاسبانية مازال الأهالى يستعملون (التنور) فى تجهيز طعامهم ، حيث يضعون الطعام (مكشوفا) فى طرف التنور وفى الطرف الآخر يشعلون النار فى الحطب ، ولكل نوع من المأكولات له نوعية معينة من الحطب والاعشاب البرية ، فقطعة حطب من شجر البلوط مع قليل من اعشاب (كف مريم)ليستعملونهافى شواء لحم الضان ، وحطب شجر اللوز لشواء لحم الأرانب .. وهكذا .. وذلك كي تمتص الأطعمة الرائحة الزكية لمختلف الأعشاب البرية .

ومن **العادات** التى تثبت وفاء جزء كبير من اهالى (طليطلة) **لأسلافهم الاندلسيين** وهم بقايا العرب المسلمين الذين يطلق عليهم (AL MOZARABES) هو ان **نساءهم**يلبسن الشال الكبير الذى يساعدهن على إخفاء وجوههن فى حالة مرورهن بالقرب من إنسان غريب عن منطقتهن .

ومن المعتقدات التى يتناقلونها ابا عن جد هى قصة نبع صغير يسمى (تنهدة العربى) . يقع هذا النبع على تلة قبالة مدينة غرناطة الشهيرة ، حيث انه وفى نقطة معينة وعندما هبط (عبد الله الصغير) تلك التلة فى طريقه الى منفاه الأبدى واختفت عن ناظريه معالم غرناطة الرائعة سقطت من عينه دمعة حارقة على الأرض التى فجرت **ينبوع** ماء رقراق ، لم يزل (بخريره) يبث شجونه الى العديد من الأندلسيين الذين يذهبون اليه لقضاء فترات من الاستجمام !

بطارية الميكرفون

وعلى صدى دقات الطبول يجرى تناقل الأخبار والمعلومات بين القبائل التى تسكن «غينيا الجديدة» والمكونة من قرابة ٦٠٠ جزيرة ، والواقعة الى الشمال من إستراليا فى المحيط الهادىء ..

ويحاول ابناء البلد الذين يصل تعداد سكانهم الى اكثر من ثلاثة ملايين نسمة ان يتفاهموا بين بعضهم البعض باكثر من ٧٠٠ لغة ولهجة وان يتقدموا الى نهاية القرن العشرين بخطى ثابتة بعد ان امتص الاستعمار البغيض خيرات بلادهم على مدى قرن من الزمان ولم يترك لهم سوى طرق معبدة وسيارات شحن قديمة ومحطات بنزين تتباعد عن بعضها البعض مئات الأميال !

لقد رحل الاستعمار منذ قرابة العشر سنوات ومع قصر هذه المدة لم يستطع ابناء (غينيا الجديدة) الحفاظ على اللغة الانجليزية التى تركها لهم الاستعمار البغيض ، حيث قاموا بتحريفها حسب الجرس النطقى البدائى لكل قبيلة .

ومما يميز قبائل «غينيا الجديدة» عن بقية شعوب الأرض انها إنتقلت من العصر ما قبل الحجرى الى القرن العشرين من دون المرور بالعصر الحديدى او النحاسى .. الخ

وهذا من دون شك يرهق عقولهم حيث انهم يقومون بالتقليد الاعمى لعادات لا تتناسب مع طبيعة حياتهم اليومية .

وقد اخذوا بتسمية ابنائهم باسماء لا تمت الى واقعهم بصلة مثل (فلاش جوردون (توم توم) و (جوزيف ستالين) !

كما ان بعض المبتكرات لم ترحل مع رحيل الاستعمار البريطانى الذى سبقه الاستعمار الالمانى وتلاه الاستعمار الاسترالى وذلك مثل الشمسية التى تقي الشمس عن رأس صاحبنا فى الادغال ، ومكبر الصوت الذى اتخذه زعيم القبيلة وسيلة لنقل الاخبار بدلا من قرع الطبول !

وهناك قبائل (أوكوس) الهندية التى تقطن فى القرى المحـيطة بمدينة (كوزكو) فى (البيرو) الواقعة على الشاطىء الشمالى الغربى لأمريكـا الجنوبية .

ويقول المؤرخون ان قبائل تلك المناطق مازالوا يمارسون طقوس غريبة تناقلوها أبا عن جد منذ الاف السنين وحتى يومنا هذا !

ومن غريب عاداتهم انهم فى منتصف شهر (يونيو) من كل عام يصعدون الى قمم جبال شامخة ترتفع قرابة خمسة الاف مترا فوق سطح البحر حاملين معهم صولجانات مزينة بمختلف انواع ريش الطيور ، متجهين للسماء الى حيث تشرق الشمس ، غير ابهين الى تدنى البرودة هناك الى عدة درجات تحت الصفر !

وحال وصولهم الى قمة جبلهم يقيمون المخيمات ويشعلون الشموع فوق الثلوج التى تنصهر بدورها مكونة حفرا صغيرة تتراقص فى جوانبها تعابير لانعكاسات ضوئية ، يحورها تفكيرهم المحدود الى تصورات خرافية ، معتقدين ان هذه الجبال الجليدية ما هى إلا مقابر أرواح سلفهم والتى أتت على صورة رياح وأعاصير لتسكن تلك القفار على مقربة منهم .

وقبل عودتهم من بين الغيوم يقومون بنشر كتل من الجليد ويربطونها على ظهورهم ويهبطون بها الى قراهم حيث يوزعون قسما منها على المرضى معتقدين أن فى ذلك شفاء لهم ، وجزء اخر من هذه الكتل الجليدية يغلونه فوق النار مع الشعير ويتركونه لكى يبرد ليشربوه خارج أكواخهم فى الليالى المقمرة !

وما تبقى من جليدهم يحتفظون به على شكل سوائل فى زجاجات لاستخدامه على مدار السنة !

ومن العادات المتبعة لديهم اعتقادهم بان أرواح الحقول قد تكون غير راضية عنهم ، ومن الجائز ألا تعطيهم محاصيل وفيرة فى الموسم ، لذا فهم يلبسون الاقنعة ويخرجون بها لايهام ارواح الحقول بانهم أناس آخرون مختلفون عمن سـكن الديار السنة الماضية ، لعل تلك الأرواح تعطى هؤلاء القادمين (الجدد) محاصيل أكثر وفرة !

الرقص بالثعابين

ومن المعروف أن قبائل (النباخو) الأمريكية كانت تسيطر على معظم أراضى أمريكـا الشمالية من مشرقها الى مغربها إلى أن وصل إليها الرجـــــل الابيض وبقوة المدفع والبندقيـــــة التى لم يكن يجابهها سوى بطولة الهندى الاحمر الذى لا يحمل من السلاح سوى قوسه أو رمحه ، أخذت تتقلص أراضى قبائل (النباخو) كما حدث وشاهدنا العديد من أفلام رعاة البقر !

وفى عام ١٨٨٢ قررت السلطة الحاكمة فى واشنطن تطويق القبائل المنشقة ، ومصادرة أراضيهم وحصرهم فى بقعة أرض قدرت مساحتها بـ ٢,٥ مليون هكتار . وفى عام ١٩٨٢ رأت الحكومة فى واشنطن أن تستولى على أراض أخرى وقلصت البقعة التى يعيشون فوقها الى ١,٨ مليون هكتار !

ولكن ومع كل هذه التحديات بقي الهندى الاحمر صامدا فى أرضه ورافضا انتزاع جذوره من الأعماق ولم يهاجر على الرغم من شدة التعسف الطبقى والاجتماعى الذى لاقاه ومازال يلاقيه على ايدى الرجـل الابيض ولم يزل محافظـــا على (عادات ومعتقدات) توارثها أبا عن جد .

ومن عاداتهم الذهاب الى (قبب ملحية) توجد على مقربة من (جران كانون) . حيث انهم فى إحدى شقوق القبة الملحية يضعون بعض (عرانيس الذرة) التى يغطونها بريش من نسر ويقوم أكبر المتواجدين سنا باشعال عشب معين ذى رائحة زكية فى غليون مصنوع من الفخار ويأخذ نفسا من ذلك الغليون وينفخه فوق الريش الذى يغطى (عرانيس الذرة) ، وفى اليوم التالى يعودون الى نفس المكان ويرفعون (العرانيس) الى السماء وبصوت عال يبدأون فى دعوة الأرواح من حولهم بان تأتى لمشاركتهم فى طعامهم ، وأما عن أمكنة هذه الشقوق فتبقى سرا لا يعرف مكانها سوى الكبار منهم !

ولأعراسهم عادات غريبة فهم يربطون الأجراس والقواقع على سيقانهم وعلى إيقاع نغمات ناي من القصب يستمرون فى الرقص حتى صباح اليوم التالى ، ويلى ذلك معركة يتقاذفون بها الشتائم وكتل الطين وهذا جزء مهم من طقوس أعراسهم .

وفى طلبهم (للمطر) يقومون فى البحث بين الحقول عن الثعابين السامة وعندما يحصلون على كمية منها يحملونها معهم الى ساحة القرية ويمسكون رؤوس الثعابين فى أفواههم (الثعابين السامة تلك



الصعود إلى قمة الجبل ، حاملين صولجانات مزينة بمختلف انواع ريش الطيـــــور

تسمى أمهات الاجراس) ويأخذون فى الرقص والثعابين معلقة ، حتى يتناصف الليل ، وإن حدث خلال الرقصات أن لدغ ثعبان أحد الراقصين فى فمه فذلك يعود حسب اعتقادهم أن ذلك الشخص قد تفوه يوماً ما بكلام بذيء وبعد أن تنتهى حفلة (الاستسقاء) يطلقون الثعابين لتـذهب الى جحورها من دون أن يصيبوها بأذى . ومن يشاهد تلك الثعابين وهى هاربة من ساحة القرية يقول : إنها تشبه فرقة من المشاغبين قد خرجت لتوها من حفلة (ديسكو) .

ومن كل ذلك وغيره ، نرى كيف أن العالم مازال يزخر بأغرب العادات والتقاليد ، ومازال يحيا فى طقوس قديمة لم تقترب منها عصا القرن العشرين ، ولعل هؤلاء فى عاداتهم البسيطة الساذجة أسعد حالا من الذين ينفقون كل وقتهم فى انتاج أسلحة الدمار وهم يرتدون أحدث أزياء العصر ويمارسون أحدث تقاليد وعادات المجتمع الراقى !

وليد عياد



الفنـــانة الأردنية رمزية باج .. اقامت معرضـــها مؤخرا فى مدينـــة الدوحة



لوحة زيتية من ٢٧ لوحة شاهدناها للفنانة فى المعرض الذى اقيم بفنـــدق الخليج فى الدوحـــة ، وكان مثـار اهتمام الكثير من النقـــاد والجمهـــور

رمزيـــة بـــاج

فنانة تنتقي ألوانها دون صخب!

بشـــرى نـــاصـــر

الرحيل : هو البداية .. وهو النهاية .. منه نبدأ .. وعنده ننتهى .. والكائن البشرى محاصر بهمـــوم الحياة .. مغرم بالترحال والتجوال .. مشبع بالبحث عن أسرار المستقبل ..
ورمزية باج انسانها متعب .. يظل يعدو .. ويعدو .. قد يصل .. وقـــد لا يصل ..
وقد التقيت بها فى معرضها الـــذى أقيم فى فندق الخليج بالدوحة ، كانت تسير بحيوية ورشاقة ، لا تثقل خطواتها المساحيق أو البهرجة . فعالمها بسيط ،الاهتمام فيه بالأعماق أكثر من الاهتمام بالمظهر . ودون جلسات تحضيرية وجدتنى أجلس أمامها .. أنصت إليها فى شغف .. فهى فنانة تنتقى مفرداتها كما تنتقى الوانها ، دون صخب !

ببساطة متناهية تتحدث :

● نادرا ما أقوم بعمل تخطيط على الورق أو وصف تشريحى للعمل الذى أنوى الابتداء به .. كل الطقوس تعتمل فى الذاكرة .. حين أشعر بالفكرة قد بدأت تكتمل فى تكوينها ونضج ملامحها ، وأنها قد تبلورت تماما ، اطلق سراحها وأبدأ فى معايشتها على القماش ولأذكر على سبيل المثال عملي « الحرب الاهلية » . اخترت منذ البداية أرقام ١ ، ٢ ، ٣ .. ولكنى لم اقدم لنفسي شروحات اكثر ، لأنها معي .. هنا فى الذاكرة .. وربما حين أعمل تكوينات لونية اولية .. تفقد اللوحة كثيرا من طفولتها .. الحلم .

قد تمتد المسافة بي فى تحويل اللحظة الابداعية من الحلم إلى الواقع ، ولكن أمام تلك اللحظة أجد صرامة كبيرة ، فلا أسمح لشيء ما يتعبني أو يحول بين أن انتهي من حالة المخاض تلك . وتجدينني بين كل فترة وأخرى أتوقف لأدور مع اللوحة فى حوارات واسئلة : إن كانت راضية عني .. أم لا ؟ ما أريد قوله . أننى لا اصنع « الاسكتش » كاملا بالوانه كشكل مبدئى . لأنى أحب الاحتفاظ بأفكارى عن العمل الابداعي دون

تسربه في عمل تخطيطات واستعدادات ، تعرضه للارهاق ، وقد لا يكون ساعتها بكرا كما أحب .

● ... المواضيع التي استهدفها في اعمالي مختلفة متنوعة . ولاكن اكثر تحديداً . فمنذ ١٩٧٥ تقريباً ، وجدتني اغرم بموضوع الانسان .. طالما انه واحد لا يختلف في كل اقطار العالم بكل ما فيه وما يحمل . ومن هنا اتجهت لأجسده بكل ما يعتمل بداخله بكل حالاته .. وبكل تطلعاته وهمومه . وحين نلتقي بالتاريخ . نقراه ، ونراه . نجد الانسان قد كون التاريخ وحده وقراءاتي دائماً توحي لي بالرحيل ..

كيف يحمل الانسان الاول جسده ويشدني باندفاعه البشرى ؟ وتخصب خيالي حركته الجسدية ، من أجل الحركة والتنقل بما فيه من شاعرية ؟ ..

● إضافة إلى روعة اللحظة تلك .. لحظة المحطات والتجوال .. التوقف والمسير .. اللقاء والوداع .. الذكرى والنسيان .. ودراسة التاريخ تثريني من ناحية فنية .

وتشكيل الأفكار بصورة متكررة دون محاولة للتجديد أو تطوير المواضيع مهما كان الموضوع مثيراً ، فلن يجد تاثيرا لدى الجمهور .. والحدث الفني في اللوحة مهم .. ومهم جدا . ولكن ليس على حساب « تكنيكيته » ومحاولة التجديد في إخراجه .. وإلا فلن يكون الفنان الذى يسير على خطى غيره سوى نسخة !

وبالنسبة لي الطموح دائم الاشتعال .. يهمني كثيرا أن اختط لنفسي مساراً وطريقاً جديداً وليس تقليدياً . وهو الذى يدفعني دائما لسؤال اللوحة حين استريح معها : اما زلت معك ؟

● ... تكرار الموضوع في عدة اعمال يزيد في تاكيد المفهوم وترسيخه لدى المطلع او المتفرج .. ويفيده .

قد اجيء بالترحال واصنع منه عشرين لوحة .. في كل لوحة أجد ما أقوله فيه وبشكل مختلف ..

● أحاول حين ارسم .. ان اختزل .. دون بهرجة أو تشتيت للموضوع . الغناء القصصي .. جمالية الخيال .. رقة المشاعر ورهافتها .. كل ذلك ليس بالضرورة أن يتحقق حين اضيع وسط الالوان والخطوط وتجسيد العين والشفاه .. وعموما عملية الاختزال دائما أصعب سواء كان ذلك بالريشة أو بالحرف .. فاناحينها احتاج الى كثير من الالمام والتكثيف .. وكما قلت طالما كان الانسان همي .. فاهتمامي ينصب في التركيز على إيماءاته .. إشاراته .. تحركاته .. بكل ما فيه من سكنات وتحركات .. وليس فيما يلبس أو تحتوي تقاطيع وجهه . وقد تتجه انظارنا ساعات طويلة إلى شيء ما .. لا نحس به .. ولا ندري بوجوده !

انا هنا افكر بالعمل من هذا المنطلق .. لا احادث عينيك .. وإنما اقوم بمخاطبة شعورك .. الدخول الى اعماقك .. وحتى اوصل لك رسالتي ، وبشكل جيد ، فاني احتاج إلى الامساك بيدك لأوصلك إلى ما أريد ، دون تضليل في مسارات مبهمة وأمور هامشية .

● يفقد الانسان كثيرا في يومه .. الفن التشكيلي باستطاعته أن يعيد اللحظات التي لا تعاد .. يجسدها أمامه .. ليعيشها فترة أطول والفن التشكيلي له أدوار كثيرة في التسجيل بحرارة وبعاطفية كبيرة ..

الفن يعطيك طعم الموسيقى .. ومذاق اللون ...

وقد يكون العمل الفني تجريدياً ، لا يعبر بالضرورة عن شيء ما ، ولكنه يظل بالنسبة للمبدع أو لنقل الفنان عبارة عن فعل .. ورد فعل .

● المفردات لدى الكاتب مختلفة .. لكل مفردة مجموعة أحرف .. ثمة مفردة طويلة .. وأخرى قصيرة ... هناك كلمة لها وقع جيد .. أو بشكل معاكس .. احياناً تحس بلفظ كلمة ما .. ناعماً .. الكلمات عموماً كل كلمة لها شخصية معينة ... الألوان لدى الفنان .. كل لون يحمل جمالية وطابعاً وشخصية مميزة ... البعض يفضل لونا ما دون بقية الألوان الاخرى،والتذوق العادي في هذه الحالة قد يضم اللون .. لأن اللون جميل .. ولكن اختياره إلى جانب لون اخر ، أو تشكيله في مجموعة متناسقة ، هو الذي يجعل اللون الواحد مزهواً بجماله .. ممشوقاً .. وسعيداً .

والانشاء التصويري هو الذي يعمل في أن يظهر لكل لون شخصية .. ذلك هم من هموم الفنان التشكيلي إلى جانب مهمة ترويض الفكرة لتولد على القماش بشكل متعاف وصحيح البنية .. وليس مشوهاً على الأقل بالنسبة له . وذلك أمر يحتاج كثيراً من ذات الفنان ، ولنذكر الخيال هنا .. فهو حصان جامح .. لا يحده طوق ولا تعب .. يطير بأجنحة لا ترى .. ولكن يبقى التنفيذ هنا وكيف يستطيع الفنان أن يركض وراء ذلك الحصان ولأبعد حدود يصلها كي يمسك به الفنان ...

● كل عمل فني له أهميته بين الأعمال الأخرى . وبشكل منفصل قد يحدث أن يوحي لي عمل ما بعمل اخر ، يتصل أو يبتعد عنه . ولكن عموماً أعمالي أغلبها ـ وكما لاحظ كل من ارتاد معرضي الاخير ـ نفس الموضوع يتدرج في أكثر من لوحة وبشكل ترقيمي .. ولكل لوحة نكهتها ومذاقها ..

● المرأة لا تختلف عن الرجل وقد تتفوق عليه أحياناً من ناحية قدرتها على الاحتمال ... الرجل في كثير من الاحيان نظلمه حين نعتقد انه يفرغ نفسه تماماً لابداعه ... على العكس تماماً من وضع المرأة التي تضيع ما بين متطلبات الحياة اليومية وارهاقاتها . الرجل ليس كائناً مسخاً ، بل يتحمل اضعاف ما تتحمل المرأة من هموم يومية ومتاعب في توفير المستوى الاقتصادي الجيد . والرجل لابد أن يخرج من بيته وبشكل الي . المرأة قد تظل ملازمة البيت إذا لم تكن موظفة ، فتجبر على منح كل مسألة حقها وهنا تتاتى أهمية توفير الوقت لكل جانب ، دون أن يضيع حق أمر على إخر ...

ولابد في هذه الحالة من وضع برنامج ومنهج ليومها ، حتى لا تفقد في النهاية أهم ميزة تتمتع بها ، وأهم حقوقها في أن تكون مبدعة . فتتحسر ساعتها ، وتلقي باللوم وتسلط جام غضبها على المسؤولية ومتاعب الحياة .. وتظل اخيراً المحافظة على القدرة الابداعية وتربيتها والحفاظ على عافيتها : مهمة المبدع وحده دون أي تدخل من غيره ..

بشرى ناصر

الفنانة في سطور

● رمزية باج .. من مواليد عمان .

● درست الفن أكاديميا على يد الفنان فائق حسن في بغداد .

● تخرجت عام ١٩٧٢ م . حصلت على بكالوريوس في الفنون الجميلة بدرجة شرف سنة ٧٢ م .

● حصلت على بعثة من المجلس الثقافي البريطاني سنة ١٩٧٤ م للدراسات العليا في كلية الفنون في برايتون .. وتخرجت بامتياز .

● استقرت ثلاث سنوات في يوغسلافيا .. ثم انتقلت الى القاهرة .. قدمت الى الدوحة سنة ١٩٧٩ وعملت كمحاضرة في التذوق الفني بجامعة قطر ما بين ٨٠ ـ ٨١

● اقامت معرضاً في عمان ١٩٧٤ بالاشتراك مع الفنان محمود صادق .

● معرض خاص في برايتون ـ انجلترا ـ عام ١٩٧٥

● معرض في بلجراد عام ١٩٧٨

● معرض في القاهرة عام ١٩٧٩ .

اقتحام

بقلم: وليد إخلاصي

— ١ —

كان هناك رجل يتمدد على أرض الغرفة . الغرفة كانت عارية وموحشة . وكان ثمة بساط صوفي قديم يغطي البلاط بالألوان الباهتة ، فيخفف من تلك الوحشة المزمنة ، ولكن زخارفه تمازجت بآثار تراب الحذاء الذى رسم الحيرة عليه أقدام مشتته ، فبدت الأرضية وكأنها طلاسم تحيط بالجسد المنهك .

وها هي الجدران تنتصب شاهقة ، تطل ساكنة على الفراغ المستسلم لضوء خفيف بينما جدار منها قد غطي بنافذة معلقة ، فيما الجدران الباقية قد استخدمت لتسجيل كتابات غريبة ورسوم مختلفة ، خطها بيده المرتعشة الرجل الوحيد الذى يسكن الدار ، عبر أيام طويلة من الانتظار والخوف والتردد فى الاستسلام .

قلق عبرت عنه الأقدام الحائرة تجوب الغرفة ، وخطوط التصقت بدهان الجدران القديم . تلك كانت أشياء سابقة ، ولكن القرار الأخير الذى اتخذه ساكن الدار ، كان حاسماً لا رجعة فيه . أن يتمدد أرضاً بكل ثقله الذى يحمله جسده الناحل ، بينما عيناه تتأملان العدم الذى اجتمع فى السقف رطوبة بيضاء ، خالها لفترة زمنية نبذته أمواج الصور المتلاحقة ، فطارت من فوقه كالحمام الميت .

يوم إثر يوم ، فتصبح السنة مكتملة . الزمن يمشي بطيئاً فى جسد الأيام ليصبح عمراً . الأيام تموت . الأيام تأتي ، والرجل يتعلم لعبة الانتظار . لم تعلمه مهنة التدريس فضيلة الصبر ، ولكن ما يحدث للدار هو الذى جعله يقاوم التآكل .

فى الفترة الأخيرة ، اختفى اسمه من شفاه الجيران وذاكرتهم ، وبات اسمه (الحكاك) . جاء الحكاك ، ذهب الحكاك ، اختفى الحكاك ، الحكاك يكلم نفسه . وكان من الممكن أن يصبح اسمه (المخبول) ، لولا احترام أهل الحي لمهنة التعليم . ويبدو أن المعلم قد استسلم للاسم الجديد ، وما عاد يعيره أى اهتمام ، وسقط على أرض الغرفة لا يحس بالزمن الا اذا سُمعت ضربات المعاول فوقه تنهش سطح الدار . واذ تتوقف تلك الضربات المتواترة ، يموت الزمن الا من نبض الانتظار .

وكان جهاز الهاتف بارداً ، لم يُسمع له صوت منذ أيام كثيرة . وتوقف الماء فى الأنابيب ، فلم يبق له وجود فى الدار الا فى الزير الذى ملأه المعلم بنفسه منذ يومين من حنفية السبيل القريبة . وقد مر على انقطاع الكهرباء أسبوع كامل ، فبدت آثار الشمع على الأرض وكأنها مرض جلدى تناثرت بثوره على كل بقعة . لقد انقطعت كل صلة بالعالم ، وظهرت الدار معزولة عن الحياة ، ولولا نبض قلب الحكاك وحركاته المتخبطة ، لبدت وكأنها مقر للاشباح .

كانت الدار آخر عمارة تقاوم . والمعلم آخر المتشبثين . ومع انتشار الخراب ، تحول الحكاك الى حكاية تثير فضول الجميع . ويتنادى أطفال الحارة ، الذين ملأ التراب عيونهم وأنوفهم ، إلى تسلق السلم الخشبي الذى ارتكز على الحائط الشرقي ، يحاول كل منهم أن يسرق نظرة من المعلم عبر النافذة التى يلصق وجهه بزجاجها المتسخ مرسلا بعينيه تبحثان عن المعلم ، فاذ به يتمدد على الأرض كالمجنون الميت ، فلا يلبث ولد آخر أن يستحثه بالتخلي عن مكانه على السلم كي يأخذ نصيبه من الفرجة .

« دعني أرى الحكاك . جاء دورى . لا تكن أنانياً واعطني مكانك » .

ولكن المعلم الذى تصله أصوات الأطفال كخربشات على لوح الزجاج ، لا يبدى أى اهتمام ، ولا يعير فضول الأولاد المشاغبين أهمية ، وهو الذى يعرف أسماءهم فرداً فرداً .

تعود المعلم ، وهو يمر في الشارع أن يجيب على أى سؤال يطرح عليه فى اللغة العربية أو الحساب . كان صديقاً لكل الأولاد ، وهو الذى يجمعهم عادة قبيل الامتحانات السنوية فى صحن الجامع الأثرى كي يشجعهم ويشرح لهم ما خفي عنهم من معلومات . ثم أنه هو الذى تجاهل بعد ذلك تعليقاتهم ولمزاتهم ، منذ أن دخلت آليات الشركة على الحي ونشرت الخراب في أرجائه . وعندما تسلق فضولهم على درجات السلم الخشبي ، ظل مستمراً في التمدد على الأرض في الغرفة العارية ، فاتحاً ساعديه وساقيه كاشارة الضرب ، بينما عيناه تتعلقان بنقطة ثابتة فى السقف تتوالد فيها الصور والأيام ..

— ٢ —

تحولت العمارة الصغيرة إلى قلعة وحيدة هجرها العمران من حولها . وكانت آخر بناء يزحف الهدم نحوه من الطرف الشرقي فى الحي القديم ، ثم لا يلبث أن يتوقف تزمجر آلياته غضباً من عناد المعلم آخر الأحياء في العمارة الباقية .

كان الرجل هو الوحيد الذى وقف فى وجه الشركة ، فلبثت « البلدوزرات » حائرة تنظر بحقد ظاهر الى ذلك المستطيل من الحجارة المتفاعلة مع الزمن وقد استعصت عليها . وبدت الدار الباقية ، وكأنها البيت العتيق وسط صحراء من تلال التراب والأحجار والأخشاب التى خلفها الخراب الشامل .

وها هى العمارة التى كتب على مدخلها يوم بنائها فى القرن الماضى « أدخلوها بسلام آمنين » ، تبدو كالمهجورة بعد أن غادر الدار العليا فيها أهلها ، ولم يبق سوى المعلم فى الدار التى طوقتها الحديقة الميتة كانت العائلة قد باعت حصتها الى

الشركة ورحلت مع الصبية «حياة» . وقد لبث المعلم ذاهلا يوم الرحيل ، يراقب نزول الاثاث بصمت خاله الجيران المغادرون وداعاً فظاً ، فاكتفوا بالقاء تحية وداع مقتضبة لا تليق بجيرة آباء وأجداد امتدت سنين طويلة .

ما عاد الدرج مصدر أنس تدب عليه الأقدام نزولا وطلوعاً ، وباتت الدار العليا فترة وكأنها سكن للأشباح ، وعندما اقتلع عمال الشركة الأبواب والنوافذ تحولت الى مصدر للعواء اذ تدخل الريح من كل جانب.

ويوم الرحيل ، أقبلت الصبية « حياة » من بين سحب الغبار ، لتقول له برقة لم تحرك عنده سوى البكاء الخفي :

« ألن ترحل أنت أيضاً ؟ » .

ثم قالت وهى تحدجه بعينيها المعاتبتين :

« لم يبق الا أنت » .

فهز برأسه يميناً وشمالا ، ثم حك جبينه بعصبية ، ولم يستطع أن يقول كلمة واحدة ، بينما هى قالت بمرح :

« نحن راحلون » .

فهتف بلهفة مكبوتة :

ألن أراك بعد اليوم ؟!

فقالت وهى تستند بظهرها الى الحائط الذى رسم عليه منذ سنين صورة للكعبة :

« ومن قال إننا سنغادر حلب » .

ثم هتفت بشيء من التفاخر ردده فضاء الدرج :

« سنسكن فى الخالدية » .

وهو لا يعرف من حلب الا هذا الحي ، وبالرغم من تجواله مع طلابه فى كل انحاء المدينة ، الا انه رفض اى توسع لها خارج الحدود القديمة . وقال باسى :

« منطقة بعيدة والمواصلات إليها صعبة » .

ثم يهتف بقوة تزيل اى شك فى رغبة بالبكاء وقد تولدت عنده :

« لن أغادر » .

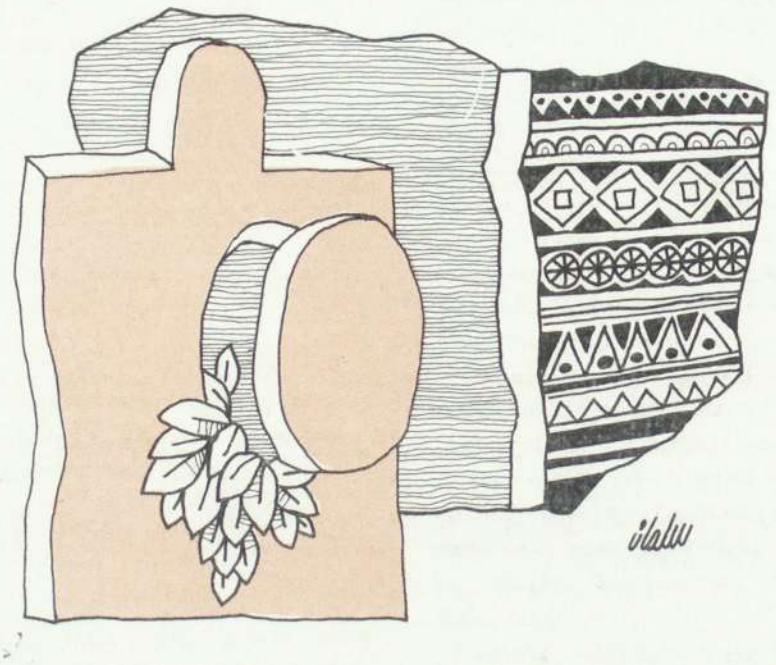
وبقوة أكبر :

« لم أولد الا فى حينا هذا ، وسأبقى فيه » .

فتنظر إليه بدهشة ، ثم تبتسم ، ثم تغيب . فيلحق بها عن بعد ، بينما يتواتر صوت الأولاد فى الحارة المقابلة :

« جاء الحكاك .. راح الحكاك » .

وينظر من شرفة المطبخ الذى شهد فى أيامه الغابرة حركة النسوة يعددن الطعام للضيوف ، فيرى نفسه وكأنه أصبح فى جزيرة . الأرض قد سويت عن طرفي البناء وظلت الحارة المجاورة بتفرعاتها الضيقة



تغلى بالناس . وها هم تجار الانقاض ياتون بعمالهم المهاجرين حديثاً من مدن محتلة ليقوموا بعمليات الفرز والتصنيف لبقايا الابنية المزالة عن وجه الأرض . جعلوا يفرقون ما بين الأخشاب والاحجار والمعادن المختلفة من نحاس ورصاص وأسياخ حديد وكان الرجل يقومون بتقطيع الأخشاب بفؤوس مسنونة ، واما تلك التى حملت الوانا وطرزت بالرسوم او بالفسيفساء فقد حملت بعناية على ظهور الشاحنات التى تنطلق بها بعيداً . كما أن المقرنصات والاحجار المنقوشة ، والأعمدة التى تهاوت بتيجانها ، فقد تجمع حولها قلة من الهواة يتفحصونها ويساومون عليها ليتم شراؤها بعد ذلك بأثمان تتفاوت وفقاً للمنافسة التى يظهرها أولئك الهواة . وقد حظيت الأحجار التى كتبت عليها الآيات أو الأشعار ، باهتمام تجار الآثار الذين جاؤوا متأخرين ، فباتت لتلك الأحجار سوق رائجة ، وبخاصة بعد أن انضم اليهم خبراء فى الترميم . ولكن سوق الآثار تلك لم تعمر طويلا بعد أن اكتشف مسؤول فى الشركة قيمة تلك الأحجار فاحتجز ما بقي منها لنفسه .

لم تدخل الآليات الضخمة فجاة الى الحارة . سبقتها اشاعات تضاربت ، فلم يأخذها المعلم فى البداية على محمل الجد قيل إن جهة حكومية تأخذ على عاتقها فتح شارع عريض لن يمس بيوت الناس ، وقيل إن رجلا ثرياً يريد أن يشترى الحي بأسره ليبني قصراً ، وقيل إن محسناً كبيراً يخطط لبناء مركز ديني يضم اليه مسجداً ومدرسة لتعليم الفقراء . ولكن شيئاً من تلك الاشاعات لم تؤثر على المعلم الذى اعتبر أن الأمر لا يعنيه ، وعندما تهاوت أحجار أول عمارة ، وتراكض الناس لبيع بيوتهم ، تطلع المعلم الذى جف حلقه من دروس الصباح ، فقدحت عيناه بالغضب إذ يعلم أن أهل الحارة بدأوا فى تسلم المال ، ثم مالبث أن حك شعر صدره الكثيف بعصبية وتمتم بكلمات غير مفهومة ، فسرها أهل الحي بعد قليل على أنها بداية لنوبة الجنون . قال المعلم محذراً .

« أين تذهبون اذا فقدتم بيوتكم ؟ » .

ويجتمع بالرجال فى المقهى ، يحاورهم ، يتمنى عليهم أن يوقفوا موجة الخراب ، فلا يصغي إليه أحد ، فيخاطب أهل الحارة الغربية التى لم تقترب منها الشركة بعد :

« احذروا فالدور قادم عليكم » .

وتنتقل أصابعه إلى رقبته تعمل فيها خمشاً رقيقاً ولكنه لا يتوقف :

« لم يبق من هذه المنطقة التى شهدت تاريخاً عظيماً الا أكوام التراب » فيرسل رجل ضحكة تختلط مع التمني :

« نحن هنا ننتظر رجالهم كي يدفعوا لنا .. كما دفعوا لكم » .

فيهتف وهو لا يتوقف عن حك أجزاء من جسده :

« ما نفع المال اذا فقدنا البيوت التى ولدنا فيها » .

فينظر اليه الرجل باستغراب :

« إنهم يدفعون بالعملة الصعبة » .

ثم يقول له :

« الحساسية مرض العصر يا حضرة المعلم ، أليس كذلك ؟ » .

اقتحام

ثم يحاول أن يكلم الناس ، فينفضون عنه وكانه بات مصدراً للعدوى .

ـ ٣ ـ

جعل المعلم يراقب تفتحها بمتعة واهتمام . الصبية الصغيرة حياة تتفتح يوماً بعد يوم ، وكان زمنها له خبرة فى كشف الستار عن روعة النمو خطوة فخطوة او طبقة فطبقة . قال انذاك لنفسه :

« هذه الصبية مثل البقلاوة » .

طالما راقب وقع خطواتها السريعة وهى تركض على السلم كالجنية فى صيف جاء مبكراً ، اعترضها المعلم عند المدخل ، وقدم لها فلة مكتنزة من الشجيرة التى قيل إن جدته رعتها بنفسها فكانت تسقيها بملعقة من الفضة فاخضرت وتفرعت وباتت لها شهرتها فى أكثر أحياء المدينة التى تطل عليها القلعة مباشرة . قال المعلم انذاك :

«لو كانت جدتي راتك لسمت فلتها حياة» .

فابتسمت الصبية كشيطانة ، وهربت من بين يديه بخفر ظل يحفر فى نفسه حتى أنساه أن يسقي الجنينة التى تحيط بالعمارة بالنارنج والياسمين والفل وأعشاش العصافير التى ستهاجر بعد ذلك مذعورة مع أول ضربة معول فى أحجار الدار العلوية .

كان حباً صامتاً تغزله دودة الصبر بمهارة ، فامتد سنوات . ومنذ طفولة « حياة » التى خلقت الضجة المحببة ، والى تفتح صباها وهى تنشر الاحلام المعطرة ، كان المعلم يضع المشاريع السرية فى الاحتفاظ بالصبية التى يعتقها دفء الشوق ، زوجة . وكان يخطط للغرفة الغربية فى الدار مسكناً للحب الذى سيعيد للحارة امجادها فى صنع الفرح الذى طالما أثار فى الماضى غيرة الاحياء المجاورة .

وعندما ماتت أم المعلم التى اشتهرت بين النساء بجمال عينيها ذات يوم فلحق بهما العمى مع زحف الشيخوخة ، قال المعلم الحزين :

« سانتظر يوم الاربعين ، ثم أطلب يد الصبية » .

وكانت أمه الطيبة قد أطلعته فى مرضها على (الكردان الذهبى) الذى تحتفظ به ليوم زواجه الذى تحلم به . فقام الى الصندوق يكشف عن الهدية الغالية فيتصورها تزين صدر حياة ، فتختلط عنده الأشواق بالحزن العميق على رحيل الأم .

ثم يحدث بعد ذلك ، ما يعيق تحقيق الحلم ، فقد غرقت أخته العانس فى الجب بينما هى تنادى على مياهه المسحورة ان تفرج عن حظها الذى قيدته كتابات الحساد وقد خيل انذاك أن رأس العانس الذى أثقلته أحلام انتظار الزوج الموعود ، هو الذى جذبها الى عمق مياه الجب الآسنة ، فقضت نحبها .

وهكذا بقي المعلم فى الدار وحيداً ، وما عاد له أحد يطلب الصبية ابنة الجيران زوجة له . ولكن الانتظار الذى عشش فى الصدر ، أطلقه ذات يوم إلى اتخاذ خطوة حاسمة ، فقرر أن يدق باب الدار العليا بنفسه ، ولكن الجيران كانوا قد استسلموا لاغراء الشركة التى كانت قد وضعت يدها على كل الابنية فى الحارة ، وضاع كل شيء .

ـ ٤ ـ

فى البداية ، كان اتصال ادارة الشركة بالمعلم مهذباً وقانونياً .

« يسر إدارة الشركة العربية للاعمار والتقدم ، أن تتقدم بعرضها اليكم ، لبيع عقاركم بالسعر المجزى . كما ويسر .. » .

وكان مصير الكتاب التمزق .

ثم ، دفعته الغيرة على الحارة ، فمشى بقدميه الى مكتب الشركة ، يريد أن يضع لمطامحها حداً . وكان مندوب الشركة مهندساً شاباً يلبس الجينز ويختبىء وراء نظارة غامقة اللون . وكانت شارة الجامعة الامريكية تبرز كالوشم على الخاتم الذهبى الذى احكم التفافه على خنصر اليد التى تلوح فى الهواء كلما أراد المهندس أن يبرهن للمعلم على أهمية أهداف الشركة فى إعمار البلد وتقديم الخدمات للناس .

ثم ، دفعه العناد إلى رفض كل الاخطار التى طرحها المهندس الشاب . وكان المندوب قد قرر أن يغير من لهجته ، فهدد وتوعد من يقف فى وجه التقدم ، فتحرك الخاتم كالسحر على المخطط الملون الذى كان الشاب يستخدمه سلاحاً يصور به مستقبل المنطقة باسرها .

« هنا سترتفع ناطحة السماء تدل على قدرة الانسان فى التفوق على الطبيعة . وعلى هذه البقعة ستتجمع أسواق تقدم الخدمات من كل لون . وسيتحول باطن الارض الى مخازن وكاراجات وأماكن للتسلية . ومن يستطيع أن يبني بمثل هذه القوة ، يستطيع أن يزيح من طريقه كل من يعارض خطوات البناء والتقدم والتفوق و ... » .

وكان أن تطلع المعلم الى الشاب الذى توقد حماسة ، وساله :

« من أين يمكن للمرء أن يشترى مثل هذا الخاتم ؟ » .

فافرج المهندس عن عينيه ، وتطلع بهما تغطيهما الدهشة من جديد ، نحو الرجل الذى لم يشك لحظة فى جنونه .

ثم جاء دور محامي الشركة ، بلباسه الانكليزى العريق وغليونه الذى لم يشتعل سوى مرة واحدة . كان المحامي أكثر هدوءاً ووقاراً ، وكان يتكلم ببرود آثار المعلم ، فلم يسمح لخصمه أن يسترسل فى الحديث ، وهتف برفضه القاطع لاية عملية بيع للدور التى لها علاقة بالتاريخ المثير للذكريات . ولم يستطع محامى الشركة بوعيده الهادىء أن يتفوق على حيوية المهندس واندفاعه .

وياتى نائب المدير العام للشركة المختلطة ، والتى امتدت شهرتها من الخليج الى التخوم الشمالية ، ليقابل المعلم بنفسه . ولم يتوقف المعلم انذاك لحظة عن حك شعر صدره الكثيف ، وكانه مصاب بمرض يثير خوف من يفكر بالاقتراب منه . كان النائب متمرساً فى ترويض من يقف عادة فى وجه خطط الشركة ومشاريعها ، الا انه عاد يائساً بدوره ، فالمعلم لا يلين ولا يستجيب لاغراء وقد دفعت فى داره أعلى الأسعار ، كما انه لم يجب على أسئلة محاوريه الا بكلمات مبهمة او انها لا تمت بصلة الى الموضوع .

وما عاد هناك من أمل أمام الشركة لمواجهة منطق المعلم الغريب الا بمضايقته ، قطعت أسلاك الكهرباء من الدار ، وتفجرت مواسير المياه ، وعمل المقص على بتر خط الهاتف ، وعملت المعاول على هدم الطابق الثانى من العمارة بعد أن بات ملكاً للشركة ، واستعرضت « البلدوزرات » عضلاتها أمام المعلم فى تظاهرة ترسل الضجة فى الليل والنهار . ولكن المعلم لم يستسلم .

وقد قال مدير المدرسة الابتدائية التى يدرس فيها المعلم :

« لم لا تتعقل يا رجل » .

فقال المعلم مستغربا وهو يقاوم غليان شعر حاجبيه :

« كيف للعاقل أن يتعقل ! » .

وهتف المدير بغضب أبوى :

« لا تقاوم إغراء الشركة . تستطيع بالمبلغ الذى يدفع لك أن تشترى داراً أفضل ، ويتوفر لك مال زائد فتتزوج به أو تنشىء مشروعاً تجارياً رابحاً يدر عليك مالا .. وقد تصبح من الأثرياء خلال فترة من السنين» .

فنظر المعلم الى محدثه ، مستسلماً للحك الذي امتد من الحاجبين الى الصدر ، فقال المدير مؤنباً :

«ثم إنك تتاخر في هذه الأيام عن المدرسة ، وهذا أمر يسيء الى العملية التربوية» .

ويقول متقززاً :

«عليك أن تداوي مرض الحك الجديد هذا ، فهو يثير شغب الأولاد» .

ولم يتورع المدير بعد ذلك ، عن تنظيم كتاب شديد اللهجة ، يهدد به المعلم بالتسريح إذا لم يلتحق بالعمل لتوه ، بعد أن اعتصم الرجل في الدار أياماً طويلة .

ـ ٥ ـ

دخلت عليه «حياة» . تقدمت بالضفيرتين وهما يحيطان بصدرها الذي بات صالحاً للأمومة . كانت تتقدم بخفة كفراشة ، فلم يسمع لخطواتها وقع على البلاط المرمري الذى أنهكت بتلميعه ذات يوم نسوة الدار . همت «حياة» مسرعة ، ثم تمهلت ، ثم دارت في أرجاء الغرفة كنسيم رقيق يواسي عزلة الجدران العالية . وكان يحس بلهاثها يومض كدفق يساعد القلب المثقل بالاحزان على الاستمرار في النبض . وطارت «حياة» لتمر فوق الجسد المسجى على البساط ، ثم ما لبثت أن كررت القفز من فوقه برشاقة دون أن تنطق بكلمة . هتف المعلم من مكانه :

«أعلم .. أنك لن تعودي» .

فسمع صوتها ياتي من الزوايا كالصدى المتداخل مع الدوي الذي تحدثه المعاول : «أعلم أنك عنيد . ابق حيث أنت ، وستأخذك الجرافات في طريقها» .

ويفتح المعلم عينيه ببطء شديد يبحث عن الصبية ، فلا يجدها . يحرك راسه في اتجاهات السقف الأربعة ، فلا يكون لها أثر . لكن صوتها ما يلبث أن يدخل سمعه قوياً ليتلاشى لحظة فلحظة .

«إبق حيث تموت .. ابق حيث تموت .. إب .. حي .. ت ..»

يهتف صامتاً باسم حياة ، ويغمض من جديد .

وتسمع بعد هدوء ، أصوات العمال يتحركون في الدار العليا ، وتدق معاولهم الجدران ، فيتراقص السقف يوحي بانه قد يسقط في أية لحظة . يقول المعلم لنفسه ، وقد عجز تماماً عن حك صدره:

«من يجرؤ على هدم الدار .. من يجرؤ على هدم ما بناه الأجداد !» .

كان جده لأبيه من الذين حسبت لهم السلطة العثمانية حساباً ، فلم تولـه منصباً أو تستوزره على أمر ، ولكنها لم تجرؤ على اعتقاله أو التعرض له بمكروه . وظل مراقباً بعيون السلطة الى أن لدغته الأفعى ذات يوم فانزاح عن كاهلها عبء ثقيل . وهتف المعلم بصوت ضعيف :

«من يجرؤ على هدم الدار . وإبعاد حياة» .

وأما خاله لأمه ، فقد فرض هيبته على نصف المدينة لبسالته وجراته في قول الحق وحماية المظلوم . وقد قتل الرجل برصاصة قيل ان جندياً أخطأ في تصويبها الى طير عابر . وصاح المعلم :

«من يهدم الدار .. من يقتل الفل والياسمين .. من يحرمني من حياة ؟»

في البداية ، ومع انقطاع الماء والكهرباء تقدم المعلم بالشكوى الى مخفر الحي . وقد ردت الشرطة طلبه الذى يتهم فيه الشركة بحرمانه من حقوق لا سلطة لها عليها . وفى الدعوى الثانية كان المعلم يشكو العمال الذين يتقصدون بضرباتهم القاسية تصديع بنيان داره ، وكان محامى الشركة الوقور حاضراً عند تقديم الشكوى ، فنظر المعلم آنذاك الى الأوراق بدهشة ملأت تجاويف وجهه ، وتمتم قائلا :

«لم أكن أعلم أن ملكية دار الأجداد بحاجة الى أوراق» .

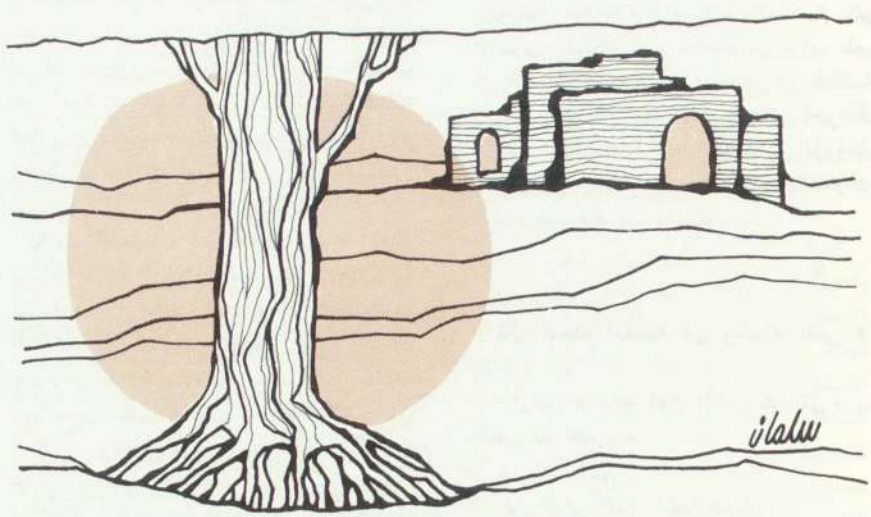
وقال له الرقيب العابس الذى تصدر المخفر الذى كان اسطبلا ذات يوم : «يا ولدى .. لا يمكن لك أن تقف في وجه شركة كبيرة مثل هذه» . وربت العسكرى كتفه مواسياً ، وهمس فى أذنه :

«انفد بجلدك قبل فوات الأوان» .

ولكن المعلم خرج هائماً على وجهه . طاف الحوارى ، سمع باذنيه الأطفال يتصايحون والرجال يتهامسون . ألقى نظرة على الخراب ، وشاهد بعينيه المتعبتين تلك المعاول تنهش جسد الدار التي سكنتها حياة ، والتى عرشت على جدرانها ياسمينة أمه التى قالت له ذات يوم انها شهدت مولده ، وانها تتجدد سنة بعد سنة تبحث عن جدار مرتفع لتؤكد أنها التى لا تموت .

وهكذا ، خيمت سحابة من التراب على الجو ، ثم تساقط التراب على كل الأشجار والنباتات المحيطة بالدار ، فمسح معالمها ، ثم أنهك خضرتها ، ليدفنها بعد ذلك . وقد تناثرت الأحجار الصغيرة على مدخل العمارة ، فكان المعلم فى البداية يحصيها ، ثم يجمعها فى ركن من الحديقة ، ولكن سرعان ما تضخمت كومتها وكادت أن تسد الطريق ، فكف بعد حين عن ذلك العمل الذى لم يجد منه فائدة ، وترك الحجارة تستقر حيث تقع .

وكانت امرأة عجوز فى الحي المقابل ، وهى التى شهدت ولادته ، قد قدمت له نصيحة لم يفهم منها كل كلماتها ، ففمها الخالى من الأسنان ، حول النصيحة الى تمتمات مبهمة . إلا أن الوجه الذى رسم الزمن عليه بأظافر حادة ياساً حكيماً ، قال له :



اقتحام

«يا ولدى .. حرام على شبابك أن يدفن تحت التراب» .

وسمع شفتيها تقولان :

«الاتهم تسكنها العفاريت ، فمن يقاوم العفاريت» .

فلم يصغ اليها . قام لتوه الى الدار يعتصم بها . أغلق النوافذ ، واحكم اقفال الباب . واشعل شمعة وجدها بين ملابس امه ، ومثلها كان يستخدم للنذور ، لكن الشمعة ما لبثت ان ذابت فى الصحن النحاسى الذى رافقه مع امه ايام طفولته الى حمام السوق ، وكانت تملؤه بالبيلون احياناً او بمخلل اللفت احايين اخرى . كان يحب ذلك الصحن ، الذى كانت امه تصر على انه طاسة مباركة تستخدم لايام الحرب والفزع ، يشرب منها الخائف فيهدأ . وعندما غطى الشمع السائل نقوش الصحن لم يملك المعلم قوة فى اقتلاعه ، وارتمى ارضاً يتامل السقف ويصغى الى اصوات الهدم تمشى فوقه وكانها خطوات الجن والعفاريت ايام الخوف .

— ٦ —

راهم من النافذة العالية يطلون برؤوسهم الصغيرة ، ولكنه لم يسمع كلمة واحدة من همساتهم المتشفية . كان يراقب العيون الفضولية بطرف عينيه نصف المغمضة . هو يفكر فى الآلات الغريبة التى داست تاريخ طفولته وارعبت "حياة" فطارت كالحمامة المذعورة ينقض عليها الصقر . ولكنه لم يتحرك ، وظل ممدداً على البساط .

كان أولاد الحي يتناوبون فى إلقاء النظرات على الحكاك الذى بدا للوهلة الأولى ميتاً ، ثم اكدت تلويحات ذراعيه فى الهواء ، كمن يهش عنه الذباب ، على انه مازال على قيد الحياة . وكان الأولاد قد حملوا فى نفوسهم منذ فترة فكرة عن جنون المعلم . وقد سمعت مثل تلك الملاحظة عنه اكثر من مرة فى مجالس الآباء وفى اجتماعات النساء ، قيل مثلا ان الصبية «حياة» قد انتقلت الى حي جديد آخذة معها عقل المعلم . وقيل ان كنزاً فى القبو يقوم الرجل على حراسته ولا يريد لاحد ان يشاركه به . وتردد فى الأحياء المجاورة ان المعلم ورث السحر عن جد له جاور ضريح الولي (ابن العربى البشلاقي) ، فهو لا يستطيع ان يغادر داره إلا بامر منه .

وتطل عليه العيون بخبثها وفضولها ، وتتحرك الشفاه . ويقع طفل من على السلم ليسمع صوته مستنجداً او باكياً . وكان المعلم يحس بالانس بالرغم من كل ما يحدث . هو يحبهم ، وقد فعل ذلك دوماً ، وحفظ اسم كل واحد منهم فى الحي ، وتنبأ لكل واحد بمستقبل معين :

«انت طبيب رحيم بالناس . اما انت فلا تفكر بالطب ابداً» .

«لاشك في انك ستصبح جنديا باسلا ، ابعد الله عنك الموت المبكر» .

«وانت ايها الذكي .. فلا تعمل بالتجارة فقد تملك السوق وتتحكم برقاب العباد» .

«قليلا من الاهتمام بالحساب وتصبح مهندساً يحفظ لهذه المدينة شخصيتها» .

ولكن المعلم في تلك اللحظات ، لم يستطع ان يربط الأسماء بالوجوه المتعاقبة على زجاج النافذة . بدأ النسيان يختلط بالتشويش الذى خاضته "حياة" فى الغرفة .

وزادت حركة الاقدام على السطح ، وسمع للازميل الكهربائى صوت يفتك بالعقل ، فصاح مستنجداً بامه ، إلا ان السكون عاد من جديد ليطغى على كل ما عداه ، وتنبه المعلم بعد لحظات وهو يصغي بكل جلده المتحفز الى طرقات عنيفة تدق الباب الخارجى للدار .

ثمة قبضات واثقة تؤكد باصرار على ان يفتح لها . ضربات متوترة وعنيدة يرتج لها فراغ الغرفة نفسه ، فاستوى جالساً ، بينما وجوه الأطفال المتطفلة تختفى من ساحة النافذة . يصغى بكل خوفه الى تلك الطرقات وهى تلح وتزداد شراسة ، يفكر فى كل الاحتمالات فلا يستطيع ان يعرف شيئاً عن القادم ، وربما عن القادمين الذين ما عادوا يترفقون بالباب .

النهار فى منتصفه ، وهو قد قرر الاعتصام فى داره مهما كانت اجراءات الشركة والتى يمكن لها ان تصل حد هدم السقف فوق راسه ، ولكن الباب الذى لم يقرع منذ زمن طويل شده اليه . مشى كالقط الحريص باتجاه الباب الخارجى ، ثم الصق اذنه بالخشب الذى كان يتنفس ايضاً .

كانت الضربات قد توقفت فجاة ، وقد بلغته آنذاك اصوات مختلطة لرجال لم يستطع ان يقدر عددهم ، فاحتبست الانفاس فى صدره بانتظار شيء ما قد يحدث . وفجاة عاودت القبضات الغليظة دقها على الباب ، وهتف به صوت خشن من الخارج ، وكانه يخرج عن فم كمم بكيس من القنب : «افتح الباب» .

فلبث صامتاً تتملكه حيرة لم يعرف لها حدوداً : «افتح الباب بالحسنى» .

فعض على شفته فتالم ، ولكن عقله كان لا يعمل .

واستطاع المعلم بعد قليل ان يتبين قول واحد من الرجال يتحدث : «مادام لن يفتح الباب ، فلنقتحمه اذن» .

ثم همس آخر بليونة رجال المكاتب ، فاخترق الهمس خشب الباب المعتق وكذلك جدار القلب المرتعش :

«اكسروا الباب ، وهناك سنجده مشنوقاً بحبل الغسيل»

واكمل بانتصار مرح :

«لن يسال احد عن رجل مجنون له هواية فى شنق نفسه» .

آنذاك تراجع المعلم مذعوراً ، فى اللحظة التى كانت فيها كتلة ثقيلة تدفع الباب باصرار متواتر لا يعرف التراجع .

كان الرجال فى الخارج قد تحولوا كما بدى له الى كتلة متماسكة تضغط الباب الخارجي ، فتتخلخل المفصلات الحديدية الضخمة .. وكانها ضرس يقاوم كلابة الطبيب . وعرف المعلم ان الباب سيسقط لا محالة ارضاً خلال لحظات معدودات ، وهو الذى اعتز به الاجداد لصلابته يقف فى وجه الجنود الغرباء او اللصوص . آنذاك قرر الا يستجيب للانذار الاخير الذى وصله عبر الباب المتهاوى تحت اقدام المقتحمين ، فهرع مسرعاً كالبرق الى غرفته يغلق الباب فبلغه صوت المعاول تزداد حيوية ترتج لها الجدران والأرضية وكذلك البساط من تحته .

نظر المعلم باسى الى التراب المتساقط من السقف ، ثم واجه الرجال الذين كسروا باب الغرفة الذى لم يكن اصلا بقوة باب الدار ، وتدفقوا نحوه ، واجههم بنظرة لم تحمل اى معنى . وفى تلك اللحظة تهاوى جزء من السقف ، وطقطقت اعمدة الخشب بالوانها الجميلة لتتساقط الواحدة تلو الاخرى ، فتلحق بها عاصفة من تراب طمر كل شيء فى المكان ، الذى تحول فى غمضة عين الى شيء اشبه بالمقبرة التى اخرجت الزلازل احشاءها ، فاختلطت الرؤوس بالايادى بالسيقان بالاحذية بالنظرات الجاحظة بالخراب بالمعاول ...

— ٧ —

قال المعلم لنفسه فى وحدته التى لا تطاق :

«لاباس ، باع اهل الحي كل شيء .. ولكني لم افعل» .

ثم زفر باسى :

«لن اغادر الدار مهما حدث» .

وليد إخلاصي — حلب



هل تعلم

عبد العزيز السيد المصري

ماذا يحدث لو لم يكن في الجو غبار؟

هل يكون العالم افضل مما هو عليه الآن إذا لم يكن هناك غبار ؟ علينا اولا ان نعرف ماهية الغبار ومكوناته .. فهو يتكون من جزيئات دقيقة من التربة او من مواد صلبة اخرى .. وتكون هذه الجزيئات خفيفة إلى درجة ان الرياح تستطيع حملها . من اين تاتى تلك الجزيئات او الذرات ؟ ربما من نباتات ميتة او مواد حيوانية متحللة او من املاح البحر او من رمال الصحراء او من حمم البراكين او من رماد المحروقات او من الهباب المتصاعد من المداخن او عادم السيارات والآلات الاخرى .

ونحن ـ عموماً ـ لا نحب الغبار ولا نرغب فيه لما يسببه لنا من ضيق وامراض ، ولانكاد ندرك له اية فائدة .. وربما يدهشنا ان نعلم ان هذا الغبار الكريه يؤدى وظيفتين هامتين احدهما جمالية فنية فهو يساعد على جعل عالمنا الارضى اكثر جمالا وبهاء فلولاه لما كانت اضواء الفجر والغسق الرائعة التى تنشرها ذرات الغبار المعلقة فى الهواء حين تعكس اشعة الشمس فتجعلنا نرى ضوءها على الأرض قبل الشروق وبعد الغروب ولما كانت الالوان المختلفة لضوء الشمس الساحرة التى تحدث عن انعكاس اشعة الشمس بزوايا مختلفة على ذرات هذا الغبار او بخار الماء السابحة فى الهواء .. ولما اصطبغ الاصيل بلون الذهب والشفق بلون الورد حيث تجعل هذه الذرات اشعة الشمس الحمراء اخر ما يختفى من المنظر ..

اما الوظيفة الاخرى للغبار فهى دوره الاساسى الذى يقوم به لاسقاط المطر ، فبخار الماء المعلق فى الهواء ما كان ليتحول بسرعة إلى سائل إذا لم تكن هناك جزيئات الغبار الدقيقة التى تتحول كل منها إلى مركز او نواة لكل قطرة ماء ولهذا فان السحب والظل ، والضباب ، والمطر إنما هى فى اعداد لا حصر لها من ذرات الغبار المحملة بالرطوبة .

لماذا لم يكن للمرأة لحية وشوارب؟



كما تتميز الطيور بالريش تتميز الثدييات ومن بينها الانسان بالشعر . لماذا كان للثدييات شعر ؟ هناك اسباب متعددة تعال نتامل بعضها .

إن القيمة الاساسية للشعر هى انه يصون حرارة البدن . ولكنه فى المناطق الاستوائية يؤدى وظيفة مغايرة ، فهناك انواع معينة من الحيوانات الاستوائية يحميها الشعر من ضوء الشمس المباشر . والشعر الطويل جداً الذى ينمو على اجزاء معينة من جسم الحيوان يؤدى عادة بعض الخدمات الخاصة فمثلا شعر اللبدة او العرف قد يحمى رقبة الحيوانات من اسنان اعدائها ، كما تعمل الذيول كمذبات (كمنشات) لطرد الحشرات . كما ان العرف له اثره فى اجتذاب الجنس الآخر . ويتحول شعر القنفذ الى درع من الأشواك الحادة تمكنه من مهاجمة عدوه .. ويقوم الشعر احيانا بوظيفة عضو اللمس .. فشوارب القطط بها اعصاب خاصة تستجيب سريعاً للمس .

وهكذا ترى ان الشعر يؤدى وظائف وخدمات مختلفة للثدييات المختلفة .. وماذا عن الانسان ؟ نعرف جميعاً كيف يجذب شعر المراة الجميل الرجال .. ولكن علينا ان نعترف بان شعر الانسان كان يلعب قديماً دوراً عملياً اكثر مما هو الآن .

عندما يولد مولود يكون مغطى بوبر ناعم رقيق وسرعان ما يحل محله شعر ضعيف نلاحظه فى كل طفل ، ثم تاتى مرحلة البلوغ وتتحول هذه الطبقة من الشعر الى طبقة الشعر التى عند كل بالغ . وينظم نمو طبقة الشعر عند البالغ غدد الجنس . فهرمونات الجنس عند الذكر تعمل على نمو اللحية وشعر الجسد كله بينما تحد من نمو شعر الراس .. او تعمل على ان ينمو لكن ببطء . اما عمل هرمونات الجنس عند الأنثى فهو العكس .. إذ يطرد نمو شعر الراس بينما يكف نمو اللحية وشعر الجسد كله .. وهكذا لا يكون للمراة لحية بسبب ان غدداً وهرمونات متنوعة تعمل عمداً على منع هذا النمو .

ولكى نوضح لماذا كان الأمر كذلك .. لماذا تعمل غدد وهرمونات الرجل على المراد نمو لحيته .. قد يكون علينا أن نرجع إلى تاريخ الانسان الأول .. إلى الوقت الذى كانت فيه وظيفة اللحية ان تميز الرجل من المراة بسهولة من مسافة بعيدة .. وربما كانت ايضا اعطاء الرجل مظهراً للقوة والجلال .. وكذلك تجعله اكثر جاذبية وإثارة للمراة .. فقد كانت الطبيعة تساعد الرجل على ان يجتذب الجنس الآخر تماما كما تفعل مع المخلوقات الاخرى .

وتختلف كمية الشعر من اناس إلى اخرين فذوو الشعر الاشقر يكون شعرهم انعم واكثر من ذوى الشعر الاسود اما ذوو الشعر الاحمر فشعرهم اخشن واقل من غيرهم .

وقد قيست نسبة نمو الشعر ووجد انها تصل إلى نصف بوصة فى الشهر . ولكن الشعر لا ينمو بنفس النسبة طول اليوم ويبدو انه يتبع نوعاً من الايقاع . ففى الليل ينمو الشعر ببطء وما إن يبدو النهار فان النمو يزداد ويبلغ اقصى سرعته فيما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة صباحاً ثم ينمو الشعر ببطء مرة ثانية ثم تزداد سرعته فيما بين الساعة الرابعة والسادسة بعد الظهر ثم يعود إلى البطء بعد ذلك . وطبيعى ان هذا الاختلاف فى سرعة النمو يستحيل ملاحظتها ، فلا تتوقع ان تقف امام المراة الساعة العاشرة صباحاً لتتمكن من رؤية شعرك وهو ينمو ممتداً إلى اعلى .

لقد قيل لو ان الشعر الذى ينمو على جسم إنسان ما نما على شكل سلك واحد متصل لكانت نسبة نموه فى الدقيقة هى ٢ر١ بوصة فى الدقيقة ولوصل طوله فى نهاية العام إلى ٣٧ ميلا .

جزيرة الكنز

والفنان الذي أحبّه ملايين الأطفال

بقلم: جمال الكناني

قد يتبادر للأذهان ان الاديب الذى ينتج مثل هذه القصص الخالدة لابد وان يكون قد كرس حياته ووقف جهوده على ناحية القصص من الأدب ... لكن الواقع يخالف ذلك تماما فى حالة «روبرت لويس» لأن حصاده من الشعر الرصين مثلا - غير ما كتب من مقالات وكتب - يجعله بحق احد فحول شعراء اسكتلندة ، فهو عند مواطنيه من الاسكتلنديين لا يقل عن «روبرت بيرنز» .

ولد «روبرت لويس ستيفنسن» فى يوم ١٣ نوفمبر ١٨٥٠ فى مدينة «ادنبرة» عاصمة اسكتلندة ... وكان ابوه مهندس منارات وموان ، وهى مهنة احترفها اجداده فكان من الطبيعى بعد ان التحق الابن «روبرت لويس» بجامعة «ادنبرة» فى نوفمبر ١٨٦٧ ان يتوقع ابوه منه ، ان يدرس الهندسة ليكون كابيه وجده وجده الاكبر مهندسا للمنارات والموانى . ولكن كان للابن رأى آخر احتفظ به لنفسه اول الأمر .

كان «روبرت لويس» غلاما مبكر النضج قضى طفولته منطويا على نفسه مطمورا فى تلافيف خياله ويرجع ذلك من ناحية الى ان الغلام كان مصدورا .. وكانت اسرته لذلك تقضى فترات فى الريفييرا الفرنسية نظرا لدفء جوها .. وكان الغلام كثير القراءة ، تعرف منذ البداية على شكسبير ومسرحياته ، وكانت امه تقرا له «ماكبث» بصوت مسموع .. واكتشف «روبرت لويس» بعد ذلك «دوماس» و «سكوت» و «ثاكرى» ، وبدا يقلد فى كتاباته اساليب هؤلاء الكتاب ويكتب القصائد والمقالات واخذ ابوه يشجعه وينمى فيه ملكة الكتابة دون ان يجول بخاطره ان ابنه قد يحترف الكتابة ويتخذها مهنة لكسب قوته ... فلما دخل روبرت لويس الجامعة اصطدمت رغبته فى احتراف الادب برغبة ابيه الذى اراده ان يحتفظ بتقاليد الاسرة ويدرس الهندسة .

وتظاهر الابن أول الأمر بالامتثال لرغبة ابيه ولكن ميله للأدب كان شديدا لا يقاوم .. وتصادم مع ابيه وتوترت العلاقات بينهما وانتهى الأمر بان اقترح الابن حلا وسطا وهو ان يدرس القانون ، وكان يعرف إذ ذاك عددا من مشاهير الكتاب ممن درسوا القانون .

ولم يقتصر الخلف بين الاب وابنه على مادة الدراسة وحدها بل تعداها الى اتجاهات الابن السياسية والاجتماعية والدينية .. وكان الاب «كالفينا» متزمتا .. وانضم الابن لجماعة تنادى بالحرية والعدالة . ويذكر «روبرت لويس» ان جدلا شديدا حول الدين دار بينه وبين ابيه فقال الاب «لقد شقيت من اجلك وبذلت جهدى لاسعادك وفى النهاية اجد انك تعارض تعاليم السيد المسيح ..... خير لي الف مرة ان اراك مسجى فى قبرك عن ان اراك تزعزع إيمان غيرك من الشباب وتجر العار على بيوت اخرى كما جلبته على بيتنا» .

هذه هى الطريقة

وتاثر روبرت لويس نفسيا بما حدث وكتب فى ذلك لسيدة فاتنة ذكية تكبره باثنى عشر عاما كان قد تعرف عليها فى صيف ١٨٧٣ ، اسمها «مسز ستلويل» ، كانت تعيش مع ابنها .. اما سبب شكوى «روبرت لويس» لهذه السيدة فهو انه كان قد اعلن لها حبه وانه وقع فى غرامها .. وحاول ان يبنى معها علاقة قوية ولكنها صدته فى رفق .. وكان اقرب اصدقاء هذه السيدة هو «سيدنى كولفن» ، الناقد الفنى الذى صادق «روبرت لويس» مدى حياته رغم علمه بانه مغرم بالسيدة التى كان هو -كولفن - يعتزم الزواج منها .. بل وتزوجها فى آخر الامر .

ووضع «روبرت لويس» لنفسه برنامجا يدرب نفسه بموجبه على الكتابة بعد ان كان قد قرا كثيرا وجرب الكتابة باساليب مختلفة فى الشعر والنثر جميعا ... وكان على حد قوله : «يعيش منذ طفولته مع الكلمات» . ولقد حاول الكتابة اولا بالاسلوب الوصفى ولكنه ادرك انه لن يصل الى هدفه عن هذا الطريق فبدا مرحلة التقليد .. تقليد اساليب الأدباء ..

وهو يقول فى ذلك «كلما قرات كتابا او فقرة اعجبتنى بصفة خاصة لما فيها من قوة ظاهرة ، امسكت بقلمى وحاولت تقليدها . وكنت افشل فى ذلك وادرك مدى فشلى فاحاول ثانية وافشل ... ويتكرر الفشل ، ولكنى رغم عدم توفيقى استطعت ان اكتسب الخبرة والقدرة على التحكم فى الايقاع والهارمونيا وبناء الجمل وتنسيق اجزائها وهكذا لعبت دور المقلد المجد المثابر ، لادباء مثل «هازلت» و «لام» و «وردزورث» و «ديفو» و «مونتانى» و«بوديلير» ، وهذه شئت او لم اشا هى الطريقة التى تعلم الكتابة ... وسواء افدت منها ام لم افد ، فهذه هى الطريقة» .

ولم يكتف هذا الشاب المقلد بالتقليد بل انه عمل جاهدا على اتخاذ موقف يمكنه من مراقبة غيره من الناس ... واحس كلما اكتمل نضجه بوجود غوامض اخلاقية فى الطبيعة البشرية كما احس بالصعوبات التى يصادفها الانسان إذ يحاول ان يفرق

أجيـــال من أطفال العالم قرأوا قصـــــة « الدكتور جيكل » ومستر هـايد » لكنهم ـ ربما ـ لم يعرفوا أن مؤلف هـــذه القصـة « روبرت لويس ستيفنسون » هو أول كاتب استطاع أن يبلور فكرة الخـــير والشر ، وأن يجمعهما فى جســـد واحـــد . ولـو أن « ستيفنسون » لم يكتب غير هـــذه القصـــة لكتب لـه من الخـلود فى عـــالم الأدب ما يتمتع به اليوم .. لكن «ستيفنسن» كتب ما هو أفضل من «الدكتور جيكل والمستر هايد» فهو صاحب أحسن قصة مغامرات كتبت للأولاد فى أى أدب .. ونعنى «جزيرة الكنز» التى ظهرت على الشاشة البيضاء أفلاماً متعددة ناطقة بلغات عدة ... أما القصة ذاتها فستبقى على الدهر أحب القصص الى قلوب الأولاد على اختلاف أجناسهم .. وهناك كذلك قصته المشهورة «اختطاف» ، ولها بين القراء شعبية خاصة .. أما أروع ما كتب «ستيفنسن» وهى قصة «سيد بالانتريه» والتى نشرت فى سبتمبر عام ١٨٨٩ ، بعد «الدكتور جيكل» بثلاثة أعوام ، و «جزيرة الكنز» بثمانية أعوام ، فتكاد أن تكون غير معروفة بين عامة القراء .

تفريقاً مطلقاً بين النواحى الأخلاقية المختلفة .

واقبل أديبنا الشاب اثناء فترات إقامته فى فرنسا على دراسة تاريخها وادبها فى القرن الخامس عشر وظهرت آثار ذلك فيما كتب من مقالات عن «تشالز اورليان» . و «فرانسوا فيون» . وفى زيارة من هذه الزيارات المتكررة لفرنسا ، قابل روبرت لويس سيدة امريكية متزوجة ، تكبره بعشرة أعوام ، تعيش فى فرنسا بعيداً عن زوجها الأمريكى الذى كان يعولها رغم بعدها عنه .. وللمرة الثانية وقع «روبرت لويس» فى غرام إمراة تكبره سناً إذ وقع فى حب هذه الأمريكية ، التى كانت تدعى فرانسيس فانى ماتيلدا فان دى جريفث من مواليد ولاية إنديانا عام ١٨٤٠ ... وكان لهذه السيدة مع زوجها قصة طويلة ليس هذا مجال سردها .. وتم انفصال الأمريكية عن زوجها بعد حوالى عامين من لقائها بالأديب «روبرت لويس» الذى حاول جاهداً أن يقنع ابويه بقبول فكرة زواجه من سيدة غير اسكتلندية ، تكبره سناً ، مطلقة وام لأطفال من زوجها الأول ... واستعان روربرت لويس فى ذلك باصدقائه ومن بينهم حبه الأول ـ مسز ستلويل ـ وكانت لها كلمة مسموعة عند ابويه .

ووافق الأبوان فى نهاية الأمر على الزواج ... وتزوج «روبرت» من «فانى» يوم ١٩ مايو ١٨٨٠ ولعلنا نذكر هنا أن هذه الزيجة رغم فارق السن واختلاف الجنسية كانت زيجة موفقة للغاية وكانت «فانى» بحكم سنها تحنو على زوجها حنو الأم ، وهو ما كان فى امس الحاجة اليه بسبب العلة التى كانت تاكل صدره .

كان «روبرت لويس ستيفنسن» مصاباً بذات الرئة ، تنتابه نوبات نزيف حاد يلزمه الفراش ، وكانت حدة النوبات تهدد



روبرت لويس ستيفنسون
كتب احسن قصة مغامرات للاطفال

حياته باستمرار ، فعاش يتوقع الموت كل لحظة .. وهذه العلة ذاتها هى التى اضطرته لهجرة بلاده التى كان يتفانى فى حبها ... كان يقضى فترات من عمره فى فرنسا وسويسرا وانتهى به الأمر ان رحل الى جزر ساموا فى المحيط الهادى وفيها وجد المناخ الذى يناسب صحته فقضى آخر ايامه فيها ينعم بشىء من العافية وقسط من السعادة . واحبه اهل ساموا وشيوخ قبائلها وتفانوا فى خدمته لانهم لمسوا حبه لهم ولبلادهم وعرفوا انه اوصى بان يدفن فيها على راس تل يجاور داره .... فلما وافته المنية حمل السكان فؤوسهم وشقوا طريقاً على سفح التل ، وعند قمته حفروا قبره ودفنوه فى البقعة التى اختارها مستقراً له .

كان ستيفنسن أديباً لا يدع فرصة تفلت من يده ، فقد حدث مثلا ان سمع باستقالة استاذ التاريخ بجامعة ادنبرة ، ففكر فى التقدم لملء هذا المكان الشاغر وعكف لفترة على البحث فى تاريخ اسكتلندة لكى يؤهل نفسه لشغل المنصب الجامعى ... والبحوث التاريخية التى قام بها لها دلالة كبيرة ، إذ انه اكتشف حقبة من تاريخ اسكتلندة اتخذها فيما بعد اساساً نسج حوله قصته «اختطاف».

وبالمثل نجد انه افاد من مشاركته للاديب «وليام إرنست هنلى» عام ١٨٧٨ فى كتابة مسرحية «ديكون برودى» وبطلها نجار آثاث ماهر كان له مركز اجتماعى محترم فى ادنبرة ، رغم انه كان لصاً ليلياً مرعباً لم يكشف الناس سره . وما كان من ستيفنسن بعد ذلك إلا ان كتب فى عام ١٨٨٥ قصته الخالدة «دكتور جيكل ومستر هايد» التى نشرت فى يناير ١٨٨٦ وبيع منها فى بريطانيا وحدها اربعون الف نسخة خلال الأشهر الستة الأولى وقراها من الناس من لم يقرأ القصص الخيالية من قبل واقتبس منها الخطباء وزخرت الصحف والمجلات بالحديث عنها والاشارة اليها . وموضوع الرواية هو الخير مجسماً فى دكتور جيكل والشر ممثلا فى مستر هايد ... الخير والشر معاً فى طبيعة الشخص الواحد . وتعتبر هذه القصة اقوى ما كتب عن ازدواج الشخصية او انفصامها . وهى تلقى ضوءاً قوياً على الطبيعة البشرية وتشرح بعض ما فيها من متناقضات .

قضى «روبرت لويس» فترة فى مدينة بورغاوث فى جنـوب انجلترا سعياً وراء

جزيرة الكنز

والفنان الذي أحبه ملايين الأطفال

الدفء والعافية قبل ان يرحل الى امريكا ومنها الى البحار الجنوبية التى زار فيها تاهيتى وهونولولو وجزر جلبرت وساموا فى نهاية مطافه ... وفى بورنماوث تعرف على عدد من الادباء وفيها كون صداقة من اقوى الصداقات واعزها ، مع شيخ الادباء هنرى جيمس ...

كان جيمس قد نشر مقالا بعنوان «فن القصة الخيالية» فى مجلة لونجمان فى سبتمبر ١٨٨٤ وقرا ستيفنسن ذلك المقال واعجب به كثيراً لان الكاتب اكد فيه مسئولية الكاتب القصصى الفنية . وكان فى المقال ما حرك شهية روبرت لويس على معارضة بعض ما ذهب اليه هنرى جيمس .. كما احتوى اشارة تقريظ ومجاملة لرواية «جزيرة الكنز» ... ورد روبرت لويس على هنرى جيمس رداً رقيقاً مهذباً نشرته مجلة لونجمان نفسها .. واحتوى الرد رأى روبرت لويس ونظريته الخاصة بالقصة الخيالية .. جاء فى المقال ..

«الحياة بشعة رهيبة ، لا نهائية لا منطقية ، مفاجئة حادة ، اما العمل الفنى فهو بالمقارنة رتيب له نهاية وحدود ، له اكتفاء ذاتى ، عقلانى ، سلس ، عاجز ..

والحياة تفرض ارادتها عن طريق طاقة وحشية كالرعد الهادر ، اما الفن فيجذب السمع كالهواء الذى تدفعه آلة موسيقار رقيق .

كان جيمس قد ذهب فى مقاله إلى ان الروائى فى الواقع ، ينافس الحياة .. ورد عليه ستيفنسن بقوله «إن النظرية الهندسية لا تنافس الحياة ، والنظرية الهندسية قرين مقبول للعمل الفنى ..

كلاهما معقول وكلاهما يدخل ضمن الطبيعة دون ان يمثلها ايهما ، وتتواجد القصة التى هى عمل فنى لا بما فيها من شبه للحياة ، وهو مادى مفتعل ، ولكن بما فيها من فروق واختلاف عن الحياة» ...

واستطرد المقال فى تحليل ما ذهب اليه جيمس والرد عليه فى ادب ورقة .. وفرح جيمس إذ وجد اديباً يستطيع ان يناقش موضوع القصة الخيالية مستعيناً بارائه



وافكاره الخاصة .. فكتب الى روبرت لويس رسالة بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٨٤ جاء فيها «انها لمتعة حقا ، فى هذا العصر اللااخلاقى ، ان اصادف شخصاً يستطيع الكتابة ويعرف طبيعة هذا الفن الجميل تماماً» ورد روبرت لويس معبراً عن امله فى ان يستمر الحوار .

بعد ذلك زار جويس ذلك الاديب الذى ادخل السرور على قلبه ، ونمت بين الاديبين صداقة متينة ، فلما اضطر ستيفنسن للرحيل عن انجلترا كان جويس الوحيد من بين اصدقائه الذى قدر تماماً ضرورة ذلك الرحيل ، رغم انه اسف عليه وحزن لفراق صديقه .

قضى روبرت لويس بعد رحيله من انجلترا فترة طويلة على ظهر احدى السفن التى كانت تبحر من جزيرة الى جزيرة فى المحيط الهادى ، فكان اشبه ما يكون بملاح تائه ، وعبر هو عن ذلك بقصيدة جميلة جاء فيها :

لم يعد الوطن وطنى .. فاين اجول ؟
الجوع يدفعنى فلاذهبن الى حيث يقضى القدر
ريح الشتاء تهب صرصراً فوق التل والنجيل
والمطر يهطل مدراراً ولا سقف لي غير التراب

وحدث ان مات ابن مسز ستلويل ، حبه الأول ، فحزن عليه روبرت لويس حزناً عميقاً ونظم قصيدة تعتبر من اروع شعره ، جاء فى مطلعها :

واذكر ايها القلب المكلوم ، تذكر ، تذكر
كيف عاش احلى ايامه فى دفء الحياة
واينعت زهور نيسان ، وما هبت
ريح ديسمبر الباردة على راس او على قلب

بعيداً عن الوطن

كانت «فانى» زوجة روبرت لويس ستيفنسن لا تدخر جهداً فى العناية به ورعايته وإبعاد كل ما يمكن ان يقلقه .. وفى سبيل ذلك ، كانت تصطدم باصدقاء صباه الذين رافقهم ايام عزوبته بل وكانت تختلف مع زوجها للسبب نفسه . وكان قلقها على صحته يتجلى فيما يرتسم على وجهها من وجوم وفى إمعانها فى «النق» على زوجها .. وكتب لويس ستيفنسن فى ذلك لصديقه جيمس فى يناير ١٨٨٧ يقول «زوجتى كما تعرف ، امراة لها فى الفن نصيب ، فن استخلاص وجوم الكسوف من ضوء الشمس ، ولقد بذلت مؤخراً فى ذلك جهداً كبيراً ... اختلفت مع زوجتى ذات ليلة فهاجمتنى فى وحشية لانى لا اريد ان اعيش كما يعيش طير الكنار ، ولا اريد ان تصبح حياتى كحياة «الملك لير» ... وسرعان ما تبينا ، انا وهى ، ان جثتى المتصارعين مطروحتان على ارض المعركة ، اردى كلا منهما سهم الحق ... فحمل كل منا جثة صاحبه فى رفق وحنان» .

فى يوم ٨ مايو ١٨٨٧ مات الاب طوماس ستيفنسن ، وكان ابنه روبرت لويس قد عاد الى ادنبرة لما علم ان اباه فى النزع الاخير .. والمؤلم انه لم يستطع الاشتراك فى جنازة ابيه لان وعكة شديدة الزمته الفراش ... وبموت الاب اصبح روبرت لويس فى حل من كل ارتباط باسكتلندة او بريطانيا باسرها فحمل ما

ورث عن ابيه ـ ٣٠٠٠ جنيه ـ وصحب زوجته وابنهـا وامه وخادمة وابحروا على ظهر الباخرة «لدجيت هل» يوم ٢٠ اغسطس ١٨٨٧ . وادرك روبرت لويس عند وصوله الى امريكا ان له مكانة مرموقة فى عالم الادب هناك وانهالت عليه العروض ، وقبل ان يكتب ١٢ مقالا فى السنة لمجلة «الكاتب» لقاء مكافاة سنوية قدرها ٧٠٠ جنيه ... والحت عليه العلة فلم يطل مقامه بامريكا بل اضطر للرحيل الى بحار الجنوب ينشد فيها الدفء والصحة والعافية .

ولم تنقطع صلة روبرت لويس بصاحبه هنرى جيمس رغم بعد المشقة ، فكانا يتبادلان الرسائل بانتظام . ونذكر ان روبرت لويس احس وهو يكتب رائعته «سيد بالانتريه» ان القصة ستكون احسن ما كتب ولم يشا ان يحتفظ بنفسه بهذا السر فكتب لجيمس فى مارس ١٨٨٨ يقول «قصتى الجديدة تراجيديا ، اتممت منها اربعة اجزاء من ستة او سبعة ... الخمسة اجزاء الاولى عن ماساة إنسانية ، وهى جيدة ، ولكنى اسف ان اقول إن الجزئين الاخيرين ليسا على ما يرام ... انا لم احسن تصميمهما واكاد اتردد فى كتابتهما .. فيهما ما قد يشين او يحط من قيمة الاجزاء الاولى ... ليتنى اعرف العلاج ... هكذا طافت القصة بخاطرى .... الاخ الاكبر يرحل ويبقى الاخ الاصغر . ويحصل الاصغر على اللقب والممتلكات ويتزوج خطيبة الاخ الاكبر وكان يحبها ... لكنها تحب الاخ الاكبر ... هذا هو الموقف .. هل اتضح لك ؟ ... يختفى الاخ الاكبر لفترة ثم يعود ويعيش مع الأسرة ويبتز مالها .. وهنا مصدر الماساة الحقيقية .. صراع بين شقيقين !!

وتتميز القصة بما اصاب ستيفنسن من نجاح هائل فى ربط ما فيها من حركة وافعال بما لها من جو ثم ربط الاثنين بطبيعة المكان ... وقصة «سيد بالانتريه» عمل ادبى رائع افرزه جهد روائى متمكن استطاع ان يستعرض ويحقق فيها كل مواهبه ... وكتب ستيفنسن الى صديقه كولفن ـ زوج مسز ستلويل الثانى ـ فى يناير ١٨٨٩ يقول ان هذه القصة «تحتوى من العمل الانسانى اكثر مما تحتويه اية قصة من قصصى فيما عدا «اختطاف .

كان ستيفنسن وهو فى غربته بعيداً عن وطنه اسكتلندة يحس بحنين جارف لذلك الوطن ولاصدقائه فيه ويحس فى قرارة نفسه انه خذلهم ببعده عنهم وهجره لهم فكان يكثر من كتابة الرسائل يرد بها على من يطالبون بعودته .. من ذلك انه كتب لصديقه كولفن «احس وكانى خائن للصداقة ولكن قد تغفر لي إذا عرفت كيف يصلح هذا الجو الاستوائى صحتى ... تذكر حالتى وانا فى ارض الوطن ثم تصورنى اليوم اسبح فى البحر وازرع الأرض مشيا ، سعيداً محبوراً ، ولابد انك ستعترف بان ما انا تحته من اغراء ، قوى للغاية ... ولما كانت إقامتى هنا تعود علي بالنفع والفائدة فمن الجنون والحماقة ان اعود الى الوطن» .

وكتب لصديقه هنرى جيمس يشرح الموقف نفسه «انا لاشك غير مخلص للصداقة ولكن تامل موقفى ثم احكم علي .. لقد نعمت بقسط من سرور ومتعة خلال الاشهر الماضية يزيد عما شعرت به طول حياتى قبل ذلك ، واحسست بقدر من الصحة والعافية اكبر مما شعرت به خلال السنوات العشر الماضية» ... وكان جيمس وحده هو الذى قدر الموقف وفهم ما قال صاحبه المريض فكتب اليه يقول «غاية ما كان يمكن ان يصادفنى من حظ سعيد هو ان اقرا ما خطت يدك من انك تحس الآن بشيء من الصحة والعافية ، ولو انك استطعت ان تستكمل صحتك تماما خلال عام فسوف اصبر على فراقك طول اشهر عجاف ... ومع ذلك فستكون وحشتى اليك شديدة» .

عند رأس التل

واستقر المقام بروبرت لويس ستيفنسن فى ساموا واشترى حوالى ٣١٤ فدانا من الأرض قررت زوجته «فانى» ان يزرع فيها الكاكاو والأناناس والفانيليا ، وعمل هو على توسيع البيت الذى كان يسكنه حتى اصبح الطابق العلوى يتالف من خمس غرف للنوم ومكتبه والطابق الارضى من ثلاث غرف وحمام ومخزن وقبو وشرفة على طول واجهة الدار ... وكان السكون يخيم على جو البيت فلا يسمع فيه إلا هدير امواج البحر وهى ترتطم وتتحطم على رمال الشاطىء .. وكانت «فانى» زوجة روبرت لويس مضيافة تكثر من إقامة الحفلات تدعو اليها قناصل الدول وكبار الموظفين وكان هو يوجه الدعوات لرجال البحرية وشيوخ القبائل واعيان الجزيرة .

ولقد ثبت بالدليل القاطع ان روبرت لويس قضى آخر عامين من حياته فى هم وقلق على حالة زوجته العقلية وتصرفات بعض افراد الأسرة ومنهم «لويد» ابن زوجته «فانى» الذى كان يعاشر احدى فتيات ساموا معاشرة الأزواج مما سبب لأمه وزوج امه هما شديداً .

فى يوم ٣ ديسمبر ١٨٩٤ بدا ستيفنسن يومه نشيطا متحمسا للعمل فعكف على الكتابة ولم يتوقف إلا بعد الظهر ، ليرد على بعض الرسائل ، ثم نزل الى الطابق الارضى ليرفه عن زوجته ويطرد عنها ما كانت تحس من قرب وقوع كارثة ... ثم نزل الى القبو ليحضر زجاجة شراب للعشاء وعاد الى الشرفة حيث كانت «فانى» ... وعاد يلاطفها .. وفجاة رفع يديه الى راسه وصرخ «ما هذا ؟» ثم قال «هل ابدو لكم غريبا ؟» وما ان اتم سؤاله حتى سقط على ركبتيه امام زوجته وغاب عن الوعى .. ونقل الى فراشه ولكنه لم يعد الى وعيه ثانية ومات فى الساعة الثامنة وعشر دقائق من ذلك المساء .

ووجم اهل الجزيرة ، ثم راحوا الى سفح التل القريب من بيت عزيزهم الراحل وشقوا طريقا . وعند راس التل حفروا له قبراً ... وبعد ظهر اليوم التالى لموت ستيفنسن حمل الاهالى نعشه على اعناقهم ثم واروه التراب .. ونقش على القبر ابيات من قصيدة كان قد كتبها الراحل قبل ان يعرف انه سيقضى بقية ايامه بعيداً عن وطنه :

هنا يرقد حيث تمنى ان يكون
عاد الملاح لوطنه ... عاد

جمال الكنانى

حين تستعصي المسافة

شعر : عبدالرحيم عمر



بيني وبين أحبتي دهرٌ من الأشواق
دلّوني على دربٍ نهايتُهُ الوصالْ .
بيني وبينهم « بريد الجسر » و « البثُّ المباشرُ » والمحال
والبعدُ : عَرْضَ النّهْرْ
والأردنُّ غاص وضاق لكنَّ اجتياز الماء
حُلْمٌ بات يَخْشاهُ الرِّجالْ

• •

ياحادي حادي العيس الذى ملأت قصائدُهُ البوادي السَّاهره
من لي بحادى النّهر
يوقفه لتجتاز الجموع الصابرة ؟

• •

جُـرّعتُ ضيم القَهْر
فى المنفى ، وصـابَ القرّ ،
ما بين الشعاب الموحشات وبين لفح الهاجره
ودفعت أغلى المَهْرِ
اضعافاً مضاعفةً وسلمى خلف جَهْم الأفق يُغْريها التمنُّع والدلال

• •

أدميتِ أيامي .
وأنت على تخوم الضفّة الأخرى عروسٌ فى الحديدِ
وقد تناضل دونها العشاق
تبكي ، ثم تبسمُ والأحبة ينزفون وينزفون ولا كلال
وتكاد رغم الموت تترك قلبها
ليميل طوع النّار والدّم والحديدْ !

• •

يا ليت أن الفارس « البرّاق » لم ينهدْ
ولا غَدَرَتْ بمهرته الدّروبُ العاثرة !
لو جاء من دربٍ لَهُ فيه الموالي
لا فجاءات الليالي الجائرة !
يا ليته أسرى وقوصُ الغور يَحْجُبُه وتحرسه الجبالْ
فيظل حرزاً نرتجي إن حال حالْ
لو كشرت عن نابها فى ليلةٍ متامره !

• •

يا ذلّيَ الدامي
ووتْرى لا يزال يهزّ نافذتي ، ويهتف بي ،
وأنتِ على صليبكِ واتره !
تتناوش الآلام حسنك والزّوالْ
فاهبْ مرتاعاً وافْجَعْ ،
لم يعد فى جعبتي إلاّ ابتهالْ :



يا واهب الصبر الجميل !
أنِلْ مغنّيك المعنّى كلّ مَا في الكون من صبرٍ جميل
فتشيعُ فى الأغوار غمغمةٌ ،
كأنّ صدًى من الأعماق راح
يرجّع : « الصبر الجميل » .
بذلّةٍ مخبوءةٍ تطفو فيصفرُّ السّؤالْ

• •

عشنا وشفنا ألفا معجزةٍ يحار لها الخيال
هابيلُ يُقْتَلُ كلّ يوم ،
والقاتل الجانِي الذى حطّت مراكبه على آلَقِ النّجُوم
ما زال يعمل وِفْقَ شِرْعة جدّه قابيل فى الغاب القديم
والخيل ما زالت سنابكها تخوض دماءنا
فى القدس حتى اليوم
وكأنّها أوْدَتْ بسالفها النّصال

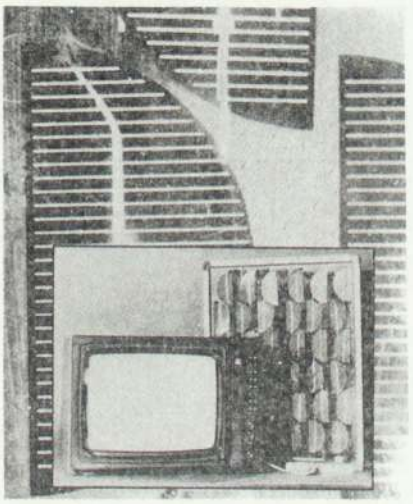
• •

ولو انّ وجهك خلف أبعاد المهامه لاح
يسطع فى الدّجى
فتسابق الأحبابُ يحدوهم جمالُك والنّوالْ
ولو انّ منهم واحداً يوماً بمعجزة نجا
ليحدث السّارين عن هَوْل الطريق
لرميت روحى غير غالية على ذاك الطّريق
لو كنت برّرت اعتذارى بالمسافات الأبية ،
والهواجرِ ، والوجى .
لكن صوتك مستغيثاً بي يُسافر فى دمي
فاراك فى عينيّ ماثلةً ،
وفى جرحي الجديد ، وفى اغترابي .
وأراك طول الليل طارقة لبابي
وأراك فى حلمي الظّمي
وأراك مرثاة وملهاة تقيم على فمي
وأراك فى حلقي شجى .
وأراك فى شعرى ، وفى كلماتى الولهى
وصوتك لا يزالْ
يستنهض الأموات والأحياء .. لكن لا مجالْ
فالبعد عرض النّهر
تقطعه العصافير الصغيرة والجنادب ، والنّمال
أما لنا ، فالبعد عمق القهرِ ،
عمق البَحْرِ
عمق الدّهْرِ
ماساة يقالُ لها المال .

عبد الرحيم عمر ـ عمّان

تقديم : لبنى الريدي

تليفزيون شمسى !



التليفزيون الشمسى

اصبح استخدام الطاقة الشمسية لتشغيل العديد من الأجهزة ابتداء من السخان وجهاز التدفئة الى الراديو والآلات الحاسبة أمراً عادياً لا يثير أدنى قدر من الدهشة .

ولكن الفنلنديين يقدمون لنا الجديد فى هذا المجال.وهو جهاز تلفزيون يعمل بالطاقة الشمسية . ويتطلب تصميم مثل هذا الجهاز درجة عالية من الاتقان لتحقيق جميع الشروط اللازمة لعملية الاستقبال والتشغيل .

ولا تقل امكانيات التلفزيون الشمسى عن أى تليفزيون آخر.فهو يستقبل الأنظمة العالمية الثلاثة ويعمل بالتوجيه عن بعد . كما انه مزود بجهاز بحث اتوماتيكى عن المحطات يتيح اختيار ١٥ محطة مسبقاً بحيث يحتفظ بها فى ذاكرته .

ويتصل بهذا التلفزيون ألواح من الخلايا الشمسية عرضها ٤٧ سنتيمتراً وارتفاعها ٥٥ سنتيمتراً وهى تضم ٣٦ خلية شمسية مثبتة بين مرآتين بالاضافة الى منظم للتيار وكابل توصيل .

ويحتاج التلفزيون الشمسى الى طاقة كهربية تتراوح بين ١٢ فولت و ٢٤ فولت .

إلا أن الخلايا الشمسية لا تستطيع امداده بأكثر من ١٧ فولت ولذلك يستخدم بطارية مثل المستخدمة فى السيارة تشحن بواسطة الخلايا الشمسية لتمد هى التلفزيون بالكهرباء . وتستطيع هذه البطارية تامين تشغيل التلفزيون لمدة ثلاثة أيام . أما المنظم فيحول دون تسرب الشحنات من البطارية ليلا .

ولا يحتاج هذا التلفزيون الى شمس ساطعة فهو يعمل فى ظل سماء ملبدة بالغيوم بل وفى الأيام الممطرة أيضاً .

جهاز إنعاش يتحدث إليك

لا غنى لفرق الاسعاف عن جهاز توليد الصدمات لدفع القلب للعمل مرة أخرى فى حالة الاصابة بازمة مفاجئة . إلا ان هذا الجهاز يحتاج الى عناية كبيرة والى تدريب على استخدامه .

ولذلك ابتكر الباحثون الامريكيون جهازاً روعى فى تصميمه امكانية استخدامه فى الاماكن العامة مثل المكاتب أو الملاعب الرياضية أو حتى فى منازل المرضى المعرضين لخطر الازمات القلبية .

ويتميز الجهاز الجديد بالاضافة الى صغر حجمه وسهولة نقله بامكانية ان يعمل ذاتياً دون الحاجة الى ممرض متمرن أو طبيب . فبمجرد ربط اقطاب الجهاز الكهربية بجسم المريض يستطيع الجهاز تحديد ما اذا كانت انقباضات القلب ضعيفة بحيث لا تقوى على امداد الجسم باسباب الحياة . وفى هذه الحالة ينطلق صوت الجهاز ليطلب من الاشخاص الموجودين حول المريض ان يبتعدوا ليقوم هو خلال ثوان معدودات باعطاء المريض الصدمة الكهربية التى يحتاجها قلبه .

ويستمر الكمبيوتر الموجود داخل الجهاز فى مراقبة حالة المريض للتاكد من انه لا يحتاج لمزيد من الصدمات . وعند انتهائه من مهمته ينطلق صوت الجهاز مرة أخرى ليطلب ممن يقوم بتشغيله فصل الاقطاب الموصلة بجسم المريض ويشير عليه بالطرق العلاجية الأخرى التى قد يحتاجها .

وبالتالى يستطيع أى شخص غير متخصص استخدام هذا الجهاز فالتدريب عليه لا يستغرق أكثر من عدة ساعات .

أحدث كاميرا فيديو



الكاميرا وجهاز التسجيل فى وحدة واحدة

الكاميرا الفيديو القادمة مصممة بحيث تشبه مجفف الشعر كما تبين الصورة . وهى أصغر وأخف كاميرا فيديو انتجت حتى الآن إذ لا يزيد وزنها عن ٦٩٠ جراماً .

وتعتبر الكاميرا الجديدة خطوة هامة فى سبيل الوصول الى جهاز واحد يضم آلة التصوير وجهاز التسجيل . فلايزال أصغر جهاز تسجيل فيديو يحمل حتى الآن على الكتف ويرتبط بالكاميرا بكابل غير عملى . ولقد سهلت اشرطة التسجيل الصغيرة المعروفة بـ ٨ ملليمتر عملية دمج الكاميرا وجهاز التسجيل معاً فى وحدة واحدة بحيث تبدو وكانها كاميرا تصوير سينمائى تقليدية .

ومن ناحية أخرى تقدم شركة يابانية أخرى جهازاً يضم الكاميرا وجهاز التشغيل ولكنه يستخدم أشرطة بيتاماكس عادية .

الروبوت العنكبوتى

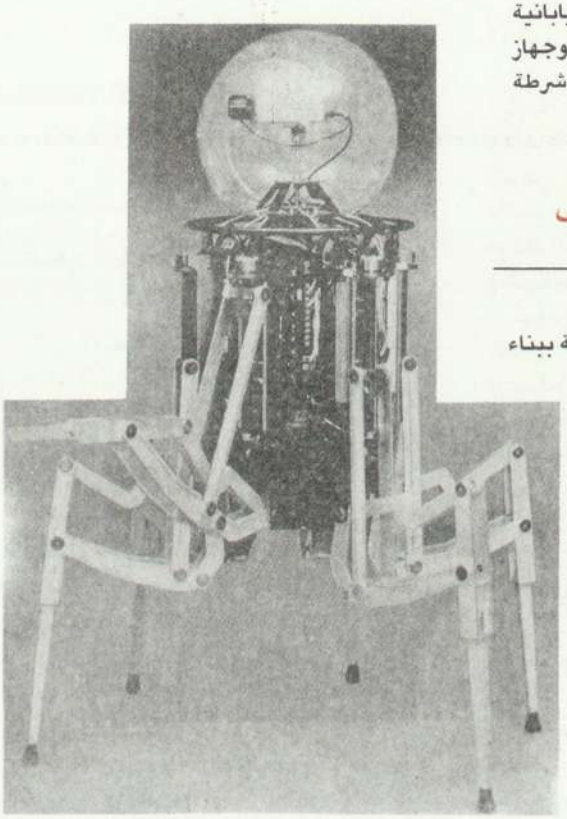
يحلم المهندسون من فترة طويلة ببناء الآت تستطيع المشي وتسلق الدرج وتخطى الحواجز والعراقيل . ولقد نجحوا فى تحقيق هذا الحلم إلا أن هذه الآلات ظلت أجهزة تجريبية . ولذلك يعد هذا الروبوت ذو الأقدام العنكبوتية المبين فى الصورة تقدماً مدهشاً بالنسبة لقابلية الآلة للحركة والانتقال ذاتياً .

ولكن «أودكس» وهذا اسمه متعدد المواهب فهو يجمع بين الرشاقة والقوة . ففى العرض التجريبى الذى قام به تمكن من الصعود على قاعدة مرتفعة قطرها ٢٤ بوصة فقط دون أن يفقد توازنه . كما تسلق مؤخرة شاحنة «بيك آب» .

ومن ناحية أخرى فكل قدم من أقدامه الستة المصنوعة من الألومنيوم تستطيع رفع ٤٥٠ رطلا الى أعلى ، وفى وضع الثبات بامكانه حمل ١٨٠٠ رطل إلا أن حمولته تقل بعض الشيء أثناء الحركة لتصل الى الف رطل .

وتتميز أقدامه المفصلية بمرونة كبيرة بحيث يمكنه تغيير أوضاعها لتناسب الاحتياجات المختلفة التى تواجهه . فلتخطى العراقيل مثلا يمكنه رفع أقدامه كل زوجين معاً . كما يستطيع تقريبها من بعضها .

ويعتقد مبتكروه أنه مفيد جداً لأعمال المناجم وللاستخدامات العسكرية كما من المتوقع أن ينطلق «أودكس» قريباً الى الفضاء .



الروبوت العنكبوتى

مدلك آلي

يقدم اليابانيون سرير تدليك آلي يدلك على الطريقة اليابانية . وهو تدليك عميق تقوم فيه أطراف الأصابع بتنبيه نقاط ضغط معينة فى الجسم .

ولكن بدلا من أصابع المدلك الحساسة ثبت تحت الغطاء البلاستيك لهذا السرير المبتكر صف من البكرات الآلية المختلفة الأشكال والأحجام . وبتوصيل السرير بالتيار الكهربى تدب فيه الحياة وتبدأ البكرات فى الحركة والدوران فى مدار يتخذ شكل حرف «اس» فى اللغة الانجليزية . بحيث تقوم هذه الحركة المميزة الشبيهة بالنبض بملامسة وتدليك عدد من نقاط الضغط فى جسم الشخص المسترخى . وعدد هذه النقاط اثنتا عشرة موزعة ما بين العنق والقدمين .

ولقد روعي أن تكون البكرات القريبة من محيط السرير اسطوانية الشكل سطحها متعرج بعض الشيء بينما تلك المجاورة للعمود الفقرى فبيضاوية وبها بروزات مستديرة .

وعلى عكس الأسرة والمقاعد التى تهتز فقط فان بكرات هذا السرير المكسوة بالمطاط صنعت بشكل ، ووزعت على مواضع تجعل حركتها أشبه بحركة أطراف أصابع مدلك يابانى متمرس .

بالون طبى

قد تغنى بالونات صغيرة لا يزيد قطرها عن ملليمترين عن اجراء عمليات جراحية خطيرة . فهذه البالونات المصنوعة من السليكون أو من الألياف الصناعية يمكنها توسيع الشرايين الضيقة وفى حالات النزيف الخطيرة تسد الأوعية الدموية لوقف النزيف . كما يمكن استخدامها لمنع وصول الدم الى الأورام السرطانية مما يساعد فى قتلها .

أما بالنسبة للأطفال الذين يعانون من ثقب فى القلب فان هذه البالونات تستطيع سد الثقب دون الحاجة الى جراحة .

ويتم ادخال البالون الى مكانه المحدد بواسطة قسطرة بلاستيكية دقيقة تستطيع الوصول الى أى وعاء دموى ومنه الى أى عضو أو جزء من الجسم . ويساعدها فى ذلك استخدام التصوير بأشعة إكس إذ تظهر الصورة على شاشة تلفزيونية لتوضح للجراح الطريق

وعند وصول البالون الى موضعه الصحيح ينفخ بملئه بصبغة معتمة ويصل قطره عندئذ الى ١٢ ملليمتراً كحد أقصى . وبفصل القسطرة عن البالون يظل فى مكانه على الدوام .

كما يمكن تزويد القسطرة بآلة جراحية بدلا من البالونات لتفتح أى انسداد فى القناة المرارية أو الحالب .

حينما يتداعى الإنسان

قصة قصيرة

بقلم : كلثم جبر

« ١ »

« منذ الأمس وأنا أزحف فوق تلال ذاتي رمالها خشنة مزقت جلدي تراكمت فوقها .. وما زلت أزحف . جنود ذاتي حاضرة تكلي وأنا أزحف »

وهو يقبع أمامي .. للمرة الألف يستنطق الحزن بداخلي والغربة بعيني .

« وأنا أزحف فوق تلال ذاتي وأتكوم «كقنفذ بري» فوق جحور حزني »

الأمواج متلاطمة والملوحة تغطي وجهي .. وعيني وأدعها تتسرب الى أحداقي، وأصمت . تمتد يداه تمسح القطرات المالحة من فوق وجهي .. أغمس قدمي بالماء وأخوض الشاطىء أصل الى منتصفه .. يداه أقرب الى كتفي من الأمواج المتلاطمة .. يعيدني للشاطىء ثانية مبللة الوجه والقدمين .

« وهذا الاحتضار اليس له نهاية ؟ وسؤال أمي المتكرر . أليس لهذا الحزن من نهاية ؟ كيف أضع نهاية حزني يا أمي وأنا الحزن ذاته ؟ كلما حاولت أن أغرس الفرحة داخلي تموت قبل أن تصل أرضي ! »

أصابعه تعصر قطرات الماء المالحة .. العالقة باطراف شعري .. يقترب بوجهه ...

ـ أتودين الغرق ؟ وتتركينني لمن ؟

« كلما حاولت غرس نبتة الفرح بداخلي تموت ! فرحتي به أثناء نقضي لمعاهدة بيننا مدتها يومان أن لا نتحادث خلالها حتى أوازن بين حزني وفرحي وأعود انسانة واعية، عاقلة كما كنت دائماً .. همست له يومها « فرحة أنا لنقضي المعاهدة » صوته يزغرد ...

« نقضتها قبلك . ألم أكن البادىء بالاتصال ؟ عاقلة أنت بدون أن نمتنع عن الحديث ولو لمدة يومين »

« فرحة أنا بنقضي للمعاهدة » زغرد صوته ثانية .

ـ « نقضتها قبلك رغم اقتناعي بعقلك .. واقتناعي أيضاً بأنها قد تكسر من حدة روتين الاتصال اليومي .. و . »

المياه المالحة ما زالت تقذف برذاذها فوق وجهي وتبلل شعري ثانية ..

« أين أنت أمي لتشهدي إجابة سؤالك : أليس للحزن من نهاية ؟ وأنا أصرخ ملء قلبي يا أمي أليس للاحتضار من نهاية ؟ » واعود أغمس قدمي في الماء وتعلو الأمواج وينساب الرذاذ فوق وجهي وعنقي .. ويضحك الوجه المحفور في الذاكرة ، ونبرات صوته تقترب من مسامعي ...

ـ رحلة جميلة أليس كذلك ؟

« ٢ »

يجمعنا المنزل والصمت وصوت فيروز .. وصراخ إخوتي بفناء الدار وصوت الخادم ينادي الصغار للدخول الى الفناء ، خوفاً من خطر الشارع . وأنا أتكوم أمامه ثانية فوق المقعد «كقنفذ بري» . نظراته الهادئة من المقعد الآخر ترمقني .. برقة ترمقني .. بحزن ترمقني

ـ للمرة العاشرة . أستحلف الحزن بداخلك أن يرحل . قاسية أنت عندما تحزنين !

«حين» ولادتي تناولتني القابلة . ابتسمت وداعبت والدتي : ـ « إنها أول طفلة تستقبل الدنيا بابتسامة عظيمة ستكون ابنتك هذه . »

وها أنذا أزرع الحنظل بداخلي وأمتص عروقه .. بعد أن استقمت وتطاولت كجذوع النخل الباسقة والقيت ذوائبي تئن فوق ظهري كشلال فقد مجراه وتبعثر فوق أرض جافة ترفض الامتصاص . »

أدار وجهه .. ومن ثم عاد يرمقني بهدوء ..

ـ هل تصدقين ؟ حتى حزنك أعشقه !

« تنفس الحزن بداخلي وهذا الصمت الموجع يقيدني ، وعينا أبي تطلان من الذاكرة تغزوان حقيقتي وتحملقان في وجهي : « مؤلمة أنت حينما تصمتين ! » أسحب وجهي وذوائبي بعيداً عن نظراته وأدعها حيرى فوق وسادة المقعد كأصابعه التي يرسم بها خطوطاً متوازية فوق الجدار الملاصق لمقعده .. نبراته الهادئة تحاول أن تعلو ثانية» ..

ـ لم تفعلين بنفسك هكذا ؟

« تذكرت بوذا في احدى قراءاتي حينما هب فجأة من الريش الوثير والدثار وتلفع الثوب الخشن الذي اهداه له الصياد إثر مقايضة بينهما أخذ مقابله ثوبه الحرير وسار بعيداً عن قصره يبحث عن الحقيقة .. أفي عيون الصغار تسائل ؟ أم في ذلك الرجل العجوز المثقل بالمرض والكهولة الملقى على قارعة الطريق ؟ أم ذلك المشاع المحمول فوق الأكتاف .. أم ؟ وبقي السؤال يبحث عن إجابة . »

ـ لماذا لاتتفاءلين ؟ الغد سيكون خيراً بإذن الله ... سوف يحمل حزمة شعاعه ويلقيها تحت اقدامنا . سيعمنا النور .. لن نرى ظلاً ما بعد ذلك .

« تفاءلت وأنا أنسق الزهور أنثرها بارجاء المنزل بزغت الفرحة من خلف الجفون أطلت وضحكت .. وأضحكت الوجوه المحيطة بي فرح ابي .. وتنهدت أمي وهي تهمس .. « لابد انها تنتظر شخصاً ما . » كان يوماً حارقاً رغم ذلك كانت نسيماته لطيفة بداخلي ألقيت خلاله برحالي وجدائلي فوق السجادة الوثيرة احتضنت الهاتف وعقارب الساعة انتظر الرنين والموعد .. وأزيز الطائرة القادمة أشعر بداخلي وأرى قدمه بعين الاحساس والخيال تعانق أرض الوطن وهو يطؤها وتتعالى دقات قلبي والرنين .. التقطت السماعة بفرح طفولي .. احتضنتها وهمست بفرح « الحمد لله على سلامتك » عندها تهاوت تلال الانتظار والقلق وتفتحت براعم الفرحة وأصبحت رمالاً ناعمة تزحف بامسية قمرية ببرودة لطيفة تعانق عينيه وصوته من خلف الأسلاك . وأمد شوقي ولهفتي وأهمس ثانية : ـ « فرحة أنا بعودتك كما لم أفرح من قبل » وغفوت وقتها بمتعة عجيبة لم أشعر بها طوال فترة غيابه . »

« ٣ »

الصوت الهادر من داخلي .. يطغى على ضجة الأصوات حولي وفيروز أعشقها وأطلبها أينما كنت .. تهامست الأصوات بعدها واختفى الضجيج بعد أن تعانقت أصابعنا وابتعدت أقدامنا عن الوجوه المتواجدة .. اعشق البحر وفيروز وأطلب تواجدهما أينما كنت .. وها أنذا اعتلي صخرة تهدر الأمواج وتضرب جذورها وهي تتعالى بكبرياء ، فوقها أنا .. برودة البحر تخفف من حرقة ذاك اليوم والشمس في محاولة

للاستسلام استعداداً للهبوط الى الأعماق .
ويقبع من تحت الصخرة .. نراقب الغروب بحزن عجيب .. وقدماه تداعب الأمواج ونظراتى تترك الغروب وتغزو الوجوه المتناثرة على الشاطىء .. صوته يصلنى .. يجعل نظراتى تقطع رحلة الوجوه المتناثرة وتغزو اصابعه تمر بالخاتم الذهبى المحيط باصبعه .. « وأتنفس حزناً » يحفر بأصابعه خطوطاً بالرمال يمحوها الموج .. تمتد يداه من فوق الصخرة تنزلنى .. تتقارب خطواتنا وتتعانق أصابعنا ونحن نودع البحر والوجوه .. أراقب آثار أقدامنا السائرة فوق الرمال .. ونبرات صوته حزينة .. وعيناى تحسبان خطواتنا فوق الرمال ...

ـ لقد اخترت الطريق الوعر . تركت العمالقة وأخترت أصغر الاقزام وأتيت تطرقين أبوابى . أنا كالطفل الذى يعشق أمه ولا يملك سوى أن يقول إنه يحبها ولايستطيع البعد عنها .

تنبت غابات بداخلى تتماوج الكلمات بشراسة عجيبة تفترسنى والأمسية الغافية فوق الحلم أين هى ؟ والحلم أين هو ؟ منذ عودته والحلم لم أعد أوافيه . بحثت عن حلمى وأملى طويلا ، فى دروبه فلم أجدهما . بحثت عن أصابع صغيرتى التى تسكننى منذ عرفته فلم أجدها . بحثت عن وجهها الصغير وعيونها الشبيهة بعينى وهدير شعرها كشعرى . وأنفها الشبيه بأنفه فلم أجدهم فعاد وجهها بعيداً عن دروبه . » يفتح الباب .. أتوارى بالمقعد الأمامى فى السيارة .. يغلق الباب .. ويفتح الآخر .. أمام المقود يجلس .. عيناه في مواجهتى تطلب الصفح « وأناتزحف الرمال من خلف بقايا الشمس والجفاف فوق وجنتى وشعرى وتجتاح داخلى بهدير صارخ » صوته الهادىء يطرق أبواب صمتى برجاء ...

ـ أستغفرك أملى وأهوى هدير شعرك وعينيك وحكمتك وإحساسك وأستجير وأطلب العفو بداخل ذاتك .

الطريق الممتد الموصل للمدينة كأفعى يمتد ويتلوى أمامنا .. ونحن نراقب هروب الشمس وانطفاءتها وتوغلها فى جحافل الظلام القادمة من خلف المجهول نتوسد مقعدينا فى السيارة العائدة بنا الى المدينة .

« ٤ »

« استضفت الصمت .. والمساء الموحش وأنا امرأة شاحبة صفراء الوجه .. جاحظة العينين ، أنظر لذاتي بوحشية ، واتلذذ باحتضارها .. ألف امرأة فى أعماقى صرخن احتجاجاً .. قبيلة النساء بداخلي هاجمت قسوتي .. وحطمت وجهي وقدمي ولكن بقيت امرأة الألم » أنظر الى الهاتف ،رنينه المتواصل وذاتي اللهفي بقسوة عجيبة .

انتهى الرنين المتواصل فى الصباح المبكر .. حينما رفعت السماعة والقيتها فوق السجادة وتركت صوتاً ينادي خلالها .. لا أرد عليه .

« انتهت لحظتي بانهيار ذاتي وأنا جاحظة العينين وأيدي قبيلة النساء بداخلي امتدت حطمت وجهي .. وانبثقت دمائي ولكن فتحت فمي وابتلعت جميع النساء وبقيت امرأة الصمت » .

كان اليوم ظهراً وأنا لم أزل الازم جدران غرفتي .. والرنين متواصل .. منذ الأمس .. وفجأة التقطت السماعة وأجبت الصوت الصارخ عبر الأسلاك بعد يوم كامل بصمت آخر .

ـ حسبت الشوق انطفأت جذوره بداخلك . مخطىء أنا يا ذاتي ولكن سأصلح خطئي . أعدك بذلك . ان تتركيني فهذا يعني نهايتي .. أنت الفرح الذى أبحث عنه . وأنا الضياع الذى اجتاح أمسياتك وجعلك امرأة قاسية بعد أن كانت نسيماتك تحيل الجفاف ارتواء .

« جنود ذاتي حاضرة .. ولكنها تنهار .. أحسها تنهار .. منذ ألف قرن وهو يسكن الذاكرة . أعشق الحلم فى عينيه كلما لذت بوسادتي وغفوت .. والثم الحزن القابع فى خطوط وجهه وأصدق همسه « إن إرتباطه بالأخرى كان نتيجة ظرف ما .. يقبع بذاته حتى اليوم ولا يعرف الدرب الموصل إلى الفكاك منه » .

ـ أرجوك صدقيني ارتباطي بالأخرى يعني ظلماً لي ولها وإن اخطأت فسأصلح خطئي .

« ٥ »

الباب يقرع .. الخادم يضع فناجين الشاى وظله فوق الطاولة الصغيرة .. تتصاعد الأبخرة الساخنة وبرودة « جهاز التكييف » وصوت فيروز .. وحزني القابع بداخلي .

«تؤلم ذاكرتي الأشياء ، ولكن اجترها ببله طفولى جاوز المائة» .

صوت حزين ..

ـ كان الصمت رفيقك حتى فى سفرى . لم تكتبي شيئاً ما .. ولم تقولى شيئاً .. الانتظار ألمني .. و ..

« الانتظار رافقته منذ رحيله والصمت غزا لحظتي فور تسلمي أولى رسالته التى كانت تحمل اسماً غير اسمى » .

ـ أود تواجدك بقربي أبد أحقيقة أقسم بها .

نظراتي تغزو أصابعه من جديد تلاحق الاطار الذهبي المحيط باحداها .. رفع أصابعه أمام ناظري . خلع الخاتم . قربه من وجهي وهمس ..

ـ إنه اسمك .. وتاريخك لم أخلعه قط وسيكون حقيقة باذن الله .

« الأخرى تفرح .. وأنا أحزن .. والفرح والحزن ضدان لا يلتقيان » .

يعيد الخاتم لاصبعه .. ينتظر إجابة .. رداً مـــا ..

« وأنا اجتر ذكرى تلك الأمسية التى تلت مجيئه أستحضر بها الحزن والنزيف وأختزنها بالذاكرة » .

ـ والدى طلب مني الارتباط بها . وصمتك كان دافعاً لذلك . سوف أصلح خطأ ارتكبته بحق نفسي ونفسها .. سأكون عادلا أمام الله وأصلحه .

« هببت واقفة كالاعصار « مفجوعة .. تهاوى الفرح بداخلي .. والرمال الخشنة تزحف تمزق جلدي . الحزن يتكاثف كالجليد بداخلي » .

صوته يتباعد .. وأنفاسي تتلاحق .. وخطواتي واسعة مغادرة ويداه تلحقان بي . تقبضان بي .

« والحزن ينزف كادمعي وهذا الاحتضار أليس له من نهاية ؟ » .



كلثم جبر

سينما

ظاهرة جديدة في السينما الأمريكية

العزاء والأمل.. للضائعين في الزحام

بقلم: رؤوف توفيق

« ميريل ستريب » : فازت بجائزة أحسن ممثلة عن دورها فى فيلم « اختيار صوفى »



« داستين هوفمان » يتنكر فى ثياب امراة ليحصل على دور تمثيلى فى مسلسل تليفزيونى .. إنها لقطة من فيلم « توتسى »



هنـــاك خيط واحـــد يجمع بين صفوة الأفلام الأمريكية التى رشحت لجائزة الأوسكار هذا العام ..

هذا الخيط .. هو الاقتراب من الانسان العادى الذى يحاول أن يثبت ذاته ، وأن يحقق التوازن والنجاح .. وسط مجتمع شديد القسوة ، تسيطر عليه الآلة ، وتدفعه لأن يجرى ويلهث دائماً ..

وطبيعة هذا المناخ الاجتماعى الحاد .. تعزز الأقوياء بالمال والنفوذ والعنف ، كما تعزز البسطاء الذين يصارعون فى كل لحظة من أجل البقاء واثبات وجودهم ..

والأغلبية بالطبع من هؤلاء البسطاء الضائعين ..

وقد اختارت السينما الأمريكية - بذكائها المعهود - أن تقف بجانب هؤلاء البسطاء ، لا لسبب انسانى ، ولكن لسبب تجارى محض .. ذلك لأن هؤلاء البسطاء يشـــكلون النســـبة الغالبة من جمهور المشاهدين .

وقد أصبح الاحتفاظ بهؤلاء المشاهدين ، مسألة حياة أو موت بالنسبة للشركات السينمائية ، التى تصارع هى الأخرى فى حرب البقاء وسط ضغوط اقتصادية مختلفة .. وأيضاً وسط منافسة ضارية مع شبكات التليفزيون بكل اغراءاتها وتنوعها وجاذبيتها !

بالونة اختبار

وربما كانت البدايات الأولى لهذا الاتجاه فى السينما الأمريكية .. ثم اختبارها من خلال فيلم «روكى» - عام ٧٦ - والذى حقق نجاحاً تجارياً ، كان مفاجأة على جميع المستويات .. ثم اكتمل تتويجه بثلاث جوائز أوسكار هامة (عام ٧٧) وهى جائزة أحسن فيلم وأحسن اخـــراج وأحسن مونتاج .

وفيلم «روكى» يحكى قصة ملاكم شاب مغمور يحمل هذا الاسم .. يعيش فى قاع المجتمع الأمريكى .. يسكن وحيدا فى بيت

« سيلفستر ستالون » الذى كتب ومثل « روكى » وتحول « روكى » إلى أسطورة



« جيسكا لانج » التى فازت بجائزة أحسن ممثلة مساعدة .. فى لقطة مـــع « داستين هوفمان » وقد كشف عن شخصيته الحقيقية فى الجزء الأخير من فيلم «توتسى»



« بول نيومان » المحامى الفاشل يبتسم لنجاحه فى نهاية فيلم « الحكم »



سينما

العراء والأمل.. للضائعين في الزحام

متواضع جداً ، يتكون من غرفة واحدة حيث ينام ويأكل ويحدث مجموعة من الأسماك فى صندوق زجاجى صغير ، وبعض السلاحف التى يأتنس بأنفاسها ..

وهو انسان قوى البنية .. يحمل مشاعر طفل برىء .. يتلعثم فى الكلام ولا يجيد المحادثة .. ولا يعرف الكذب أو المراوغة .. ليس هناك أحد يهتم به .. وهو يعيش على هامش الحياة .. يكسب قوته من الملاكمة ! .. لماذا الملاكمة بالذات ؟ . يجيب هو ببراءة متناهية : «اننى لا أعرف حرفة أخرى .. فانا لا أستطيع أن أغنى أو أرقص .. لست رشيقاً .. ولكنى أضرب بسرعة فى حلقة الملاكمة .. عندما ولدت قال لي أبى .. لم تولد بعقل راجح فاستخدم جسمك .. وهكذا أصبحت ملاكماً» !

ويتعمق الفيلم فى تحليل هذه الشخصية الشديدة الطيبة والبساطة ، والتى تواجَه دائماً بالاهانات والسخرية ..ولهذا يبدو وكأنه انسان غريب فى عالم الخبثاء والأشرار !

ولكن «روكى» من حيث لا يدرى .. يجد نفسه فى مواجهة مع بطل العالم فى الملاكمة .. إنه لم يخطط اطلاقاً لهذه المواجهة ولم يفكر فيها يوماً ما .. أو حتى يحلم بها .. وإنما كانت حيلة دبرها خبراء الدعاية لبطل العالم فى الملاكمة والذى أصيب بشرخ فى عظام الكتف .. أن يفاجىء عشاقه بعودته الى حلبة الملاكمة ، وأن يستعيد كل الدعاية والأضواء التى غابت عنه لاصابته .. ومن هنا كانت الفكرة أن يختار ملاكماً مغموراً لكى يمنحه شرف الملاكمة معه .. ووقع الاختيار على «روكى» لا لشىء .. إلا لأن له اسماً مميزاً له إيقاع غريب !

لقد أرادها بطل العالم ، استعراضاً لقوته ، واستمراراً لشهرته ومكاسبه ..

بينما روكى يعتبرها قضية حياته .. اما الفشل التام .. وإما أن يثبت وجوده !

ومن هنا كانت المعركة عنيفة .. و «روكى» يتدرب ليل نهار .. ويقاوم .. ويدخل حلبة الملاكمة مجهولا .. ولكنه يخرج منها والأصوات تهتف باسمه .. لقد نجح ! .

ويلتقط المشاهدون أنفاسهم .. فلقد أثبت واحد منهم انه يستطيع تحدى القوى الضاغطة فى المجتمع .. وأن ينتصر ..

وقصة فيلم «روكى» تشبه الى حد ما ، قصة حياة مؤلفها وممثلها الذى لعب دور البطولة «سيلفستر ستالون» .. فقد حاول من قبل أن يغزو السينما ممثلا ولكنه فشل .. كما فشل فى المسرح .. ولم ييأس .. وكتب سيناريو هذا الفيلم فى ثلاثة أيام متصلة ليلا مع نهار . وكان بداخله قوة مكبوتة تريد أن تنفجر .. وأصر على أن يلعب دور البطولة حتى بدون مقابل .. ووافق المخرج «جون أفيلدسون» الذى قام بتصوير الفيلم فى الأحياء الخلفية بكاليفورنيا ..

وتحول نجاح «روكى» الى أسطورة سينمائية .. وظهر بعده «روكى - الجزء الثانى» و «روكى - الجزء الثالث» لنفس المؤلف والممثل «سيلفستر ستالون» والذى تحول الى الاخراج .. فاخرج الفيلمين التاليين لملحمة «روكى» !

المخرج « سيدنى بولاك » يشترك فى التمثيل مع « داستين هوفمان » فى فيلم « توتسى »



ويأتى فيلم « الحكم »

ويتكرر نفس الموضوع تقريباً فى فيلم « الحكم » الذى رشح لخمس جوائز أوسكار هذا العام .. منها أحسن فيلم .. وأحسن مخرج (سيدنى لوميت) . وأحسن ممثل (بول نيومان) .

وفيلم الحكم يقدم نموذج الانسان الذى واجه الفشل فى حياته الخاصة والعامة .. وغرق فى بحار اليأس .. حتى تلوح له بارقة أمل فى أن يعيد اكتشاف نفسه واثبات وجوده .

وهذا الانسان الفاشل .. هو المحـــامى (بول نيومان) الذى خسر كل القضـايا التى أوكلت له فى السنوات الأخيرة .. وقد تعدى الخمسين من عمره .. ولم يعد له من أمل ، بعد أن تردى فى الفشل ، وأصبح يلوذ بالحانات ليستهلك وقتـــه وينسى ضياعه ..

ويفاجـا ذات يوم بامرأة متوسطة الحال تلجأ إليه كمحام ليرفع قضية ضد احدى المستشفيات مطالباً بتعويض للأضرار التى لحقت بشقيقتها نتيجة علاج خطأ فى هذا المستشفى أدى الى انها تعيش فى غيبوبة مستمرة .

ويتحمس المحامى للقضية الساخنة التى وقعت بين يديه .. إنه يكرس كل حياته وجهده وخبرته فى جمع الوقائع والمستندات ضد هذه المستشفى .. ولكنه يفاجـا بمدير المستشفى يعرض مبلغ مائتى ألف دولار فى مقابل الصمت وعدم المساس بسمعة المستشفى ..

ويرفض المحامى هذا المبلغ باصرار وعناد .. مما يجعل المرأة التى لجأت اليه لرفع القضية ، تثور ضده .. فهى لا تضمن نجاح القضية ، وقد كان هذا المبلغ الضخم حلماً لم تتوقعه بهذه السرعة .

ولكن المحامى لا يريد الحل السهل .. انه حل يؤكد فشله .. وهو يريد أن يعيد الثقة الى اسمه .. ويريد أن يؤكد لنفسه انه مازال قادراً على العمل والنجاح ..

ولهذا فهو يتحدى كل الضغوط والعقبات التى تدبرها له ادارة المستشفى ، ويزيده هذا أصراراً على القتال .

انها معركة حياة أو موت بالنسبة له . وينجح المحامى فى كسب القضية ..

ويولد من جديد .. فقد أقنع الشهود بان يتكلموا ويقولوا الحقيقة .. وأقنع المحلفين الغاضبين ان يحتكموا للعدل ..

وتحقيق الحرية

ويعبر الممثل الامريكى « بول نيومان » عن اقتناعه بالشخصية التى يلعبها فى هذا الفيلم بقوله : « أنا هنا لست الا رجلا عادياً .. يعيش حجمه العادى الذى لا يملك أن يكون سواه » .

ويستطرد قائلا : « إن هذا الدور يعتبر بمثابة الصحوة لى بعد أدوار الفتى الأول الجذاب .. لقد اعجبتنى قصة الفيلم لأنها ليست مجـرد قضيـة انحراف .. انما هي قضية الانسان الذى يحاول أن يحقق الخلاص والحرية لنفسه ، بعد أن أصبح منبوذا .. ليس لأنه رجل سيىء .. فهو ليس أسوأ من أغلب الناس .. وانما لأنه غير قادر على حل مشاكله .. وغير قادر على أن يحصل على مساعدة الأشخاص الذين يرون ما يحدث له .. ويعرفون كل الحقيقة »

أما مخرج الفيلم « سيدنى لوميت » فقد علق على النجاح الهائل الذى صادفه الفيلم عند عرضه بالولايات المتحدة .. فقال :

« ليس هناك من سر .. سوى أن هذا الفيلم عن الانسان العادى فى معركته

المخرج « سيدنى لوميت » يشرح تفاصيل مشهداً قبل التصوير .. وأمامه الممثل « بول نيومان »



رغم التوقعات لم يفز هوفمان بجائزة احسن ممثل



سينما

العزاء والأمل.. للضائعين في الزحام

اليومية مع النفس .. ومع الآخرين الذين **ينكرون الحق لأنهم خائفون على مصالحهم ..**

ممثل مسرحي مغمور

ويتكرر نفس الموضوع بشـــــكل اخر وباسلوب ضاحك ساخر فى فيلم « توتسى » الذى لعب بطولته الممثـــل الأمـــريكى « داســتين هوفمان » مع الممثلة « جيسكا لانج » .

وقد رشح فيلم « توتسى » لعشر جوائز اوسكار .

و'لفيلم يقدم قصة هذا الممثل المسرحى المغمور (يلعب الدور داستين هوفمان) الذى يتكرر فشله فى الحصول على دور فى المسرح او فى التليفزيون .. والعيب ليس فيه كممثل ، فهو يستطيع العمل بدرجة كبيرة من الجودة .. ولكن العيب فى شخصيته فهو كثير الأسئلة .. يناقش كل شىء .. وله وجهة نظر .. ولا يقبل المطلوب منه الا بعد استفسارات كثيرة ترهق كل من حوله .. ولهذا يهرب منه المخرجون .

انهم يريدون الممثل المطيع .. وهو ليس كذلك .. والنتيجة انه اصبح بلاعمل .. واضطر أن يعمل كجرسون فى مقهى ليحصل على أى نقود تعاونه على الحياة .. وهو فى عمله بالمقهى لا يستطيع أن ينسى حبه للتمثيل ، فيقوم بتدريب بعض الممثلين الجدد .. إنه يحاول أن يغطى فشله الخاص .

حتى تأتيه الفرصة .. مطلوب ممثلة فى احد المسلسلات التليفزيونية .. ويقرر بسرعة أن يغير شخصيته .. ويتنكر فى ثياب امراة .. ويختار له اسما جديدا .. وينجح كممثلة .. ولكنه بينه وبين نفسه يريد أن يكون . كما هو .. رجلا وليس امراة .. ولابد من هذه اللعبة ان تنتهى بعد ان تورط فى مواقف شائكة ..

وينتهز الممثل فرصة برنامج يذاع على الهواء مباشرة .. ويواجه جمهور المشاهدين بالحقيقة .. يخلع ملابسه .. ويزيل الماكياج .. ويكشف عن نفسه .

وتقع المفاجاة المذهلة بالنسبة لجمهور المشاهدين .. ويتعلقون اكثر بهذا الممثل ..

« داستين هوفمان » يندمج فى شخصيته الجديدة .. حتى وهو يلاعب طفلة .. لقطة من فيلم « توتسى »



ولكن أهم ما حدث له أن استعاد ثقته بنفسه وخرج من دائرة الفشل ..

يقول « داستين هوفمان » انه يقدم هذا الفيلم تحية الى الاف الممثلين العاطلين والذين يبحثون عن فرصة لاثبات مواهبهم ..فالفشل ليس فيهم .. ولكن فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

وقد صنع المخرج « سيدنى بولاك » هذا الفيلم بحب واضح .. وانعكس هذا فى مدى النجاح الجماهيرى الساحق الذى قوبل به الفيلم .. وتصدرت صور « داستين هوفمان » وهو فى ثياب امرأة .. اغلفة المجلات .

ولعب المخرج بنفسه دورا فى الفيلم كوكيل اعمال هذا الممثل الفاشل .. والمخرج « سيدنى بولاك » يعرفه جمهور السينما من خلال أشهر افلامه : « انهم يقتلون الجياد .. أليس كذلك » .. و « ثلاثة أيام عصيبة » .

وهو فى هذا الفيلم يقدم نموذجا راقيا لفن الكوميديا التى تعتمد على المفارقات دون أسفاف أو تكرار .. رغم ان مسالة تنكر الممثل فى ثياب امرأة لم تعد تثير الضحك فقد تكررت كثيرا فى الافلام الأجنبية .. والمصرية ايضا .. ولكنه هنا يستخدم التنكر كحل لمسالة انسانية .

« غاندى » .. وما يعبر عنه

وتاتى نتائج الأوسكار لهذا العام .. ليحصد فيلم « غاندى » ثمان جوائز هامة (احسن فيلم .. واخراج .. وتمثيل .. وسيناريو ..وتصوير وديكور ومونتاج وموسيقى) ..

حتى اصبح فيلم غاندى يستحق أن نطلق عليه « سلة جوائز هذا العام » .

والفيلم (راجع مقال السينما فى عدد مارس من الدوحة) يقدم قصة كفاح غاندى وثورته السلمية فى الهند .. كنموذج لكل صاحب مبدأ .. ودرس لكل مؤمن برسالة .. اننا لا نستطيع أن نغير صورة المجتمع ونتحدى كل الضغوط .. الا بايمان كامل .. وصبر .. واقناع .. وقدره .. ومواصلة الكفاح مهما تعاظمت الضغوط ..

ونجاح فيلم « غاندى » .. هو صدى لحلم البسطاء الذين لا يملكون شيئا من مال او سلاح .. ولكنهم يملكون الايمان بمبدأ .. والقدرة على الاستمرار .

فالذين يعملـــون للحق وبالحـــق .. وينشرون السلام والعدل والحرية .. هم عماد الحياة ، وبدونهم يسود الظلام وتمرح الخفافيش ويصبح الجو ملوثا تماما .

لم يفز فيلم « الحكم » باية جائزة .

ولم يفز فيلم « توتسى » الا بجائزة واحدة ذهبت للممثلة « جيسكا لانج » كاحسن ممثلة مساعدة .

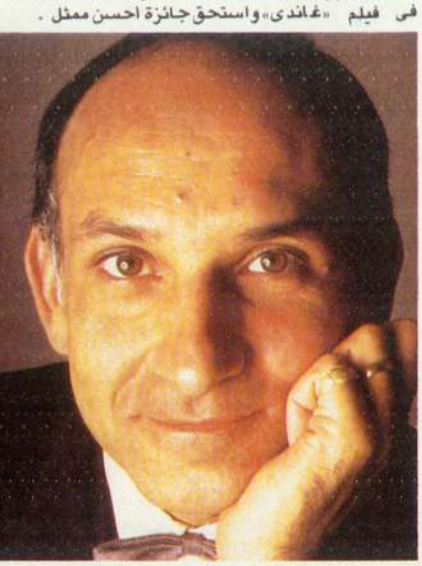
ورغم هذا .. فان نجاح فيلم غاندى وفوزه بكل هذا العدد من الجوائز .. هو نجاح لمبدأ اعتنقه غاندى .. واصبح نموذجا للكفاح على مر الاجيال .

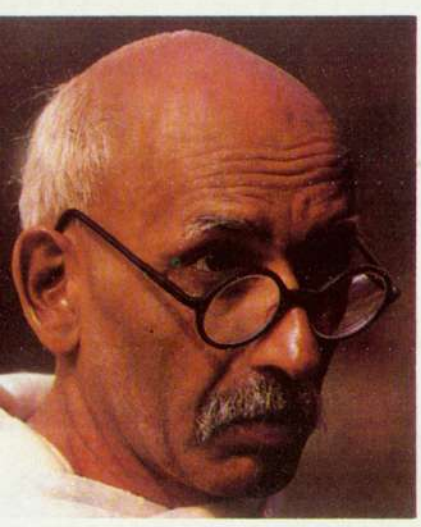
ويكفى الضائعين بين أمواج الفشل واللامبالاة من المجتمع .. والتائهين بين الأزمات الداخلية والخارجية .. يكفيهم عزاء ان السينما بدات تعبر عنهم .. وتقف بجانبهم على امل استعادة التوازن .

لقطة من فيلم غاندى الذى حصد أهم جوائز العام (٨ جوائز أوسكار) .



الممثل « بن كنجسلى » فى الحقيقة و كما ظهر فى فيلم «غاندى» واستحق جائزة احسن ممثل .



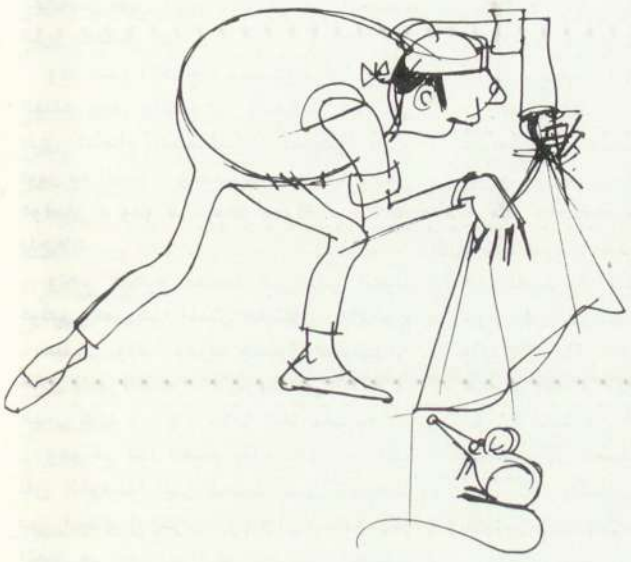




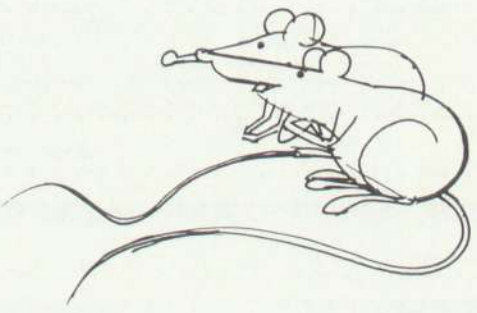
ضحكات الشهر

صلاح البيك

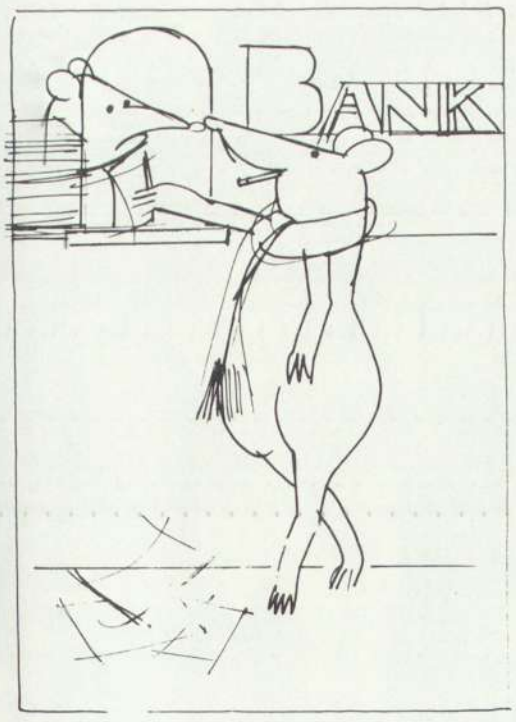




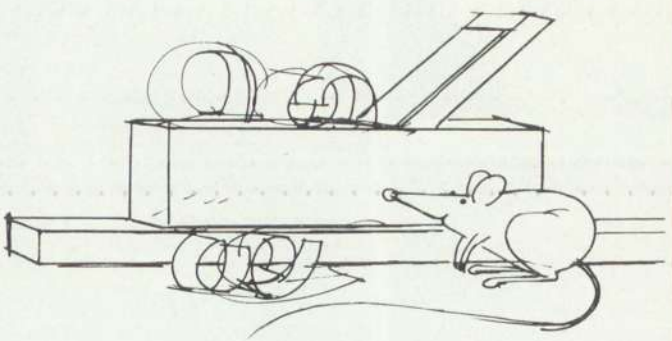
ـ بدون تعليق .. ! !



ـ .. رايح امريكا اشتغل ميكى ماوس .. ! !



فار ـ « أطلب » قرضـاً .. ! !



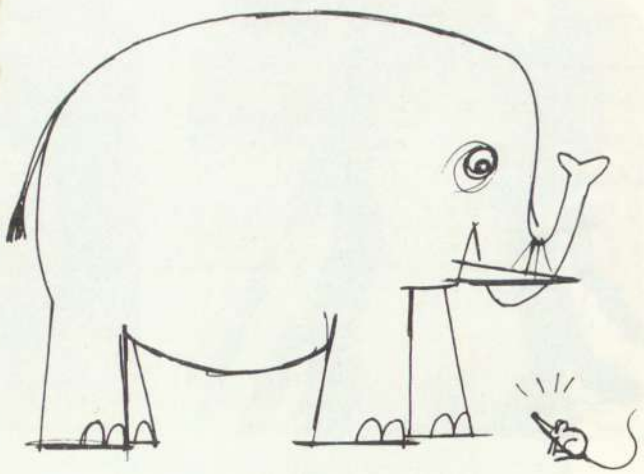
فار ـ تتجوزينى يا فاره .. ؟ !



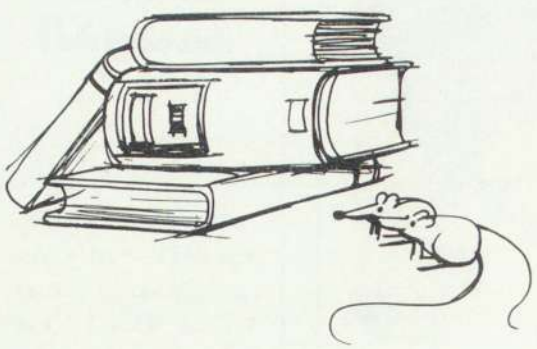
ـ .. واخده على البيت أكافحه .. على راحتى .. ! !



ـ بدون تعليق .. ! !



فار للفيل ـ .. يا واد .. يا تقيل .. ! !



فار لفأر ـ يعجبنى قوى كتابين ...
(الفار أبى) و (ابن القارض) .. ! !



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى: لوحة معاصرة تصور معركة حربية بين الجيش الفرنسى الذى حقق انتصاراً ، وبين الجيش النمساوى عام ١٨٠٩ م .

هل يمكنك التعرف على القائد الفرنسى الذى حقق الانتصار ؟

الصورة الثانية :



فيلسوف ورياضى اغريقى عاش منذ ٢٥٠٠ سنة تقريباً .. كان مفتوناً بالأرقام وهو أحد مؤسسى نظام البرهان الهندسى كما يدرس حتى الآن فى المدارس . وله نظرية رياضية باسمه ومن أهم اكتشافاته العلاقة بين الحساب والموسيقى فمن هو عبقرى الرياضيات هذا ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٨٨



الصورة الأولى : جو تنبرج

الفائز : اسماعيل فارس - الرياض

الفائز : يوسف أحمد آدم - السودان



الصورة الثانية : رينوار .

الفائز : فردوس أحمد عبد المنعم - مصر

الفائز : عبد الرحمن عيسى التجانى - قطر

للرجال فقط !



قال بلزاك فى كتابه « فسيولوجية الزواج » موجهاً حديثه الى الرجال : « لا تأبهوا بأنات النساء ، وصرخاتهن وآلامهن ، فان الطبيعة نفسها هى التى وضعت المرأة تحت تصرف الرجل ، وهى التى أرادت لها أن تنوء بالأطفال والأشجان ، وان تتحمل ضربات الرجل وشروره ، لا تتهموا أنفسكم بالقسوة أو الصلابة .. ففى كل قوانين الأمم التى نعدها متحررة ، كان الرجل هو الذى يضع الشرائع المحددة لمصير النساء مستنداً فى ذلك الى العبارة الحاسمة : الويل للضعفاء ، الويل للمهزومين » .

عادل الدمرداش ج . م . ع

من يفوز بالرهان؟

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل فى مجلس عبد الملك بن مروان فأحضر لهم رهاناً من المال وقال : ليقل كل امرىء فى مدح نفسه وأيكم غلب وظفر فله هذا الرهان . فقال الفرزدق :

أنا القطران والشعراء جربى
وفى القطران للجربى شفاء

فقام الأخطل فقال :

فان تك زق زاملة فانى
أنا الطاعون ليس له دواء

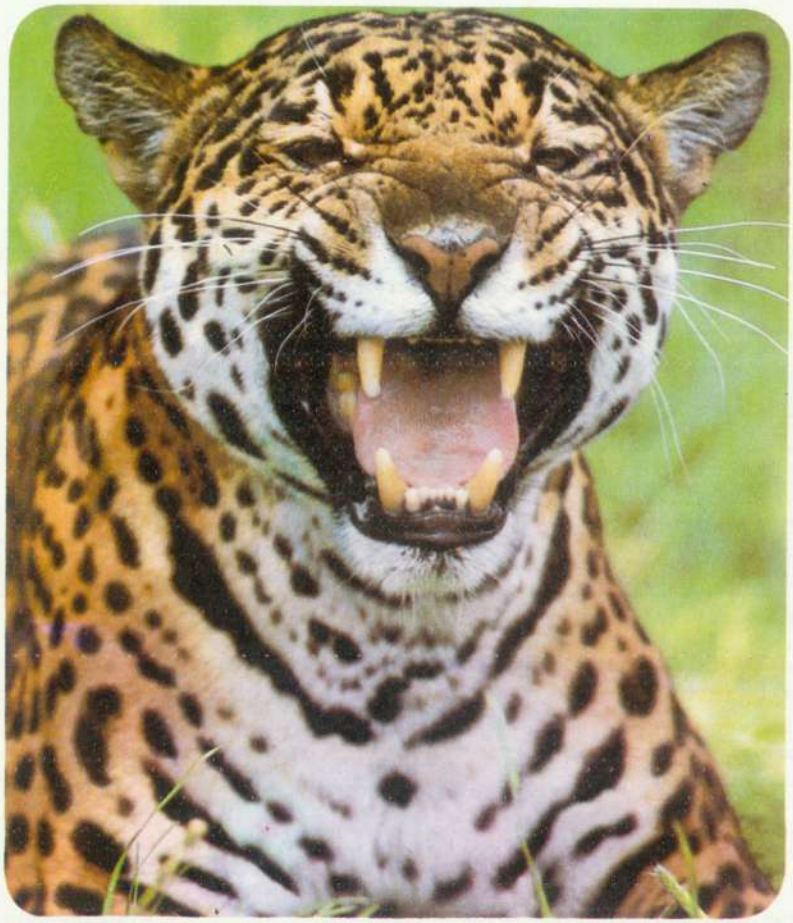
ثم نهض جرير وقال :

أنا المـوت الذى آتى عليكم
فليس لهارب منـه نجاه

فقال عبد الملك لجرير : لك الرهان غلبت خصميك فلعمرى ان الموت يأتى على كل شىء .

عبد الوهاب حامد
السودان

لقطة الشهر



الغضب

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى

القارىء : محمد قاسم يونس ـ القاهرة . الجيزة

قرأت ماذا تعرف عن البيانو؟

تنتمى الآلات الموسيقية الى احدى هذه المجموعات الثلاث : الآلات الوترية ، آلات النفخ ، وآلات النقر (الايقاعية) ..

والبيانو لا يتبع أيا من هذه الأنواع لانه يعتبر الة وترية وآلات نقر فى آن واحد ، فهيكله يتكون من عدد كبير من اوتار معدنية مشدودة فوق صندوق الصوت ، وكذلك توجد مطارق (شواكيش) خشبية مغطاة باللباد ، تقرع على الأوتار عند الضغط على اصابع البيانو الى أسفل اثناء العزف ..

والبيانو المعتاد يحتوى على ٨٨ اصبعاً : ٥٢ بيضاء و ٣٦ سوداء تختلف درجة صوت كل منها عن الاخرى .

ولكل بيانو اثنان او ثلاثة بدالات وبالضغط على البدال المناسب بقدم العازف يمكنه الحصول على ما يريد من قوة الصوت او لينه او امتداده لمدة اطول .

ويتم العزف بجميع اصابع اليدين .

رامى نبيل الدارى
عمان / الاردن

دوحة القراء



مسابقة الدوحة

مَن ؟

● أول حاكم عربى سك النقود الاسلامية اسمه من ثلاث كلمات فى خمسة عشر حرفا :
١٤ ـ ٥ ـ ١١ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٤ ـ ٨
الصف من الطوب فى البناء .
١ ـ ١٥ ـ ٩ فاكهة .
٢ ـ ٧ ـ ٧ ـ ١٣ ـ ١٢ من قشرة الأرض .
١٠ ـ بدء احدى سور القران الكريم .

أين ؟

● الاسرة الحاكمة التى ينتمى اليها ذلك الحاكم ، اسمها من كلمتين فى سبعة أحرف :
٦ ـ ٣ ـ ٥ ليلة ونهارها .
٤ ـ ١ ـ ٢ ـ ٧ بنت .

ما ؟

● ضرب من الكماة يغرم به اهل المشرق العربى ، اسمه من خمسة أحرف :
٥ ـ ٢ ـ ٤ ديدان مائية تستخدم فى الحجامة .
١ ـ ٣ لا تقال لوالد ولا والدة من مؤمن .

الإجابة الصحيحة

(١) « يتكون اللؤلؤ فى المحارات الصدفية من نقط المطر » .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟ ؟

(٢) وفى الأرض مناى للكريم عن الاذى ..
اكمل هذا البيت وانسبه إلى قائله .

(٣) قشور بيض الدجاج تتكون من :
كربونات الكالسيوم ـ كبريتات الكالسيوم ـ بروميد الكالسيوم .

(٤) شجرة المطاط تنتمى الى طائفة أشجار :
التين والجميز ـ التفاح والخوخ ـ النخيل والدوم .

(٥) كان الخامس من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ هو يوم :
السبت ـ الاثنين ـ الثلاثاء .

(٦) تقع جزر فولكلاند التى اغتصبتها بريطانيا من الارجنتين على خط طول غرب جرينتش درجته :
٦٠ ـ ٧٥ ـ ١٢٠ .

(٧) تتميز الحشرات عن العناكب بان :
العنكبوت له ..... أرجل .
والحشرة لها ..... أرجل .

(٨) ثلاثة من الشعراء ادناه من اصحاب المعلقات :
المتنبى ـ الأعشى ـ بشار ـ ـ زهير ـ عنترة .

(٩) الأشعة تحت الحمراء بالنسبة للاشعة فوق البنفسجية :
أطول موجة ـ اقصر موجة ـ متساوية طول الموجات .

(١٠) أى المساجد فى العالم لا يوجد له محراب ؟ ؟

حل مسابقة العدد ٨٨

من : الهرمزان .
اين : فارس .
مـا : التقوى .

الأجوبة الصحيحة :

١ ـ ق ـ ره ـ اقض
٢ ـ طسم ـ جديس .
٣ ـ العبارة صحيحة علميا .
٤ ـ رب ثاو يمل منه الثواء الشاعر الحارث بن حلزه اليشكرى .
٥ ـ سنة ١٩٦١
٦ ـ ترومان .
٧ ـ هانيبال .
٨ ـ الشمال الغربى .
٩ ـ أفريقيا .
١٠ ـ القار ـ الشمع الديزل ـ الكيروسين البنزين ـ البيوتين .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ أصل وصورة : الحل : عين الفتاة ، اسنانها ، حذاؤها ، شعر الصبى ، أذنه ، بنطلونه ، حذاؤه .
الفائز : عبد الله يوسف / قطر. الفائز : عبد الناصر جداوى سلطان / مصر .

٢ ـ المثل يقول : الحل : موت وخراب ديار
الفائز : حسين أحمد مصطفى النواوى / مصر
الفائز : محمد عمر عبد المالك / مصر .

٣ ـ لاقوياء الملاحظة : الحل : بقرة ـ سمكة ـ حمامة ـ حقيبة ـ ثعبان ـ قوقعة . الفائز : عبد العزيز بن الصادق / تونس الفائز : ممهدوح محمد نمر ابو كوان / الأردن .

٤ ـ دورى الكاريكاتير : الحل : رقم (٩) الفائز :

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : محمد عبد الجليل ناصر / مصر .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : مروان أحمد بشار / ابو ظبى ـ الامارات .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة .

القارىء : اسماعيل عبد العزيز محمد / السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ أمجد محمد ضيف الله	الكويت
٢ ـ مرفت محمد محمد شاهين	مصر
٣ ـ عبد المنعم عبد الله عجب الغيا	السودان
٤ ـ ليلى عبد العزيز فؤاد	مصر
٥ ـ وداد مأمون	السودان
٦ ـ ميسون يوسف غانم	الأردن
٧ ـ خضر فوزى عوض مصلح	السعودية
٨ ـ محمد حسن عباس	الامارات
٩ ـ الشرقى محمد	المغرب
١٠ ـ محمد كمال الريس	الامارات

استراحة الدوحة العدد ٨٨

جمعه الحبيب / سوريا . الفائز : احمد علي محمد الفطيس / ليبيا .

٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : الحل : رقم (٥) . الفائز : عبد اللطيف محمد عبد اللطيف / مصر . الفائز : ميزرخاشع السلطان / الكويت .

٦ ـ لعبة الظلال : الحل رقم (٢) الفائز : محمد الشنطى / بلكستان . الفائز : اخلاص صالح احمد اليمن الديمقراطية .

٧ ـ هات أجمل تعليق : التعليق : فى المرة القادمة حاول تخفيف السرعة. التعليق : زوجك يا هانم عنده عقدة مرورية . الفائز : محمد سراج الدين / سوريا . الفائز: وليد محمد محمد السعدنى مصر .

من آداب المشورة والنصيحة

● قال الله تعالى : فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر (آل عمران) .

● وقال تعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب (الزمر) .

● وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

ـ الدين النصيحة .

ـ اذا استنصحك أخوك فانصحه .

ـ لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار .

ـ الدال على الخير كفاعله .

● وقال الحسن بن علي بن ابى طالب : الرجال ثلاثة رجل ونصف رجل ولا رجل. أما الرجل فذو الرأى والمشورة. وأما نصف الرجل فالذى له رأى ولا يشاور. وأما الذى ليس برجل فالذى لا رأى له ولا يشاور .

● قال عبد الملك بن مروان : لأن أخطىء وقد استشرت أحب الى من أن أصيب وقد استبددت برأيى من غير مشورة .

● وقال الحكماء :

ـ رحم الله من هدانى الى عيوبى .

ـ المشورة عين الهداية وقد خاطر بنفسه من استغنى برأيه .

ـ اياك ومشاورة رجلين ، شاب معجب بنفسه قليل التجارب ، أو كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه .

ـ من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل .



خالد كليلى بن محيى الدين

حلب ـ سوريا

كلمات لها معنى

● لا تظن بكلمة من أحد سوءا وأنت تجد لها من الخير محتملا

« علي بن أبى طالب »

● يا بنى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت

« لقمان »

● لو كان بينى وبين الناس شعرة ما قطعتها

« معاوية بن أبى سفيان »

● يارب لا تجعلني أتهم بالخيانة من يخالفنى فى الرأى

« طاغور »

● والله ما ذل ذو حق وان طبق العالم عليه .. ولا عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه

« المنتصر بالله »

● انما النساء أغلال فليختر الرجل لنفسه اخفها عليه

« هند بنت عتبه »

خالد أحمد الرحبى

الحسكة ـ سوريا

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

د. ووو

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطرياً

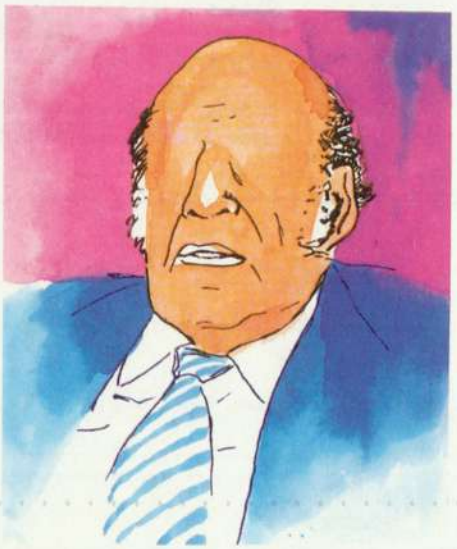
أصل وصورة





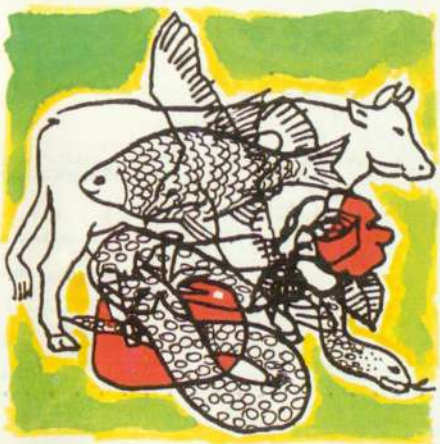
● بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري .. هناك سبعة اختلافات طفيفة .. هل تستطيع التعرف عليها .. ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة لصحفى عربى مشهور ، نشأ فى بيت الزعيم سعد زغلول ، ولعب دوراً هاماً فى الصحافة العربية ، وما زال قلمه يعالج ادق القضايا المتعلقة بحرية الوطن والمواطن .. هل تستطيع اكمالها والتعرف على شخصية هذا الصحفى ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



● أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله الينا

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمي الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا

هات أجمل تعليق :



● هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري .. ؟ .. حاول وارسله الينا

لعبة الظلال



● هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي ؟ .. إذا عرفت .. ارسل الحل الينا

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة للقائد والسياسى الفرنسى الراحل شارل ديجول ، الذى اسر فى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٦ ، وحكم عليه بالاعدام غيابيا فى الحرب العالمية الثانية ، وانتخب رئيسا لفرنسا عام ١٩٤٥ ، واعيد انتخابه ليصبح اول رئيس للجمهورية الخامسة (١٩٥٩) .. ومن بين هذه الصور واحدة تشبهه تماما .. هل تستطيع التعرف عليها ؟

ماينقصنا في الحياة؟

بقلم: الدكتور خليل قطاطو

يخيل لي أحيانا أن الحياة لحظتان ، لحظتان فقط ، لحظة الميلاد أو الوجود ، ولحظة الموت أو العدم ، وما بينهما من عمر طال أو قصر ، زمن يعد بعشرات السنين ، لا يحمل وهج اللحظتين .

لحظتان تحددان لنا البداية والنهاية لحظتان قدريتان ليس لنا الخيار فيهما ، وإن كان لنا «الخيار النسبي» فيما بينهما من التفاصيل .

لحظة الميلاد تنتظرها الأم بشيء من السعادة والخوف معا ، تحلم بها ، وبالقادم الجديد ، أتراه يكون مولودا سعيدا أم بائسا ، موفقا أم متعثر الخطى ، ماذا يخبىء المستقبل له ، أترى هذا الغيم الساكن في الأعالي يحمل مطرا أم زوابع !

ليس أمرا سهلا وصف آلام الولادة ، وليس من باب التلاعب بالألفاظ لو قلنا انه ألم ممتع ، ومتى كان الألم ممتعا ؟ ليس الألم مجرد انقباضات عضلية في جدار الرحم تصل الى مراكز الاحساس في الدماغ فيدركها الجسم على انها أحاسيس مؤلمة وحسب ، بل ان العامل العاطفي يتفاعل مع الجانب الادراكي للاحساس ليخفف من حدة الألم ، ومادام هذا الألم العظيم سينتهي بحدث سعيد ، إذا فلابد من الصبر ، واقناع النفس بالاحتمال والتعايش معه هذه الساعات المعدودة .

تعاني الأم وتكابد هذه الآلام ، وتزداد حدتها بمرور الوقت حتى تصل الذروة لحظة الولادة ، اللحظة المضيئة المتوهجة ، ثوان قليلة أو جزء من ثانية يفصل بين قمة المعاناة وقمة السعادة ، يبكي الطفل معلنا مجيئه ، فيشرق وجه الأم بالغبطة .

كنت خلال دراستي للطب عندما أشاهد عملية ولادة أعتقد أن هذه المرأة لن تفكر بالحمل والولادة مرة أخرى ، وكانت بعض النساء يصرخن فعلا أن هذه الولادة ستكون الأخيرة ، وفي اليوم الثاني أشاهد العكس تماما ، الأم ممتلئة فرحا وسعادة ، وكأن يد القدر محت من ذاكرتها كل المعاناة بمجرد أن يرنو الصغير الى وجهها وينجذب الى صدرها .

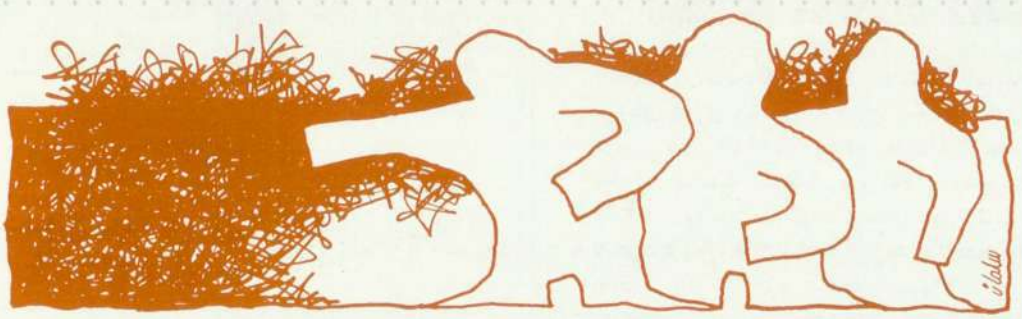
لو رأى الأبناء كيف تلدهن الأمهات ، لأصبح العقوق من رابع المستحيلات .

وتسير الحياة بنا في دروبها الوعرة ، نكد ونعمل ونبني أحلاما وأمانى ، نصارع من أجل لقمة العيش ، ومن أجل البقاء ، رويدا رويدا وبدون أن نشعر نقترب من اللحظة الأخيرة .

الإنسان ، هذا المخلوق الذي يملأ الدنيا نشاطا وحركة ، وصراخا ، يستقبل هذه اللحظة بهدوء غريب ، ينظر متأملا العيون المحملقة فيه ، يريد أن يستودعهم سر الحياة ولكن هيهات فلسانه عاجز عن النطق ، وأطرافه عاجزة حتى عن الاشارة ، أتراه في هذه اللحظة يمر شريط حياته أمام عينيه ، هل هو نادم على ما فعل ؟ أم راض قرير العين ؟

هذي هي الحياة ، لحظتان عميقتان لو تأملناهما جيدا لعرفنا كيف نعيش دونما تكالب على ماديات زائلة ، وتفاهات زائفة ، ولما كنا تائهين ضائعين نبحث عن السعادة في دروب مظلمة ، نركض وراء سراب ، لماذا نقلب حياتنا الى غابة ، يأكل القوي فيها الضعيف ، هل بوسعنا أن نحول دنيانا الى جنة ، وأن نكون أشباه ملائكة ، ليس هذا ضربا من المستحيلات ، ما ينقصنا هو الصدق ، الصدق مع انفسنا ، ومع الآخرين ، والايمان . الايمان بغاية وجودنا ، وتحقيق الهدف الأسمى الذي من أجله خلقنا .

الخير والشر ، في صراع أزلي ، وليست المسألة نسبية ، فالخير قيمة سامية مطلقة ، والشر صفة مطلقة ايضا . المعركة لم تحسم بعد ، ولكن دور المتفرج لا يليق بالانسان ، فلتأخذوا مواقعكم أيها السادة فعسانا نلون هذا الأفق القاتم بألوان زاهية .





بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ



الحضـــــارة : بريشة الفنانة القطرية وفيقة سلطان